الأربعون في الزهد

أو

تحذير أهل الآخرة من الدنيا الداثرة

تأليف

الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى ٩١١هـ

دراسة وتحقيق

أبي عبد الرحمن

جمال بن محمد بن محمود



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

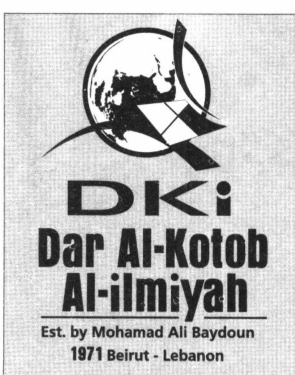
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **Al-ʾarbaʿūn fī al-zuhd**

Classification: Morals and exhortation
Author : Jalāluddīn al-Sayūṭi
Editor : Jamāl Muḥammad Maḥmūd
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 200
Size : 17*24
Year : 2010
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : **الأربعون في الزهد**
أو: تحذير أهل الآخرة
من الدنيا الداثرة

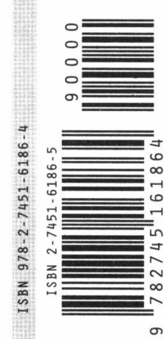
التصنيف : أخلاق ومواعظ
المؤلف : الإمام جلال الدين السيوطي
المحقق : جمال محمد محمود
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات : 200
قياس الصفحات: 17*24
سنة الطباعة : 2010
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6186-4





مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النِّساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعةٌ ، وكل بدعة ضلالةٌ ، وكل ضلالةٍ في النار .

وبعد : فهذه رسالة نفيسة في بابها ، عظيمة في محتواها ، جليلة في هدفها ، لا يستغني عنها عالم ، ولا عامل ، قد جمع فيها الإمام السيوطي من الأحاديث أربعين ، بَيَّن فيها الزهد على حقيقته وفق منهج أهل السنة والجماعة ، وسلف الأمة الصالح .

إنه الزهد عباد الله ، والذي يحيا بماء العلم ، والعلم عباد الله عَرَّفه السلف :

إدراك الشيء بحقيقته .

وقد أدرك سلف الأمة الصالح قيمة الزهد، وأدركوا قيمة العلم الصحيح ـ الشرعي ـ للزهد. فعلموا وعملوا .

نعم فقد مضى سلفنا الصالح العاملون بعلمهم ، الورعون الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم الذين إذا ذُكِرُوا ، وما قاموا به من نصر دين الله، والدعوة إليه، استنارت بهم المجالس وأسفرت الوجوه، وارتاحت الأنفس، وقويت القلوب، ونشطت الأبدان علىٰ الطاعات والعبادات، نعم فقد كانوا أغنى العالم نفوساً، وأقواهم توكلاً علىٰ اللطيف الخبير لأنهم رضوا بقسمة مولاهم العليم الحكيم .

وكانوا أزهد الناس في الدنيا لأنهم يعلمون حقارتها، وسرعة زوالها، وكثرة همومها، وغمومها، وإشغالها عن طاعة الله؛ ولذلك كان الناس يقدِّرونهم ويضربون بهم الأمثال .

وإليك نموذجاً، وهو من خير المثال:

ابن مسعود رضي الله عنه ـ ابن أم عبد ، صاحب سواد رسول الله ﷺ ـ سره ـ ووساده، وسواكه، ونعليه وطهوره .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ؛ والذى قال فيه حذيفه بن اليمان رضي الله عنه «لقد علم المجتهدون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة» .

دفعني لأنقل لحضراتكم هذا الأنموذج العالى الفريد قوله ﷺ ووصيته: «**وتمسكوا بعهد ابن أم عبد**» .

وانظروا لحاله رحمه الله تعالىٰ، ورضي عنه: يقول: « **لو تعلمون ذنوبى، ما وطئ عقبى اثنان، ولحثيتم التراب علىٰ رأسى، ولوددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي، وأني دعيت عبد الله بن روثة**» .

ويقول رضي الله عنه : «وددت أن الله غفر لي ذنباً واحداً ولا يعرف لى نسب» .

وكان يقول في دعائه: "خائف مستجير، تائب، مستغفر، راغبا، راهب"

عباد الله، هذا هو الزهد تقعيداً، وتنظيراً، ومثالاً، فأما التقعيد، فهو وفق منهج ومعتقد أهل السنة والجماعة، وأما المثال فهو عبد الله بن مسعود وسائر الصحابة الأبرار وعلىٰ رأس هذه الثلة المباركة تاج رأس البشرية محمد ﷺ ، فهو النموذج

الأمثل ، ومن بعده الصحاب الطيبون .

وقد أحسن السيوطي رحمه الله حينما جمع هذه الأربعين في الزهد، فلمَّ شمل الزهد، وجمع معانيه، من خلال النظر والفهم لأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ولأن السِّفر نَفيس عظيم، والكتاب جليل؛ استعنت بالله تعالىٰ وأخرجت الكتاب من مخطوطه ، وقمت بعمل الدراسات اللازمة له، ليكون زاداً طيباً علىٰ الطريق. وصدق الشاعر بقوله:

فكر في الذنب وما احتَقَبَتْ ... كَفاكَ عليك وما اكتسبا

كم بت علىٰ ذنبٍ فرحاً ... وغَدوت علىٰ ذنبٍ طرباً

وعَلِمت بأن الله يرىٰ ... فَأَسأت ولَم تُحسن أدبا

فأعدَّ الزَّاد فما سفرٌ ... كالموت ترى فيه النصبا

وأفق فالعُمْرُ به رمق ... فكأن قد فات وقد ذهبا

فيا كثير الدنس، يا من كلما قيل أقبل انتكس، يا من أمر بترك ما يفنى لما يبقى، فَعَكَسْ، جاء الأجل، وذهب حديث الأمل فهو هَوس .

إليك الزهد ـ وفق معقد أهل السنة والجماعة ـ هو خير مطية للنجاة من الزلل، ورافع عنك تلك الإنتكاسة .

وصدق الله تعالىٰ حين قال: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠] .

وأذكرك بالمقابل، فهو تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: ٣] وأذكرك بقوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف: ٥٨] .

فالخلاص الخلاص، والبدار البدار إلىٰ سفينة النجاة ألا وهي الزهد عبد الله .

ومن نعمة الله تعالىٰ عليَّ أن قدَّر لي أن أقدم هذا المخطوط الفريد في موضوعه، وجمعه، وقسمت العمل فيه إلىٰ تمهيد وبابين؛ ففي التمهيد المباحث الأولية الخاصة بالتحقيق من ترجمة للمصنف ، ووصف المخطوط ، ونسبته إلىٰ المؤلف .

ومنهج الدراسة، ومبحث خاص بالأربعين كمنهج للجمع والتصنيف والتأليف، وبعد ذلك متن الكتاب، وقمت بتخريج الأحاديث، والحكم علىٰ كل إسناد بما يوافقه، ويستحقه، ولك أن تراجع خطة البحث والعمل ـ فيما دونته في عملنا في الكتاب .

والباب الأول: دراسة شاملة جامعة للزهد، وفق معتقد أهل السنة والجماعة، حوت سبعة فصول وهي كالتالي: الفصل الأول: تعريف الزهد:

وفيه مبحثان: الأول: الزهد لغة .

الثاني: الزهد شرعاً .

والفصل الثاني: الزهد وعلوم العقيدة، وهو أهم فصل ـ حقيقة ـ بينت فيه معنى الزهد وعلاقته بعقيدة أهل السنة والجماعة ـ سلف الأمة الصالح ـ بعيداً عن ابتداع أهل البدع والأهواء والذين أفسدوا الزهد معنىً وحقيقة، علماً وسلوكاً .

الفصل الثالث: الزهد دواعي وأسباب:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الزهد طريق السعادة في الدارين .

المبحث الثاني: الزهد وحسن الخاتمة .

المبحث الثالث: الزهد وسوء الخاتمة .

المبحث الرابع: الزهد ليس له جزاءً إلا الجنة .

والفصل الرابع: تحدثت فيه عن الزهد وأقسامه .

والفصل الخامس: مباحث شرعية تتعلق بالزهد وفيه مباحث ثلاث:

الأول: الزهد والدنيا .

الثاني: الزهد والحلال .

الثالث: الزهد والحرام .

والفصل السادس: أصول يعلو بها شأن الزهد وفيه أربعة مباحث:

الأول: العلم والبصيرة وعلاقتهما بالزهد .

الثاني: إرادة الأخرة وجعلها الهم الأوحد والأكبر .

الثالث: كثرة ذكر الموت .

الرابع: سنة الأنبياء وعلاقته بالزهد .

والفصل السابع: نموذج تطبيقي ـ الزهد وواقعنا المعاصر .

وأما الباب الثاني: أربعون موعظة في الزهد .

أردت أن يكون تطبيقاً عملياً بعد التقعيد السابق من خلال الدراسات السابقة عن الزهد في الباب الأول فيكون المقال، وبعده المثال .

ومن بعد ذلك متن الكتاب للسيوطي رحمه الله تعالىٰ علىٰ ما بينت ووضحت في خطة عملنا في الكتاب .

وبهذه الدراسات التمهيدية لكتاب السيوطي ـ الأربعون في الزهد ـ أكون بحول الله وقوته قد خدمت الكتاب الخدمة التي تستحقه، وتوضح معانيه، وتكون أرضية صلبة لفهم مراد كلام النبي ﷺ والذي جمعه السيوطي .

واختم تلك التقدمة لهذا الكتاب النفيس بموعظة لي ولك تبين المقصود .

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن إلىٰ الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحَسَنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأساً غير صافية ... فصَّيرهم لأطباق الثرى وهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم ... بالمكرمات وتَرْثي البِرْ والمننا

حَسْبُ الحِمَام ـ الموت ـ لو أبقاهم وأمهلهم ... ألا يظن علىٰ معلومه حَسَنا

فاللهم اهدنا لصالح الأعمال، والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيء الأعمال والأخلاق لا يصرف سيئها إلا أنت، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع الأحياء منهم ، والمقيمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وأقول ختاماً:

بالله يا قارئاً كتبي وسامعها ... أسبل عليها رداء الحُكم والكرم

واستر بلطفك ما تلقاه من خطاءٍ ... أو أصلحته تُثَبْ إن كنت ذا فهمٍ

فكم جواد كبى والسبق عادته ... وكم حسام نبا أو عَاد ذُو ثُلَم

وكـلـنـا يـا أخـي خـطـاءُ ذو ذلـلٍ والـعـذر يقبـلـه ذو الـفـضـل والـشـيـم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ من بعثه الله رحمة للعالمين، سيد الكون والورىٰ محمد بن عبد الله النبي الأمين عليه وعلىٰ أصحابه الطيبين الطاهرين .

كتبه

أبو عبد الرحمن

جمال بن محمد بن محمود

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي امرنا بالزهد في الدنيا لنتفرغ لعبادته وهدانا
بفضله الى الطريق الرشاد ورعايته احمده واشكره على الالائه
المورثة بعنايته واشهد ان لا اله الا الله المتفضل على من
شاء برايته واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده
ورسوله سيد اهل كرامته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته
اما بعد فهذا كتاب لقبته تحذير اهل الاخرة من دار الدنيا
الداثرة اودعته اربعين حديثا منسوبة لمخرجها متبعة ببيان
غريب الفاظها ومشكل معانيها والله اسال ينفعني به وساير
المسلمين ان الله رب العالمين [illegible] عن ابي سعيد
قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حوله
فقال ان مما اخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا و
زينتها فقال رجل او ياتي الخير بالشر يا رسول الله فسكت عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما شانك تكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يكلمك قال ورأينا انه ينزل عليه فافاق يمسح عنه الرحضاء
وقال اين هذا السائل وكانه حمده فقال انه لا ياتي الخير بالشر
وفي رواية قال اين السائل انفا وخير هو ثلاثا ان الخير لا ياتي

تحذير أهل الآخرة من الدنيا الداثرة
جلال الدين السيوطي
صورة الصفحة الأولى

لعن عبد الدرهم أخرجه الترمذي وهو حديث حسن ومعنى
العبودية أن يجعله تابع للدنيا فإن حصلت رضي وإن سخط
الله وإن لم تحصل غضب وإن رضي الله نسأله السلامة من كل
داء آمين الحديث الأربعون عن أبي سعيد رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل [illegible]
أخرجه أبو يعلى في مسنده والعسكري في الأمثال والضياء في المختارة
وهو حديث صحيح هذا آخر ما أردناه وتمام ما قصدناه والحمد
لله أولا وآخرا باطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه
وذريته وسلم وحسبنا الله
ونعم الوكيل
تمت الكتاب بعون
الله الملك الوهاب

تحذير أهل الآخرة من الدنيا الداثرة
صورة الصفحة الأخيرة

المبحث الأول

لماذا : (الأربعون) ؟

أولاً: الأربعون إصطلاحاً :

هو تصنيف اشتهر به علماء الأمة في موضوع بعينه، أو أحاديث في باب واحد، أو أحاديث في أبواب شتى بسند واحد، أو بأسانيد متعددة .

وقد درج كثير من العلماء علىٰ جمع الأربعين من الأحاديث، وهم كثير، نوضح بعضهم في النقطة الثانية .

ثانياً: من الذي صنف في الأربعين؟

صنف كثير من العلماء هذا التصنيف؛ منهم الحافظ أبو نعيم المتوفي ٤٣٠هـ.

والحافظ أبو بكر الآجري (٣٦٠هـ) .

والإمام البكري والنووي، والحافظ ابن حجر .

وخاتمة الحفاظ السيوطي، وغيرهم .

ثالثاً: الإجابة علىٰ السؤال: لماذا الأربعون؟

أ ـ عملاً وسيراً علىٰ هدي علماء الأمة، والذين سبق ذكر بعضهم .

ب ـ وردت أحاديث في ذلك الباب، وكلها ضعيفة وبعضها موضوع. وإليك بحث مصغر لهذه الأحاديث وحكمها:

الأول: حديث أنس ﵁ مرفوعاً: « **من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً** » .

أخرجه البكري في أربعينه، من طريق الجوزقي عن زيد بن حريش عن عبد الله بن خراش عن عمه العوام، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أنس .

وعلة ضعف الحديث: عبد الله بن خراش؛ اتفق الأئمة علىٰ تضعيفه، واتهمه بعضهم بالكذب (الميزان) [٢/ ٤١٣] .

والحديث أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية [١/ ١١٨] .

وقال الألباني في ضعيف الجامع: موضوع [٥٥٦٨] .

الثاني: « **من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**» .

ضعيف؛ ذكره ابن خير في فهرسته [٢١] .

وجامع بيان العلم وفضله [١/ ٤٣] .

وأمالي الشجري [١/ ١٠] .

والمغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي [١/ ٧] .

وهو من طريق يعقوب بن إسحاق العسقلاني عن حميد بن زنجويه عن يحيى بن عبد الله ابن بكير عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً .

قلت: وعلة ضعف هذا الإسناد الآتي:

١ ـ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم العسقلاني؛ قال الذهبي، وقد أورد الحديث من طريقه / الميزان [٤/ ٤٤٩]: وهذا كذاب في السند والمتن .

وقال الحافظ ابن حجر: الناس يختلفون فيه؛ فبعضهم يوثقه، وبعضهم يضعفه، والظاهر أنه دخل له حديث في حديث .

٢ ـ قال ابن عبد البر في الجامع: هذا أحسن إسناد جاء به هذا الحديث، لكنه غير محفوظ ولا معروف من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر، ومن رواه عن مالك فقد أخطأ، وأضاف ما ليس من رواياته إليه .

الطريق الثالث:

حديث أبي هريرة: « **من حفظ من أمتي أربعين حديثاً فيما ينفعهم في أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً** » .

ضعيف / إتحاف السادة المتقين [١/ ٧١] .

والعلل المتناهية [١/ ١١٥] .

وابن عبد البر في الجامع [١/ ٤٣] وغيره من حديث عمرو بن الحصين العقيلي عن محمد بن عبد الله بن علانة عن خصيف عن مجاهد عن أبي هريرة مرفوعاً .

وعلة ضعف الحديث: عمرو بن حصين كذبه أحمد، وابن معين، وقال ابن أبي

حاتم: سمع منه أبي. وقال: تركت الرواية عنه ولم يحدثنا، وقال: هو ذاهب الحديث، وليس بشيء.

وقال ابن عدي: مظلم الحديث.

وقال الدارقطني: متروك.

وقال أبو زرعة: ليس في محل من يحدث عنه، وهو واهي الحديث.

قال الذهبي في الميزان [٣/ ٥٩٥]: الظاهر أنه من وضع ابن حصين.

الطريق الرابع: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**ما من مسلم يحفظ عن أمتي أربعين حديثاً يعلمهم بها أمر دينهم إلا جيء به يوم القيامة فقيل له: اشفع لمن شئت**».

وهو ضعيف؛ وعلة ضعفه: عمرو بن الأزهر، وشيخه أبان بن أبي عياش كلاهما متروك.

الطريق الخامس:

حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «**من حفظ عن أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً وكنت له يوم القيامة شهيداً**».

أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية [١٢/ ١٧٣].

والعلل المتناهية [١/ ١١٥].

والجامع لابن عبد البر [١/ ٤٣].

وإتحاف السادة المتقين [١/ ٧٤، ٧٥].

وابن حبان في المجروحين [٢/ ١٣٣].

من طريق إبراهيم بن أمية: حدثنا أبو طالب هاشم بن الوليد الهروي قال: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن أبي الدرداء.

وعلة ضعف الحديث: عبد الملك بن هارون.

قال ابن معين: كذاب.

قال أبو حاتم: متروك.

قال البخاري: منكر الحديث.

قال الحاكم: ذاهب الحديث، وروى عن أبيه أحاديث موضوعة.

قلت: وللحديث طرق غير هذا، وألفاظ غير هذه، وفي الجملة فالحديث موضوع أو ضعيف جداً، وسأذكر في نهاية المبحث من قال بحسنه ولا يلتفت إلىٰ قولهم .

وسأذكر هنا إجمالا أقوال الأئمة المحدثين علىٰ الحديث:

أ ـ قال البيهقي في شعب الإيمان [٢/ ٢٧٠]: هذا حديث مشهور بين الناس، له إسناد صحيح، وأسانيده كلها ضعيفة .

ب ـ قال ابن السكن: ليس يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ من طريق يثبت.

جـ ـ قال الدارقطني: لا تثبت من طرقه شيء .

د ـ قال ابن عساكر: أسانيده كلها فيها مقال؛ ليس فيها للتصحيح مجال .

هـ ـ وقال النووي: طرقه كلها ضعيفة، وليس بثابت .

و ـ قال الرهاوي: طرقه كلها ضعاف؛ إذ لا تخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول لا يعرف، أو معروف يضعف .

ومن أراد المزيد فليرجع إلىٰ فتاوى النووي [٢٧٢]، والعلل [١/ ١١]، والجامع لابن عبد البر .

ثالثاً: ذهب بعض العلماء إلىٰ تحسين الحديث اعتماداً علىٰ كثرة الطرق والشواهد، مما دعاهم إلىٰ التصنيف بالأربعينيات .

ومن هؤلاء : الإمام ظاهر إلكيا الهراسي الشافعي السلفي؛ قال: فإن نفراً من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر مَنْسل وأفضل مُرسل: « **من حفظ علىٰ أمتي أربعين بعثه الله يوم القيامة فقيهاً** » من طرق وثقوا بها، وعولوا عليها، وعرفوا صحتها، وركنوا إليها خرَّج كل منهم لنفسه أربعين، حتى قال إسماعيل بن عبد الغفار الفارسي: اجتمع عندي من الأربعينيات ما ينيف علىٰ السبعين .

وكلام السلفي هنا لا يعتمد ويرد عليه، وإليك الدليل:

١ ـ قال صديق حسن خان في أبجد العلوم [٢/ ٣٣٥] وهذا الحديث من جميع طرقه ضعيف عند محققي أهل الحديث، لا يعتمد ولا يصير إليه إلا من لم يرسخ في علم الحديث قدمه . . أهـ .

وبنفس المعنى قال السخاوي في المقاصد الحسنة [٤١١] .

وراجع كلام الألباني في تعليقه علىٰ المشكاة [١/ ٨٦] .

جـ. إنما ما سرنا عليه هنا وجمعنا في هذا الباب إنما من قبيل الاستئناس بعمل أهل العلم كالسيوطي وابن حجر والنووي وغيرهم .

المبحث الثاني

وصف المخطوط:

للمخطوط عدة نسخ، منها ما يوجد في برلين، والنسخة المحفوظة أيضاً بدار الكتب المصرية، وكذا مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت تحت رقم (١٢١٦٨/٥) .

وهي عبارة عن ١٩ سطر بخط النسخ .

وقد استعنت بنسخة دار الكتب المصرية، ثم المطابقة علىٰ مطبوعات طبعت علىٰ مخطوطات أخرى كنسخة الكويت .

ولذا قد تميزت هذه الطبعة بإذن الله تعالىٰ علىٰ مقابلات عدة مني ومن غيري ممن عمل في الكتاب .

نسبة الكتاب إلىٰ صاحبه:

بالرجوع إلىٰ الفهارس ، وكشف الظنون، وأبجد العلوم تم الإشارة إلىٰ نسبة الكتاب للسيوطي .

راجع كشف الظنون (١/ ٣٢) .

وأبجد العلوم (٢/ ١٤٠) .

وهداية العارفين (١/ ١٢٦) .

وقد وضعوها تحت الأربعين، أو أربعينيات السيوطي .

المبحث الثالث

منهج الدراسة والتحقيق:

١ ـ تنسيق نص المخطوطة، مع رعاية تقويم الرسم الإملائي، وعلامات الترقيم، وشكل الكلمات .

٢ ـ قمت بمقابلات مع مطبوعات ـ وهي قليلة ـ للوقوف علىٰ أي تصحيف .

٣ ـ قمت بمراجعة ومقابلة متون الأحاديث علىٰ المحفوظ في كتب الحديث المسندة، وأثبت الصحيح .

٤ ـ قمت بتخريج الأحاديث، وذلك بمنهج التخريج الوسط، ثم قمت بالحكم علىٰ الإسناد، ودرجة صحة الحديث بعد الدراسات الإسنادية المطلوبة وجعلت الضابط حين الاختلاف حكم العلامة الألباني رحمه الله، وأشرت إلىٰ تصحيحه، أو تضعيفه مع نهاية كل حديث .

وهذا ما أعتبره أسلم لي ولديني، وللحكم علىٰ الإسناد، وقد خالفت غيري في الحكم علىٰ بعض الأحاديث ، وقدمت ما ذهب إليه الألباني رحمه الله تعالىٰ.

٥ ـ علقت علىٰ الأحاديث بما يفسر غريبها، ويوضح غامضها، وبأخذ بيد القارئ إلىٰ مزيد من الفهم والفقه .

٦ ـ قمت بعمل دراسة وتقدمة كبيرة، وتمهيد كبير علىٰ بابي الأول: دراسة جامعة شاملة علىٰ الزهد، وطعمتها بالآيات والأحاديث، وكلام سلف الأمة الصالح. ليتصح الزهد وفق مفهوم أهل السنة والجماعة بعيداً عن ابتداع الصوفية ومن شاكلهم، وقد بيَّنَ ذلك أن أعظم الزاهدين هم علماء أهل السنة، وغيرهم ما هم إلا أدعياء واهمون .

والباب الثاني: جمعت أربعين موعظة، ما بين مواعظ نثرية، أو شعرية، وردت علىٰ ألسنة سلف الأمة الصالح الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

فيكون الباب الأول: التأصيل السلفي وفق منهج أهل السنة والجماعة لحقيقة ومعنى الزهد .

ويكون الباب الثاني: أربعون نموذجاً لهذا التأصيل .

وقد اخترت الأربعين تمشياً مع الهدي الشرعي في جمع العلم وفق الأربعينيات .

٧ ـ قمت بعمل دراسة علمية موثقة عن الأربعينيات وكيف نشأت، وعلىٰ أي الأدلة قامت، وحكم كل دليل .

٨ ـ قمت بعمل الفهارس اللازمة للكتاب .

٩ ـ قمت بعمل ترجمة مختصرة للسيوطي ـ وهو غني عن التعريف والترجمة ـ تبين أهم ما ينبغي معرفته عن ذلك الإمام الحبر مجدد القرن التاسع الهجري .

وأسأل الله تعالىٰ أن أكون قد وفقت بتقديم الخدمة اللآئقة بذلك الكتاب النفيس، وأن أكون قد أخرجت تلك المخطوطة الرائعة بطريقة تناسب كلام صاحبها النبي ـ محمد ﷺ ـ وكلام جامعها السيوطي رحمه الله .

وأن تكون الدراسة التي قمت بها مقربة ، وجامعة، وموضحة، ومؤصلة لمعنى الزهد وفق معتقد أهل السنة والجماعة، وما ينبغي لكل مسلم أن يعلمه عن الزهد كما أراده الله تعالىٰ، وبينه رسوله ﷺ وفق منهج سلف الأمة الصالح .

المبحث الرابع

المؤلف: جلال الدين السيوطي .

في كتابه: " حسن المحاضرة " عرفنا بنسبه، واسمه ، وكنيته، ولقبه: فهو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر بن عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الخضيري . السيوطي .

كنيته: أبو الفضل .

ولقبه: جلال الدين .

أما أسرته: فكما يبدو في سلسلة النسب تحمل ألقاباً يقوم التشريف فيها علىٰ الدين، ما بين همام الدين ، وناصر الدين ، ونجم الدين، وسيف الدين، وفخر الدين .

أما مولده: فقد جاء إلىٰ الدنيا بعيدْ المغرب من ليلة الأحد مستهل رجب عام ثمانمائة وسبعة وأربعين للهجرة .

وكان مسقط رأسه ببلدة أسيوط، مسكن أجداده ومأوى أسلافه، فهو الأسيوطي، وهو السيوطي ، وعاش ليملأ الدنيا بعلمه، ويشغل الناس بتآليفه وتصانيفه، ويصبح إمام عصره، ودهره، وكيف لا وهو المؤلف الموسوعي الذي أربى علىٰ كل الموسوعيين في التأليف كثرة وتنوعاً .

لقد لقي ربه ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة الشريفة، وما زال يحيا بيننا بعلمه النافع جيلا بعد جيل والذكر للإنسان عمر ثان !!

مشايخه: ذكر السيوطي في " حسن المحاضرة " عدة مشايخه في الرواية سماعاً وإجازة فقال: " وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثير، أوردتهم في المعجم الذي جمعته فيه، وعدتهم مائة وخمسين" علىٰ أن السيوطي أخذ العلم

من الكتب أكثر مما أخذه عن الأشياخ، واستقى من الدفاتر فوق ما سمعه من أفواه الرجال؛ فقد وهبه الله ذاكرة حافظة تصويرية، يحفظ ويصور ما يقرأه في عقله، كماكينات التصوير بمجرد مرور الضوء عليها، تعطيك صورة طبق الأصل. وعقلاً ضابطاً، وذهناً مدركاً، وقدرة مثابرة علىٰ القراءة، وميلاً إلىٰ العلم ، وصبراً علىٰ القراءة والكتابة ، فكان كما أراد حيث تطلع أن يكون إمام المائة التاسعة ومجددها!!

مؤلفات السيوطي:

هي كثيرة جداً ويكفيك أن تطالع كشف الظنون وسلسلة الفهارس، وأبجد العلوم، وهداية العارفين ترى عجباً .

وتم احصاء مؤلفاته فربت عن سبع مائة وخمسة وعشرين مصنفاً .

ما بين مجلدات كثيرة، وكتاب مفرد، وأجزاء حديثية وغير ذلك من أنواع المصنفات .

تم الطباعة لما يزيد عن مائين، وأرجو أن ينضم هذا المخطوط إلىٰ المطبوع بإذن ربه جلا وعلا .

عبقرية السيوطي وتميزه في فن التآليف:

يقول الإمام السيوطي: لو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها، وأدلتها النقلية، والفلسفية ومداركها، ونقوضها، وأجوبتها لقدرت علىٰ ذلك من فضل الله .

السيوطي وعلم الحديث:

انتهت إليه الرياسة في علم الحديث وسلم إليه الحفاظ بذلك، وقال عنه غير واحد من مترجميه، إنه كان أعلم أهل زمانه بالحديث ورجاله ، ومتونه، ولغته، وكان أقدرهم علىٰ استنباط الأحكام منه .

ولقد كان تبحره في علم الحديث دافعاً له علىٰ أن يفتح مجلساً لاملائه، علىٰ حين كان محدثو عصره قد تهيبوا ذلك وأحجموا عنه، وشكوا في أهليتهم. تورعاً. له.

وذلك كان فضل من الله علىٰ الأمة، فقد توقف إملاء الحديث تسع عشرة سنة بعد ابن حجر، ومن قبله ابن الصلاح ثم ولده، فافتتحه السيوطي أول سنة ثنتين وسبعين فأملى ثمانين مجلساً ثم خمسين أخرى .

فهذا هو خاتمة الحفاظ والذي ملأ طباق الأرض علماً، رحمه الله تعالىٰ .

الباب الأول

دارسة شاملة عن الزهد
وفق منهج أهل السنة والجماعة
وعلى ضوء الكتاب والسنة
بفهم السلف الصالح

الباب الأول

دراسة شاملة عن الزهد

تصدير: اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أنه يجب علىٰ الإنسان أولاً أن يعلم أنه عبدٌ مربوب لا نجاة له إلا بتقوى الله تعالىٰ، ولا هلاك عليه بعدها ثم يفكر " لأي شيء خلقه الله، ولما خرج في هذه الدار الفانية فيَعلم أنه لم يُخلق عبثاً.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القِيَامَة: ٣٦] .

وإنما كان حال الإنسان للاختيار والابتلاء، هل يطيع ربه فينتقل إلىٰ دار نعيم أبدي سرمدي، أو يعصي ربه فينتقل إلىٰ عذاب الأبد إلىٰ جهنم وبئس المهاد.

إذا فهم ذلك علم أنه لا نجاة له إلا بطاعة الله، وأن الدليل علىٰ طاعة الله العلم، ثم العمل بأمره، ونهيه، في مواضعه، وعلله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لأن الطاعة سبيل النجاة والعلم هو الدليل علىٰ السبيل ، يقول تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محَمَّد: ١٩] .

لذا كان الأمر بالزهد علىٰ منهاج أهل السنة والجماعة، وبفهم أهل السنة والجماعة، وقد ضرب سلف الأمة الصالح النبي وأصحابه أروع النماذج في فهم حقيقة الزهد، والعمل به، وليس كهؤلاء الذين اتخذوا الزهد مطية للبدعة، والضلالة؛ فأوصلتهم إلىٰ البدعة بكل أنواعها، سواء كانت بدعة العمل، أو بدعة الاعتقاد.

فخسروا بذلك دنياهم وحرموا من نعيم الله الذي أعده الله تعالىٰ لعبده فيها.

وانقطعت بهم السبل عن طريق الآخرة، فما وصلوا إلىٰ مرضاة الله، والفوز بنعيمه الأبدي في جنات رب العالمين. نسأل الله تعالىٰ أن نكون جميعاً من أهلها.

وصدق الله تعالىٰ حين قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وقد أعددت هذه الدراسة عن الزهد وفق معتقد أهل السنة والجماعة، بعيدا عن مطايا وضلالات المبتدعة بكل أطباقهم والذين شوهوا حقيقة الزهد وضيعوا معناه، من أمثال غلاة الصوفية والشيعة، وكانت عدتي ومطيتي ذلك المعتقد السديد القويم منهج السلف الصالح، ووالذي خلق السماء والأرض، إنه معتقد ما أعظمه، وما أرشده فالخير في هداه والسير علىٰ خطاه.

ووجدت مئات الأقوال والمأثورات بدءاً من الآيات، والأحاديث، وآثار وأقوال السلف، مما جعلني أجمع شمل هذه الدرر البهية، والنفائس الجلية، والثمار الجنية، والتي عليها نجاة العبد، وتنعمه في الدنيا والآخرة في فصول ومباحث، وإني أسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد فهو بكل جميل كفيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

وانتظم ذلك الجمع الكريم لهذا الشمل الخير العظيم كالتالي:

الفصل الأول: تعريف الزهد:

وفيه مبحثان:

الأول: الزهد لغة.

الثاني: الزهد شرعاً.

الفصل الثاني: الزهد وعلوم العقيدة:

بينت فيه التأصيل الشرعي بأن الزهد المقبول عند الله تعالىٰ هو الزهد القائم علىٰ منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم.

الفصل الثالث: الزهد دواعي وأسباب.

المبحث الأول: الزهد طريق السعادة في الدارين :

وبينت فيه أن الزهد أصل كل صلاح وخير للعبد في الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: الزهد طريق لحسن الخاتمة.

المبحث الثالث: الزهد طريق النجاة من سوء الخاتمة.

المبحث الرابع: الزهد ليس له جزاء إلا الجنة.

الفصل الرابع: أنواع الزهد وأقسامه.

الفصل الخامس: **مباحث شرعية تتعلق بالزهد**:

وفيه مباحث: **الأول**: الزهد والدنيا.

المبحث الثاني: الزهد والحلال.

المبحث الثالث: الزهد والحرام.

الفصل السادس: **أصول يعلو بها شأن الزهد ويؤتي ثماره**:

وفيه المباحث التالية: الأول: العلم والبصيرة وعلاقتها بالزهد.

المبحث الثاني: إرادة الآخرة، وجعل الهموم هماً واحداً.

المبحث الثالث: كثرة ذكر الموت.

المبحث الرابع: الدعاء سنة الأنبياء وجالب كل خير.

الفصل السابع: **الزهد وواقعنا المعاصر.**

ثم الخاتمة

وبهذه الفصول السبعة أكون قد جمعت جل ومعظم الأدلة والآثار الواردة في الزهد، وفق منهج واعتقاد أهل السنة والجماعة، مما يجعل هذا الخُلق الكريم والهدي السديد ـ الزهد ـ من الوضوح بمكان ويكون مطية لنا، وزاداً لحسن الرجوع والمراد إلىٰ ربنا جلا وعلا.

وأسأل الله تعالىٰ أن تكون هذه الدراسة مدخلاً جيداً لذلك الكتاب النفيس ـ الزهد ـ للإمام السيوطي . موضحاً ما أراده ذلك الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يصل إلىٰ الناس، كي ينتفعوا بالعلم الشرعي ـ وخاصة الزهد ـ للوصول إلىٰ مرضاة رب العالمين.

والله من وراء القصد، ومن وراء السبيل، وهو بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الفصل الأول

تعريف الزهد

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الزهد لغة

المبحث الثاني: الزهد شرعاً

أو حقيقة الزهد ومعناه عند سلف الأمة الصالح

المبحث الأول

الزهد في اللغة

معلوم أن الزهد في الدنيا هو أصل كل خير وقوامه ولبه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدنيا كامرأة بَغِّي لا تثبت مع زوج، وإنما تخطب الأزواج يستحسنوا عليها، فلا ترضى إلا بالدياثة.

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنها حلفت لنا ألا تفي

والسير في طلبها سير في أرض مسبعة، والسياحة فيها سياحة في غدير التمساح، المفروح به منها هو عين المحزون عليه، آلامها متولدة من لذاتها وأحزانها أفراحها[1].

لذا وجب علينا أن نحرر بدقة مطية النجاة من ذلك ألا وهو الزهد، فكان لزاماً أن نبدأ ببيان معنى الزهد في اللغة ومتعلق ذلك بمعناه الشرعي.

قال علماء اللغة:

زَهَدَ، وزَهِدَ: زُهداً، وزَهَداً وزهادَةَ، وزَهُدَ. زهادة: في الشيء: تركه وأعرض عنه، والجمع: زُهَّاد.

وقالوا: الزهادة في الأشياء كلها: ضد الرغبة.

وقال الخليل: ولا يقال الزُّهد إلا في الدِّين.

وقالوا: أزهَدَ الرجُلُ: قل ماله فلا يُرغب فيه لقلتّه.

وقالوا: أزدَهَدَ العطاء: عده قليلاً.

---

(١) الفوائد (٤٦).

وقالوا: تزاهدوه : احتقروه.

وقالوا: تزهَّد: تعبد وكان من الزاهدين.

وقالوا: الزَّهدُ: الزكاةُ.

وقالوا: خذ زُهْدَ ما يكفيك : أي قدر ما يكفيك.

وقالوا: الزَّاهِدُ: الذي لا يغلب الحلال شُكْره ولا الحرامُ صبره.

وقالوا: الزهيد: الحقير ـ القليل لخير، واللئيم المزهود.

وقالوا: المُزهِدُ: القليل المال وغيره.

وقالوا: الزَّهيد العين: الذي يقنعه القليل وضده الرغيب العين[1].

والحاصل: أن الخلاصة من سرد تلك المعاني اللغوية أن الزهد في اللغة ـ فيما يخص بحثنا ـ معان ثلاث:

الأول: أن الدنيا وحطامها ـ مال وغيره ـ ما هو إلا أمر زهيد قليل حقير ـ نفعه لا يستحقه ضياع الآخرة من أجله.

الثاني: أن الزهد زكاة للنفس وطهارة لها لذا فهو محمود، وأن الرغبة ما لم تقيدها بقناعة وزهد مهلكة مذمومة.

الثالث: أن العابد لربه لا غنى له عن الزهد، وهو أن يأخذ ما يكفيه، وأن يكون للحلال جامعاً شاكراً، وللحرام مبتعداً صابراً.

وتلك المعاني الثلاث: تعد مقدمة هامة للمعنى الشرعي للزهد، وأرض قيعان لمنابت وبذور المعنى الشرعي للزهد. فالمعنى اللغوي دائماً يؤكد وبوضوح المدلول الشرعي.

فإلىٰ الزهد شرعاً.

---

(١) معجم متن اللغة / مادة زهـ د (٣/ ٦٧/ ٦٨) للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا ـ عضو المجمع العلمي بدمشق .

المبحث الثاني

الزهد شرعاً أو حقيقة الزهد وفق معتقد أهل السنة والجماعة

وقبل البدء أذكر بأصل جميل رائع قاله ابن القيم : "تزخرفت الشهوات لأعين الطباع، فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب، ووقع تابعوها في بيداء الحسرات، وأولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، وهؤلاء يقال لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون، لما عرف الموفقون، قدر الحياة الدنيا، وقلة المقام فيها، أماتوا فيها الهوى، طلباً لحياة الأبد، لمَّا استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما نهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم السلام تلمموا المقصد فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرَّت لهم الحياة حَلَى لهم تذكُّرُ ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] "[١].

ولذا وجب علينا أن نقف على المعاني الشرعية والتي أرادها الله تعالىٰ، ووضحها نبيه ﷺ للزهد.

فتعالوا بنا نسير في تلك الرياض النضرة، والتعريفات البهية لمعنى الزهد:

القول الأول: يقول ابن رجب: " الزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأنس والشوق إلىٰ لقائه، وهذه الأمور ليست من الدنيا كما كان النبي ﷺ يقول: « **حُبِبَ إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٢] ولم يجعل الصلاة مما حبب إليه من الدنيا. كذا في المسند والنسائي، وأظنه وقع في غيرهما « **حبب إليّ**

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠).

(٢) أخرجه النسائي (٨٨٨٧/ ٨٨٨٩) وأحمد (٣٢٨٥) وصححه الحافظ ابن حجر (١١/ ٣٤٥) وإسناده قوي.

من دنياكم ثلاث» فأدخل الصلاة في الدنيا، ويشهد لذلك حديث: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه أو عالماً أو متعلماً** »[(١)].

فالدنيا وكل ما فيها ملعونة، أي مبعدة عن الله لأنها تشغل عنه، إلا العلم النافع الدال علىٰ الله، وعلىٰ معرفته، وطلب قربه ورضاه، وذكر الله وما ولاه مما يقرب من الله فهذا هو المقصود من الدنيا"[(٢)].

قلت: وأشار كلام ابن رجب إلىٰ لفتات علمية هامة:

الأولى: أن حقيقة الزهد تفريغ القلب من شواغل الدنيا، كي يصل إلى مرضاة ربه جلا وعلا.

الثانية: قلة شأن الدنيا وأنها لا تستحق المعاناة.

الثالثة: علم النبي ﷺ الأمة أن التمتع بالدنيا لا يعني أن تنشغل عن الله تعالىٰ، كما حبب للنبي ﷺ الطيب والنساء وكل ذلك في طاعة الله تعالىٰ. وأعظم ذلك المحبب لنفسه ﷺ هو الصلاة، فهي قرة العين، وأعظم المحبوب.

إشارة منه ﷺ إلىٰ جميع الطاعات والعبادات.

القول الثاني: لابن رجب أيضاً:

يقول: معنى الزهد في الشيء: الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه، يقال: شيء زهيد: أي قليل حقير[(٣)].

قلت: هذا ما وضحته حين تعرضت لمعنى الزهد لغة. فانتبه لذلك الكلام النفيس كلام ابن رجب رحمه الله.

القول الثالث: للجنيد: " الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد.

والمراد: أن لا ينشغل القلب بحطام الدنيا، وما لا يملك.

القول الرابع: فيه بيان فضل الزهد:

يقول يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح.

القول الخامس: وهو قول جميل لابن الخفيف يقول: الزهد وجود الراحة

---

(١) سيأتي تخريجه في تخريج أحاديث السيوطي.

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٠٠). (٣) جامع العلوم والحكم (٢٨٩).

في الخروج من الملك.

ويقول في موضع آخر: الزهد: سلو القلب عن الأسباب ونقص الأيدي من الأملاك.

القول السادس: قول الأمام أحمد: "الزهد في الدنيا قصر الأمل".

ويقول: "أنه عدم الفرح بالإقبال علىٰ الدنيا، ولا حزنه علىٰ إدبارها، فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار أيكون زاهداً، فقال: نعم، علىٰ شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.

القول السابع: عن عبد الله بن المبارك يقول: الزهد: هو الثقة بالله مع حب الفقر، وهذا قول شفيق بن أسباط".

القول الثامن: عن عبد الواحد بن زيد " هو الزهد في الدينار والدرهم".

القول التاسع: رويم الجنيد: قال: " الزهد استصغار الدنيا ومحو أثارها من القلب.

وقال مرة: هو خلو اليد عن الملك والقلب عن التتبع".

القول العاشر: قال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم؟

فقال: " إذا صرت من رياضتك لنفسك إلىٰ حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك علىٰ بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح".

ـ **قلت**: ومراد يحيى بن معاذ هنا: هو قوة اليقين والتوكل والثقة بالله تعالىٰ وما عنده.

القول الحادي عشر: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة ".

القول الثاني عشر: للحسن البصري: " من أحب الدنيا وسرته خرج حب الآخرة من قلبه".

القول الثالث عشر: وهب بن منبه: " إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى".

القول الرابع عشر: يقول أبو الدرداء: " لئن حلفتم لي علىٰ رجل أنه

أزهدكم لأحلفن لكم أنه خيركم".

القول الخامس عشر: عمرو بن العاص الصحابي: " ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ إنه كان أزهد الناس في الدنيا وأنتم أرغب الناس فيها".

القول السادس عشر: يقول عبد الله بن مسعود لأصحابه: " أنتم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: كيف ذلك؟ قال: " كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب منكم في الآخرة".

قلت: الأقوال الواردة في بيان معنى الزهد كثيرة لا يمكن حصرها، ولكن هذه النماذج السابقة بينت أن الزهد لا يستقيم للعبد، ولا يُتحصل له إلا إذا:

١ . علم ضآلة الدنيا وحقارتها وقلة شأنها.

٢ . فإذا علم ذلك أخرجها من قلبه فلا يفرح بزيادة فيها أو نقص من متاعها.

٣ . سخر هذه الدنيا ومال أوتى فيها من نعم في طاعة الله تعالىٰ، وجعل متاع الدنيا زاداً ومطية تبلغه لنعيم الآخرة، وأن يكون برحمة من الله وفضل من عمار الآخرة، وأصحاب جنات النعيم.

٤ . أن يثق في الله تعالىٰ، وقدره، وأن يعلم أن ما عند الله تعالىٰ أدوم، وأعظم، وأفضل له فلا يبالي أكان ممن يملك من متاع الدنيا الكثير، أو القليل.

فهي دار لها بابان دخل في الأول وخرج من الآخر.

فإذا تحقق للعبد هذه الأمور تحصل علىٰ حقيقة الزهد: في قوله، وفعله، ومن ثم تحصل علىٰ ثماره اليانعة الطيبة.

أسأل الله تعالىٰ لي ولك وللمسلمين أجمعين زهادة في المعصية، وإقبالاً علىٰ الدار الآخرة. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الثاني : الزهد وعلوم العقيدة

والحق الذي اتفق عليه علماء السلف الصالح، أهل السنة والجماعة أن الزهد مبعثه، وقوامه علىٰ هذا المعتقد السليم والذي أراده رب العالمين، علىٰ لسان رسوله الأمين ﷺ.

ولا شك في أن كمال سعادة العبد، لا يتحقق له إلا بالزهد الحقيقي، ليتحقق للعبد كمال العبودية لله تعالىٰ ولذا كانت غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله ﷻ، وقد وصف الله تعالىٰ أكابر خلقه بالعبودية، وشرفهم بوصفها يقول تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النِّساء: ١٧٢].

ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال في وصف سيد المرسلين ﷺ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وهكذا تبين أن العبودية شرف كبير، ومنزلة عظيمة، وأن تحقيق هذه العبودية يكون بالزهد في الفانية والإقبال علىٰ الآخرة تلك الدار العامرة.

وذلك الإقبال يكون وفق منهج أهل السنة والجماعة فبفهم الزهد علىٰ طريقة النبي وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، ولا يفهم الزهد علىٰ منوال وطريقة المبتدعة الصوفية والشيعة ومن نحا نحوهم وما أكثر البدعة وأهلها.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الرابط والقاسم المشترك بين العقيدة، وعلم الزهد والرقائق؟

وهذا السؤال سأجيب عليه بجوابين:

الأول: إجابة إجمالية.

الثاني: إجابة تفصيلية.

أولا الإجابة الإجمالية : وهي العلاقة بين العقيدة، والزهد: وهى علاقة طردية.

يقول ابن القيم موضحاً تلك العلاقة: "والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي علىٰ القلب، والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالىٰ: بالضر، والنفع، والعطاء والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً وعلمه بسمعه وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فإنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه، وجوده، وبره وإحسانه، ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك علمه بكماله، وجماله، وصفاته، العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية كلها إلىٰ مقتضى الأسماء والصفات[(١)].

قلت: ولله در ابن القيم، وهذا الكلام النفيس وضح أن منازل العبودية، وتحققها بجميع أنواعها والتي هي في حقيقتها تحقق معنى الزهد كلها راجعة إلىٰ العقيدة الصحيحة الصافية، ألا وهي عقيدة الأسماء والصفات.

والتوحيد بأنواعه جميعاً سواء كان توحيد الربوبية، أو توحيد الألوهية، أو الأسماء والصفات.

وأستطيع أن أدلل علىٰ كلام ابن القيم السابق بحديث للنبي ﷺ : « إن لله

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠) .

تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »[١].

ووجه الاستدلال هنا أمران:

الأول: ربط النبي ﷺ بين إحصاء التسعة والتسعين إسما من أسماء الله ﷻ بدخول الجنة ، ولا يدخل جنة الآخرة ويخلد في نعيمها إلا من دخل جنة الدنيا، وهى معرفه الله تعالىٰ ومحبته وفرح القلب به والشوق إلىٰ لقائه، وهذا هو حقيقة الزهد ومعناه.

الثانى: المراد بإحصاء الأسماء يوضحه ابن القيم فيقول: "إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له أو أمراً. ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى "[٢].

ثم قال: مراتب إحصاء الأسماء التي من أحصاها دخل الحنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح.

المرتبة الأول: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فلا يثني عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها[٣].

وبهذا الشرح السابق تكون الإجابة الإجمالية قد وضحت من خلال كلام العلماء أن العقيدة أصل كل عمل، وهي الباعث لكل عمل، وأن العمل الصالح دليل صدق إيمان العبد، وأن الزهد والذي هو في حقيقته إتيان منازل العبادة بجميع أنواعها لا يكون إلا وفق المعتقد السليم الراشد معتقد أهل السنة والجماعة، وليس الشطح والهيام، والكشف وتلك الخرافات والدجل، والذي ضلل به الشيطان خلقاً كثيراً من العباد بنعيم الله اله في دنياه، وحرموا أنفسهم من لقياه.

الإجابة التفصيلية

وهذه الإجابة بإذن الله تعالىٰ أننا سنعرف تعريفاً إجمالياً لأركان الإيمان ثم بين أثر ذلك علىٰ العبد وكيف يجعل ذلك الأثر العبد من الزاهدين العابدين المقبولين.

---

(١) البخاري (١١/ ٢١٤) مع الفتح الدعوات ومسلم (١٧/ ٥/ ٦) الذكر والدعاء .

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٣) .

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٦٤) .

الركن الأول: الإيمان بالله تعالىٰ:

والحقيقة أنني أقف عاجزاً أمام ما ذكره ابن القيم لبيان هذا الركن وأثره علىٰ العبد وإنما اكتفي هنا بنقله من كتابه الفوائد: " تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله. سبحانه وتعالىٰ. وله الحمد كله، أزمَّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، مستوياً علىٰ عرشه لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته عالماً بما في نفوس عبيده، مطلعاً علىٰ أسرارهم، وعلانيتهم، منفرداً بتدبير ملكه، يسمع ويرى ويعطي ويمنع، ويثيب، ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك في ذرة إلا بإذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني علىٰ نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم علىٰ ما فيه سعادتهم، وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فيذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامهم، ويحذرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه بأوليائه، وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني علىٰ أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعدائه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال، وينوع الأدلة" . ويستمر ابن القيم في هذا الوصف الرائع ولولا الخوف من الإطالة لذكرت البقية. إلىٰ أن يقول: " فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه أثر عندها من رضا كل ما سواه، وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق إليه، والأنس به هو غذاؤها وقوتها، ودواؤها بحيث إذا فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها "[1].

قلت: وهل الزهد غير ذلك، فانتبه لكلام هذا الإمام القيم ابن القيم يتضح المقال.

ولتمام الفائدة أنقل لك كلاماً له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع علمه وزهده، وعبادته وارتفاع

---

(١) الفوائد بتصرف (٢١/ ٢٢) .

وشدة عبادته يقول عن نفسه: " فوأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده حسرة وأسفاً اللهم فلك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله "(١).

أقول: هذا هو أثر الزهد، فابن القيم من العلماء العاملين العابدين المجاهدين، ومع ذلك يتهم نفسه تلك التهمة فأين أنت يا غافل يا من غرتك الدنيا وزينتها.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

هو الركن الثاني من أصول الإيمان الستة، والتي بها يتحصل العبد علىٰ مرضاة الله تعالىٰ، ورحمته في الدنيا والآخرة، وأقول: كذا يتحقق منهج الزهد الصحيح السديد بهذا الإيمان . فالملائكة تلك الأجسام النورانية، والتي خلقت من النور، ذوات أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وهم مستغرقون في طاعة الله تعالىٰ وعبادته لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهم منزهون عن المعاصي، والشهوات، خائفون من رب الأرض والسماوات، وهم لهم وظائف كلها في طاعة الله تعالىٰ، فمنهم الموكل بالمطر، والموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل، ومنهم جبريل أقوى الملائكة وأعظمهم عند الله تعالىٰ، وهؤلاء الثلاثة يثبت تسميتهم بالوحي، ولم يثبت الوحي اسماً لملك الموت ومن الخطأ أن يظن أنه عزرائيل كما هو مشهور علىٰ ألسنة الناس بل سماه الله تعالىٰ ملك الموت، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: ١١] .

وأعظم وظائف الملائكة هي العبادة الدائمة لله تعالى، فهم لا يملون من طاعة الله تعالىٰ وهذا ورد في كتاب ربنا جلا وعلا ، يقول تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]

ويقول تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٨] .

---

(١) طريق الهجرتين (ص١١) .

فإذا علمت هذا المعتقد، و ـ هو على سبيل الإجمال ـ عن الملائكة، علمت أن الزهد، وهو الجامع لشتى العبادات هو أثر واضح ترتب على الإيمان بالملائكة، فهم عبادُ لله تعالىٰ لا تنقطع عبادتهم، ولا يفتر عزمهم، ولا يمل سعيهم وجهدهم، وهم لا يعصون لله أمراً، وهم خائفون وجلون لله تعالىٰ، يرجون رحمته، ويخافون عذابه. وهذا هو حقيقة الزهد.

فالملائكة نماذج للعباد الزهاد الذين عبدو الله حق العبادة على المنهج الذي يرضى ربنا جلا وعلا ويقبله، ويحبه.

ولذا أستطيع أن أجمل أثر هذا الاعتقاد في تعليم الموحدين الزهد بمعناه الصحيح، فيتبين إن شاء الله تعالىٰ العلاقة بين العقيدة والزهد، وسيكون ذلك البيان في نقاط متتابعة:

أولا: الإيمان بالملائكة هو اتباع لأمر الله تعالىٰ وأمر رسوله، يقول تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

فإذا آمن العبد بذلك ترتب على ذلك سعادة ورضا بأمر الله تعالىٰ، وزهد في معصية الله، وإحجام عنها وإقبال على طاعة الله تعالىٰ.

وهذا أحد الركائز الأولى للزهد.

ثانياً: الإيمان بالملائكة يعلم المسلم المؤمن أن يستأنس بهم ويسعد بحبهم، وصحبهم، فهم أمناء عليه، رقباء على عبادته، ينقلون ذلك لرب العالمين، فالمؤمن إن توحش من الناس وجد في صحبة الملائكة الأنس بالله وعبادته. فيثبت العبد على طاعة الله تعالىٰ. وهذا هو الركن الثاني من أركان الزهد هو طاعة الله تعالىٰ والثبات عليها.

يقول تعالىٰ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال: ١٢].

ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فُصّلَت: ٣٠].

وهكذا يتحقق للعبد أحد أركان الزهد وأهمها بهذا الأثر العقدي كما وضحه الله تعالىٰ فانتبه.

ثالثاً: من الإيمان بالملائكة، وعلم العبد بوظائف ودور الملائكة في حياة العبد المؤمن يزيد من محبة العبد لربه ، والإقبال عليه شكراً له، وذلك لاستشعار المؤمن فضل الله ورحمته بما تقدمه الملائكة من عوائد الخير، والرحمة للعبد بأمر ربهم.

وهذا بعض البيان لذلك وليس كله؛ فإذا علم العبد أن الملائكة يحفظون العبد بأمر ربهم عملاً بقول الله تعالىٰ : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرّعد: ١١] .

والمعنى يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر تخلو عنه حتى ينفذ فيه قدر الله، وجد العبد نعمة ربه حاضرة، سابغة عليه فازداد بذلك عبادة لربه حمداً وشكراً وحباً له.

رابعاً: الملائكة أكثر خلق الله عبادة، وتسبيحاً وتهليلاً وسجوداً لله تعالىٰ، وهم يفعلون ذلك بلا ملل ولا كلل، وكذا بغض الملائكة للمعاصي، ولذا أمر النبي ﷺ علىٰ التشبيه بهم في انتظامهم وتراص صفوفهم، وإكمال الأول فالأول.

وهل الزهد الذي يحبه ربنا ويرتضيه إلا ذاك؟!

خامساً: الإيمان بالملائكة يزيد الإيمان في قلب العبد وذلك لعلم العبد عن طريق وحي الله تعالىٰ كتاباً وسنة أن الملائكة هم أعظم الخلق هيئة وقوة، ومع ذلك أكثر الخلق عبادة وطاعة لربهم جلا وعلا. فإذا علم ذلك زاد إيمانه بربه، وازداد تواضعاً وطاعة لله تعالىٰ، وخذ مثالاً علىٰ ذلك:

يقول ﷺ : «**أُذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه وعاتقه تخفق الطير خمسمائة عام**»[1].

فإذا علم العبد ذلك ازداد إيماناً بربه ويقيناً عليه وحباً وتعظيماً لشأنه سبحانه وتعالىٰ.

والخلاصة أن التفكر في عظمة الملائكة يدلنا علىٰ عظمة الله تعالىٰ وكلما ازداد تعظيم المؤمن لربه جلا وعلا ازداد طاعة له وكفاً عن معصيته.

وأقول: وهل الزهد الذي هو وفق منهج أهل السنة والجماعة غير ذلك، بل ذلك هو عين الزهد!!

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) السنة وصححه الألباني (١٥١) .

الركن الثالث: الإيمان بالكتب وأثره في تحقيق الزهد.

نعم الإيمان بالكتب المنزلة، وقد سمى الله ﷻ من هذه الكتب القرآن علىٰ رسوله محمدﷺ، والتوراة علىٰ رسوله، والإنجيل علىٰ عيسى، والزبور علىٰ داود، وكذا صحف إبراهيم وموسى، وبين الله ﷻ في مواضع كثيرة من كتابه أن الواجب علىٰ المؤمن أن يؤمن بكل ما نزل علىٰ الرسل الكرام، وما أوتي النبيون من رب الأنام، من ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وخلاصة ما يعتقده المؤمن الموحد هنا أمور:

الأول: أنها منزلة من عند الله جلا وعلا علىٰ رسله الكرام بالحق المبين والهدي المنير المستبين.

الثاني: اعتقاد ما بها أنه كلام رب العالمين . مع الإشارة الهامة أنه لا يوجد كتاب صحيح الآن إلا القرآن، وأن التوراة والإنجيل محرفتان، وأقصد الأناجيل والتوراة الحالية.

الثالث: اعتقاد وجوب ما تضمنته هذه الكتب من شرائع الذين نزلت إليهم في زمانهم. أما أهل القرآن وجب عليهم العمل بما نزل في القرآن وهو غناء وكفاية: يقول تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

الرابع: تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وقد أثبت الله تعالىٰ ذلك التحريف في القرآن فقال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّساء: ٤٦] .

ويقول تعالىٰ موضحاً التحريف الذي حدث للإنجيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

الخامس: اعتقادنا الجازم أن كلام الله ـ القرآن الكريم ـ غير مخلوق لأن الكلام صفة من صفات الله جلا وعلا يتكلم كيف شاء بما شاء. وهكذا اعتقاد

أهل السنة والجماعة نموت عليه بإذن الله تعالىٰ ونرجو من الله النجاة من النار بذلك الاعتقاد.

وهنا أجيب علىٰ السؤال أو مدار البحث، العلاقة بين الزهد والاعتقاد الصحيح، اعتقاد أهل السنة ، وهو الإيمان بالكتب؟!

والإجابة أن هذا الاعتقاد يحقق للعبد الموحد أموراً إيمانيه هامة بها يتحصل علىٰ الزهد:

أولاً: الإيمان بالشرائع المنزلة في هذه الكتب، والقرآن وهذه الشرائع فيه من الهداية والإرشاد، والتعاليم، والأوامر، والنواهي ما تجعل من العبد عبداً ربانياً مقبولاً عند الله تعالىٰ.

ثانياً: الأحكام الشاملة لكل نواحي الحياة بدءاً من العبادات كالصلاة، والصيام، والحج والعمرة، والزواج والطلاق، والمعاملات، والبيوع، إذا التزم بها العبد استقامت كل حياته علىٰ منهج الله وهذا هو المعنى الجامع الشامل للزهد بمعناه الصحيح؛ وفق معتقد أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: اعتقاده بأن القرآن كلام الله تعالىٰ حقيقة وهو من فاتحته إلىٰ خاتمته شاهد بذلك، وما أتى به من وعد وعيد وقصص السابقين وما تحمله من خير للطائعين، وانذاراً ووعيداً للعاصين فيفرح أهل الزهد والإيمان ويثبتوا علىٰ توحيد الرحمن، ويخشى أهل العصيان من غضب الجبار فيتوبون، ويرجعون، فينجون بإذن الله تعالىٰ ويدخلون في رحمته، وهل الزهد إلا ذلك؟

رابعاً: سيبقى الإيمان، والطاعة والزهد ـ كل هذه الأصول ـ محفوظة ما قامت السماوات والأرض لأن مرتبطة بكتاب الله تعالىٰ القرآن، والوحي التفسيري لها السنة النبوية. فإذا علم العبد ذلك ازداد يقيناً بالله وطاعة له سبحانه وتعالىٰ وهذا هو الزهد.

وأعجبني قولاً طيباً للدكتور سليمان الأشقر في ذلك المعنى فقال: " أما هذه الرسالة الخاتمة فقد تكفل هو بحفظها ولم يكل حفظها إلىٰ البشر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩].

وانظر اليوم في هذا العالم شرقه، وغربه لترى العدد الهائل الذي يحفظ القرآن عن ظهر قلب، بحيث لو شاء ملحد أو يهودي، أو صليبي تغيير حرف منه،

فإن صبياً صغيراً، أو ربة بيت. أو عجوزاً لا يبصر طريقه. يستطيعون الرد عليه وبيان خطئه وافترائه ناهيك عن العلماء الذين حفظوا وفقهوا معانيه وتشبعوا بعلومه.

وانظر إلىٰ تاريخ هذا الكتاب، وكم نال من عناية ورعاية في تدوينه وتفسيره، وإعرابه، وقصصه، وأخباره، وأحكامه. وما كان ذلك ليكون لولا ذلك الحفظ الإلهي الرباني، وسيبقى الكتاب إلىٰ أن يأذن الله بزوال هذا الكون ودماره(١).

قلت: وبهذه المعاني السابقة يتحقق الزهد معناً، وفعلاً في القلوب المؤمنة، بل ويستمرون في العمل به ما دامت أنفاسهم تتصاعد بين جنباتهم. وهذه العلاقة الوشيجة بين العقيدة والإيمان بالرسل هي أحد الركائز التي يقوم علىٰ الزهد، والطاعة فإن انعدم هذا المعتقد انعدم الزهد. فانتبه.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

وخلاصة هذا المعتقد أن الإيمان بالرسل والكفر بهم يدور علىٰ مدار الإيمان والكفر، فالإيمان بهم إيمان، والكفر بهم أو بأحدهم كفر يؤبد صاحبه في النار.

يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

ويقول القرطبي مفسراً ذلك: " نص سبحانه وتعالىٰ أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإن كان كفراً لأن الله فرض علىٰ الناس أن يعبدوه بما شرعه علىٰ ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بها بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر؛ لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية وكذلك التفريق بين الله ورسله"(٢).

---

(١) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٢٤١.٢٤٢) الرسل والرسالات.

(٢) القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٠٠١).

والرسل بشر من البشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

يقول تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

والرسول لا يكون إلا رجلاً: وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الأنبياء: ٧]

ومع ذلك هم أكرم الخلق وأعظمهم منزلة وشرفاً في الدنيا والآخرة لذا قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأفضل الرسل هم أولو العزم وهم خمسة: محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأفضل وأكرم الرسل علىٰ الإطلاق محمد ﷺ.

وهذا يحقق المراد من أمر الله تعالىٰ لعباده بالطاعة والزهد، فأين الدليل؟

الحقيقة أن الدليل الكامن في الآية بأن الإيمان بالرسل يحقق الزهد من وجوه:

الوجه الأول: الإيمان بالرسل اتباع لأمر الله جلا وعلا وهذا يعظمهم في قلوب العباد، مما يورث القلب السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، وبها يتحقق أحد النتائج الهامة للزهد.

الوجه الثاني: هم خير القادة للبشرية، وهم أدلاء الله تعالىٰ لعباده علىٰ ما فيه خير لهم، لذا يقول تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فهم خير القادة والأدلة وترتبت النتيجة علىٰ ذلك: ألا وهو اتباعهم وأن السير علىٰ هدى هؤلاء الأنبياء - وخيرهم سيد الأنبياء محمد ﷺ - يحقق الإيمان الكامل لحياة العبد، مما يخوله أن يفوز بنعيم الدنيا والآخرة وهذا هو الزهد، وهذه هي ثمرته.

الوجه الثالث: معرفة سيرة الأنبياء الكرام من أعظم عوامل الثبات علىٰ الحق لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود: ١٢٠].

وهل المراد من تشريع الإسلام للزهد إلا الثبات علىٰ طاعة الله والحق.

وهكذا الوجوه كثيرة وإنما ذكرته هنا من ضرب المثل فاعتبر.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

وهو الركن الخامس من أركان الإيمان كما أشار إليه حديث جبريل المشهور وهو يمثل الإيمان بما في يوم القيامة من أحداث البعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، وما قبل القيامة من موت، وسؤال القبر، وحياة البرزخ، وما بعد ذلك من حساب وجزاء وجنة ونار.

لذا الخير كل الخير في الإيمان بذلك المعتقد يقول تعالىٰ موضحاً ذلك ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] .

فكان هذا الركن والإيمان به من أعظم الموجهات والمؤكدات، والبواعث علىٰ تحقيق الإيمان ومن ثم الزهد، وذلك يتحصل للعبد من عدة وجوه:

الوجه الأول: التصديق بكلام الله تعالىٰ وعداً ووعيداً وما يتعلق بذلك الوعد بالجنة، والوعيد بالنار، وغير ذلك من مشاهد، وأحداث يوم القيامة فيثبت علىٰ الإيمان والطاعة لما في ذلك حسن خاتمة، وحسن مرد إلىٰ الله تعالىٰ.

الوجه الثاني: الذين يكفرون بالبعث، والنشور هم أشقى الناس في الدنيا، وذلك لأن الإنسان بطبعه يحب الخلود، ويكره الموت والفناء. ولذا كان الزهد ليعلم المسلم أن النعيم والخلود في جنات النعيم هو جزاء أهل العبادة، والزهد الطاعة، والعذاب الإليم المقيم الدائم الكفر والعصيان، فإذا كان المسلم من ذلك الفريق الآمن الناجي الذي يحيا في الدنيا برحمة الله، وفي الآخرة بعفو الله تحقق المراد الأسمى للزهد فانتبه.

الوجه الثالث: من ثمرات اليقين بالآخرة الزهد في الدنيا وعدم تعلق القلب بها، وإنما ينشأ ذلك للعلم بأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا، فالزهد ـ كما وضحت معناه سابقاً ـ هو الرغبة عن الشيء لاستحقاره، واستقلاله، والرغبة فيما هو خير منه، فكلما ازداد اليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، وأن الدنيا كقطعة الثلج، رخيصة الثمن سريعة الذوبان، والآخرة كالجوهرة ، غالية الثمن باقية الرغبة في الآخرة.

فالزهد في الدنيا يجعل العبد أعلى من شهواتها ، فلا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت ، لأن همه الآخرة، وهي أكبر همه، بل أقول وتأتيه

الدنيا وهي راغمة إذا أعرض عنها وذلك مصداق حديث النبي ﷺ : « **من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وآتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق شمله ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له** »[١].

الوجه الرابع: الإيمان باليوم الآخر يجعل المستقبل مشرقاً أمام المسلم فهو يأمل دخول الجنة، والحصول علىٰ رضا الله تعالىٰ، ولقياه في الجنة، ويطمع في الخلود في هذا النعيم الأبدي بخلاف الكافر بالآخرة ، فنهايته مؤلمة: موت، وموارة في التراب، وعذاب، ومعاناة في القبر وفي الآخرة.

فهذا يعيش في الدنيا مبتهجاً سعيداً آمناً، فإذا ما رُد إلىٰ ربه كان حسن العاقبة جنات النعيم.

والآخر كما وضحت آنفاً.

وأقول هل هذه الثمرة إلا أعظم ما تثمر عنه شجرة الزهد. جعلني الله وإياك من العابدين الزاهدين.

الوجوه كثيرة في بيان العلاقة بين الزهد، وبين الإيمان باليوم الآخر، وإنما هذه إشارة وجيزة تؤكد وتحقق المعنى المطلوب.

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر وخلاصة هذا المعتقد السادس من أصول الإيمان أن الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربعة أمور:

أذكرها إجمالاً، ثم الأثر المترتب عليها:

الأول: الإيمان بعلم الله ﷻ السابق.

يقول تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦] .

فسبق علم الله تعالىٰ خلق الأشياء فعلم ما العباد عاملون قبل أن يخلقهم وعلم ما يصيرون إليه قبل أن يوجدهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار.

الثاني: الإيمان بأن الله تعالىٰ كتب مقادير الخلائق:

---

(١) صحيح الترمذي (٢٥٨٣) صفة القيامة، قال الألباني: إسناده ضعيف، لكنه حسن في المتابعات وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان وصححه في الصحيحة (٩٤٩) .

يقول تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] .

وهذا الأمر الثاني يتضمن خمسة مقادير كالتالي:

أ ـ الإيمان باللوح المحفوظ ب ـ تقدير شقاوة العبد وسعادته وأخذ الميثاق.

ج ـ تقدير أرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم.

د ـ التقدير الحولي ـ في ليلة القدر.

هـ ـ التقدير اليومي.

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالىٰ النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، يقول تعالىٰ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الأمر الرابع: الإيمان بأن الله تعالىٰ خالق أفعال العباد وقدراتهم وإرادتهم، يقول تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزُّمَر: ٦٢] .

والسؤال الهام فما هو الأثر العميق لعقيدة القضاء والقدر وكيف تسعد القلوب في الدنيا والآخرة؟ وهل هذه السعادة من الزهد؟

أجيب من آخر السؤال: نعم هذه السعادة من الزهد وارجع لتعريفات الزهد الشرعية يتضح لك ذلك.

أما الآثار والنتائج المترتبة علىٰ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر أذكرها بفضل الله تعالىٰ في النقاط التالية:

١ ـ الإيمان بالقضاء والقدر يورث القلب ثقة العبد بربه جلا وعلا والتوكل عليه وهما من أسس الزهد الرئيسية.

٢ ـ يجعل العبد يعفو عمن ظلمه أو قصر في حقه لأنه يعتقد أن ذلك من قضاء الله وقدره، فيورث ذلك العبد رحمة ورأفة، وتسامحاً، وأن الأجر العظيم في الدنيا والآخرة لأصحاب هذه الخلال والصفات.

٣ ـ استقبال المقدور بنفس راضية مطمئنة.

٤ ـ أن يرى العبد أن ما فيه من نعمة وطاعة ونعيم إنما إحسان من الله إليه فيحبه فيعبده.

٥ ـ أن يجعل العبد يثق في أن الرزق بيد الله، وأنه لا يطلب الرزق بمعصية الله وهذا أهم أركان الزهد ، فيورث ذلك العبد التقوى لأنه يعلم ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والخلاصة: أن معرفة عقيدة القضاء والقدر متعة روحية، وحسية تسعد بها النفوس في الدنيا والآخرة، مما يزهد العبد فيما سواها.

قلت: وختاماً لهذا الفصل أقول يتبين لك من ذلك العرض وتلك الإجابات الإجمالية والتفصيلية العلاقة بين العقيدة وبين الزهد، وأن هؤلاء الذين ادعو الزهد علىٰ غير عقيدة صحيحة من الكتاب والسنة أمثال هؤلاء المضلين كابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والتلمساني وغيرهم من المبتدعة، فدعواهم هذه باطلة فاسدة أورثتهم بعد الضلال كفراً وخروجاً عن عقيدة الإسلام.

فيا من أردت الزهد أعلم: أنه لا زهد إلا بعد اعتقاد صحيح؛ وفق منهج أهل السنة والجماعة، وقد بينت عشرات الأدلة علىٰ ذلك في ثنايا هذا الفصل، نفعني الله وإياك بعقيدة أهل السنة والجماعة ففيها النجاة والسعادة.

الفصل الثالث

الزهد دواعي وأسباب

وفيه مباحث

المبحث الأول: الزهد طريق السعادة في الدارين.

المبحث الثاني: الزهد طريق لحسن الخاتمة.

المبحث الثالث: الزهد طريق للنجاة من سوء الخاتمة.

المبحث الرابع: الزهد ليس له جزاء إلا الجنة

المبحث الأول

سبق أن درسنا سوياً معاني الزهد، وكذا المباحث المتعلقة بها، وعلاقتها بالعقيدة الصحيحة السليمة، وقد تبين لنا من خلال الدراسات السابقة قاعدة هامة وهي أنه لا طريق للسعادة إلا في الإيمان والعبادة.

وأن الإيمان والعبادة لا يستقيما للعبد إلا إذا زهد فيما حرم الله، وأقبل علىٰ طاعة الله.

والأدلة علىٰ تلك القاعدة، وذلك التقعيد أكثر من أن تحصى وإنما اتخير بحول الله وقوته بعض الآيات، وبعض الأحاديث من قبيل التذكرة، وليس الحصر.

فأقول والله تعالىٰ حسبي وكفيلي وهو بكل كفيل جميل.

- الآية الاولىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل ٩٧] وهنا انقل كلاماً نفسياً لابن القيم يؤكد ويفسر أن الطاعة، والزهد هما أصل كل سعادة، وذلك في معرض كلامه علىٰ هذه الآية فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ "فلا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم، وأستانسوا بقربه وتنعموا بحبه، ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله، والإقبال عليه، والإنابة إليه، ولا يلم شعثه بغير ذلك البتة، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها: هموم، وغموم وآلام، وحسرات، فإنه إن كان ذا همة عالية تقطعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات، فإن همته لا ترضى فيها بالدون، وإن كان مهيناً خسيساً، فعيشه كعيش أخس الحيوانات، فلا تقر العيون إلا بمحبة الحبيب الأول:

نقَّل فؤادك حيث شئت في الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأوَّلِ

كم منزل للمرء يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل[1]

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٧٤)

الآية الثانية:

يقول تعالىٰ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]

وقد قال ابن القيم كلاماً رائعاً نفيساً في هذه الآية ألخص بعض ما قاله «**تضمنت الآية أموراً أحدها أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله وللرسول فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له.**

ثم قال: «وقال بعض المسفرين: "لما يحييكم": يعنى الجنة، فإنها دار الحيوان، وفيها الحياة الدائمة الطيبة[1]

الآية الثالثة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

- يقول ابن القيم رحمه الله: «**فضمن الله لأهل الإيمان، والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، وبالحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، وهم أحياء في الدارين ونظير ذلك قوله تعالىٰ**﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

ففاز المتقون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا علىٰ الحياة الطيبة في الدارين، فإن طيب النفس وسرور القلب، وفرحته، ولذته، وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته، وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم علىٰ الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن إليه[2]

قلت: - أنظر لكلام ابن القيم جيداً فهو يدلك علىٰ ذلك التأصيل الهام أن الزهد بمعناه الصحيح مفتاح السعادة في الدارين.

مطلب: الأحاديث الدالة علىٰ الزهد والطاعة طريق السعادة:

الحديث الأول: عن أنس عن النبي ﷺ قال «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**[3]».

---

(١) الفوائد لابن القيم (٦٧/ ٦٨) (٢) الداء والدواء (١٨٦)

(٣) البخاري (١/ ٧٧) الإيمان ومسلم (٢/ ١٣) الإيمان الترمذي (١٠/ ٩١) الإيمان .

قلت: وهذه الثلاث التي ذكرها النبي ﷺ هي من أهم الأركان التي يتحصل بها العبد علىٰ الزهد: أولها: حب الله ورسوله، ثانيها: حب المؤمنين، ثالثها: بغض المعصية والكفران.

الحديث الثاني: قوله ﷺ «**ما أصاب احد قط هم ولا غم ولا حزن فقال" اللهم إني عبدك ابن عبد وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي إلا إذهب الله حزنه، وهمه، وأبدله مكانه فرحاً**»[١].

الحديث الثالث: من حديث ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة، ومن يسر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلىٰ الجنة، وما جلس قوم في بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدراسونه فيما بينهم إلا نزلت عليه السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسبه**»[٢].

قلت: والناظر في الأحاديث السابقة يتضح لك معنى الزهد الذي أراده الإسلام فهناك مقدمات الطاعة بكل أشكالها، والواردة في هذه النماذج من الأحاديث، والنتائج الأكيدة لها من سعادة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة؛ لأن ذلك موعود الله تعالىٰ. ولا يخلف الله وعده.

---

(١) صحيح البخاري مجموع طرقه: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) والهيثمي (١٠/ ١٣٦)

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) واحمد (٢/ ٢٥٢/ ٤٠٧) والترمذي (٢٦٢٦) العلم وابن ماجة (٢٢٥)

المبحث الثاني

الزهد طريق لحسن الخاتمة

أخي المسلم ثبت قطعاً، ويقيناً أن الأعمال بالخواتيم، وأن هناك خواتيم للعبد فإما أن تكون حسنة ـ وأسال الله لي ولك ذلك ـ وإما أن تكون سيئة، وأعوذ بالله لي ولك من ذلك.

وقبل أن أذكر الأدلة علىٰ أن الزهد ـ الأعمال الصالحة ـ هي الطريق إلىٰ حسن الخاتمة أقف أمام مسئلتين.

الأولى: الأدلة علىٰ أن الأعمال بالخواتيم.

يقول ﷺ من حديث ابن مسعود، وأبي أمامة: «**العمل بخواتيمه العمل بخواتيمه**»[1].

ويقول ﷺ: «**من مات علىٰ شيء بعثه الله عليه**»[2].

ولعل هذه الأحاديث تتقلني مباشرة إلىٰ المعنى المراد بحسن خواتيمه.

وهو الأمر الثاني: المراد بحسن الخاتمة.

وهي أن يموت العبد علىٰ طاعة الله وجلا وعلا، فيتقضى أجله، وهو علىٰ طريق الله تعالىٰ يعمل بطاعته، وينتهى عن نهيه وعصيانه، فيأمن بذلك ويلات العقاب، ويحشر كما أراده الله تعالىٰ، وسيأتي كثيراً من الأحاديث التي تؤكد وتبين هذا المعنى. وذلك حين الكلام عن أسباب حسن الخاتمة فإلى هذه الأسباب. وأذكر هنا بإذن الله تعالىٰ الأسباب التالية الجامعة الشاملة لكثير من الأسباب الضمنية لحسن الخاتمة، وأدلل علىٰ ذلك من الكتاب والسنة.

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٥٠٧/ ٥٠٨)

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٣١٣) وصححه الألباني (٢٨٣) الصحيحة .

السبب الأول لحسن الخاتمة: تقوى الله ﷻ

يقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] فتقوى الله تعالىٰ من أعظم الأسباب لحسن الخاتمة والتقوى لها معان كثيرة أذكر بعضها: تعريف أحمد: هي ترك ما تهوى لما تخشى.

وتعريف طلق ابن حبيب التابعي: «**هو أن تأتى بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجوا ثواب الله وأن نترك معصية الله علىٰ نور من الله نخشى عقاب الله**».

فالتقوى في حقيقتها هي الإتيان بالمأمورة واجتناب المحظور وعلىٰ هذا التعريف أجتمع علماء الأمة.

فإذا كان الأمر كذلك تبين أن التقوى هي: الإيمان، والعمل الصالح، وهما الزهد في المعصية والإقبال علىٰ الطاعة.

وقال ابن عباس: أن الملائكة تنزل لهؤلاء: أهل الاستقامة ويقول ابشر يا ولي الله برحمة الله "فهذه حسن الخاتمة أسأل الله لي ولك ذلك المقام.

السبب الثاني: الصدق:

يقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التّوبَة: ١١٩].

وخير دليل علىٰ ذلك حديث النبي ﷺ حينما جاء الصحابي وقد قسم النبي الغنائم فقال الصحابي: "ما علىٰ هذ اتبعتك، ولكن اتبعتك علىٰ أن أرمي ها هنا، وأشار إلىٰ حلقه، بسهم فأدخل الجنة فقال رسول الله ﷺ «**أن تصدق الله يصدقك**» فلبثوا قليلاً ثم نهضوا لقتال العدو فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهو هو فقال: نعم قال: «**صدق الله فصدقه**». ثم كفنه النبي ﷺ في جبته ﷺ فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد ذلك**»[١].

وهنا تأتي حسن الخاتمة لهؤلاء المتقين.

يقول تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي

---

(١) النسائي في كتاب الجنائز(٤/ ٦٠-٦١) وصححه الألباني في صحيح السنة(١٨٤٥).

ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ولا شك أن العبد الذي صلح حاله في الدنيا، وداوم علىٰ الصلاح والتقى، أعانه الله علىٰ سكرات الموت ورزق حسن الخاتمة مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

السبب الثالث: الاستقامة علىٰ أمر الله تعالىٰ

يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

وتفسير ذلك قوله ﷺ لمعاذ بن جبل «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها . . .**».

وقوله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا واعلم أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن**»[١].

السبب الرابع لحسن الخاتمة: ذكر الموت وزيارة القبور

وذلك من قوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»[٢].

وجاء في مختصر التذكرة: من فوائد الموت: ردع الإنسان عن إرتكاب المعاصي، وترك الفرح بالدنيا، وتهوين المصائب فيها.

قلت: وهل الزهد غير ذلك.

وإليك قصة وحديث بهما تتبين المسألة.

عن أنس أن النبي ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت فقال له: «**كيف نجدك**» قال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف**»[٣].

---

(١) مالك في الموطأ (١/ ٣٤) الطهارة وابن ماجة (٢٧٧) والحاكم (١/ ١٣٠) وصححه الألباني (٢/ ٤) الصحيحة.

(٢) الترمذي (٩/ ١٨٧) الزهد/ والنسائي (٤/ ٤) وصححه الألباني بشواهده. صحيح ابن ماجة (٤٢٥٨).

(٣) رواه ابن ماجة في الزهد (٤٢٦١) وحسن الألباني في الصحيحة (١٠٥١).

السبب الخامس: المبادرة إلىٰ التوبة:

يقول تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وتفسير ذلك ﷺ بقوله: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١).

ومعلوم شروط التوبة سنة شروط:

١ ـ الإخلاص

٢ ـ الإقلاع عن الذنب.

٣ ـ الندم علىٰ فعل الذنب.

٤ ـ العزم علىٰ عدم العودة للذنب.

٥ ـ رد المظالم المعنوية والمادية.

٦ ـ أن تقع التوبة في الوقت التي تقبل فيه وهو قبل طلوع الشمس من مغربها يقصد الموت للعبد، ولسائر العباد قبل قيام الساعة.

رزقنا الله وإياك قبل الموت توبة وعند الموت شهادة وبعد الموت مغفرة ورحمة.

وبهذه الأعمال الخمسة تكون حسن الخاتمة وأقول ختاماً أليست هذه الأعمال من التقوى، والاستقامة، والصدق وذكر الموت، والمبادرة إلىٰ التوبة، أليست هي الزهد بمعناه الذي يحبه الله ويرضاه. فالزهد هو الطريق الجامع لحسن الخاتمة.

---

(١) الترمذي(٣/ ٥٨) الدعوات وأحمد في المسند(٦٠/ ٦) وابن ماجة (٤٢٧٣) وصححه الألباني.

المبحث الثالث

الزهد نجاة من سوء الخاتمة

وأبين هنا في البداية معنى سوء الخاتمة فأقول والله ولي التوفيق والسداد.

- سوء الخاتمة: أن يموت العبد علىٰ حالة سيئة، والعياذ بالله من كفر أو جحود أو شك، وهذه هي الداهية العظمى والرزية الكبرى، فإن ذلك يوجب لصاحبه الخلود في النار والعذاب، وغضب الملك الوهاب.

- وأدنى من ذلك أن يموت علىٰ معصية، وهو متلبس بها، أو مصر عليها بقلبه، وبدنه، فالمرء يبعث علىٰ ما مات عليه.

يقول العلامة صديق حسن خان"سوء الخاتمة علىٰ رتبتين: إحداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة الأولى العظيمة الهائلة فهي يغلب علىٰ القلب عند سكرات الموت، وظهور أهواله إما الشك والجحود فتقبض الروح علىٰ تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالىٰ أبداً وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية هي دونها :- أن يغلب علىٰ القلب عند الموت حب أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره لأن المرء يموت علىٰ ما عاش عليه[1].

أما أسبابها فهي كثير أذكرها سريعاً.

١- فساد المعتقد، والتعبد بالبدع.

٢- مخالفة الظاهر للباطن.

٣- أن يألف الإنسان المعاصي، ويحبها ويصر عليها.

٤- حب الدنيا.

---

(١) بتصرف اختصار (من يقظه أولى الاعتبار) ٢١٦ صديق من خان .

٥- العدول عن الاستقامة والسير في الغوى والهوى والعيان.

٦- تعلق القلب بغير الله.

٧- تأجيل وتسويف التوبة.

قلت: وهذه الأعمال تركها هو حقيقة الزهد؛ الذي فرضه الله تعالىٰ علىٰ عباده، وأن ضدها أعمال حسن الخاتمة، والسابق شرحها وبيانها.

فمن رزقه الله تعالىٰ مجانبة هذه الأعمال، وعدم التلبس بها أمن علىٰ نفسه من سوء الخاتمة.

وصدق الله تعالىٰ حين ذكر العباد بذلك فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون ١٠/ ١١].

فالبدار البدار، والمسارعة المسارعة إلىٰ ما فيه نجاتنا من أسباب حسن الخاتمة، ومجانبة وترك أسباب سوء الخاتمة، فأعتبروا يا أولى الأبصار.

المبحث الرابع

الزهد ليس له جزاء إلا الجنة

نعم أخى المؤمن، والذي أخبر بذلك هو النبي ﷺ فذكر حديثاً رائعاً أفاد معنى الزهد وأن الجنة جزاء أهله، والنار مجازة لمن تركه وأنكب علىٰ الدنيا.

من حديث عبد الله بن مسعود عن ﷺ أنه قال «**أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلىٰ الجنة، ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس ومن شيء يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنة إلىٰ وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**»[1].

وانتبه معي أيها المسلم الفطن أليست المفردات الواردة في هذا الحديث هي أركان الزهد ومعانيه، فالله تعالىٰ قد أخبر علىٰ لسان نبيه ببيان الطريق إلىٰ الجنة، والطريق إلىٰ النار، وطمأن الله عباده علىٰ الرزق، وحذرهم من أن يرتكبوا الآثام والمعاصي حيث تأخر الرزق عنهم، وأن يطلبوا الرزق بما حرم الله، فلن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها.

فإذا كان الحال كذلك، فأقول لك عرفت فألزم، نعم عرفت طريق الحياة والنجاة فالزمه.

ووضح ﷺ هذا المعنى وبين أن الجنة لا يدخلها العبد، إلا بعد مجاهدة النفس، الهوى والسير إلىٰ طاعة الله جلا وعلا، وأن طريق المعصية طريق مصحوب باللذة والهوى وبكل ما هو فانٍ عاجل.

---

(١) أخرجه البيهقي (السنة (٧/ ٧٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤) وابن حبان (وذكره الهيثمي في الموارد (١٦٧) .

- فيقول ﷺ يقول: «**حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات**»(١).

وبعد هذه التقدمة اللازمة في أن الزهد: ترك اللذات، والشهوات، والمحرمات، وتقديم الطاعات والقربات لرب الأرض والسموات.

ولذا يقول تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمَّد: ١٥] .

ويقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [القلم: ٣٤].

ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٤].

ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣١، ٣٣].

ويقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي. من حديث أبي هريرة قال ﷺ قال الله تعالىٰ «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»(٢).

أليست هذه الأدلة تحمل في طياتها هذا الأصل العظيم من أصول الإيمان، أن الزهد بمعناه الصحيح المتفق مع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح هو: العمل الصالح الذي هو الطريق إلىٰ جنات رب العالمين.

- وهذا نداء رسول الله ﷺ لكم عباد الله بالتقوى، والزهد لكي تدخلوا الجنة فأعرني البصر والقلب، والسمع.

يقول أسامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا هل من مشمر للجنة، وإن الجنة لا خَطَرَ لها، وهي ورب الكعبة نورٌ تلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحَبْرَة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا إن شاء الله» فقال القوم: إن شاء الله**»(٣).

وأنا أنادي بنفسي وأناديكم عباد الله ألا من مشمر للجنة، ألا من زهد وطاعة مهر للجنة.

---

(١) وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة عند البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٤/ ٢١٧٤) .

(٢) البخاري (٣٢٤٤) (٤٧٧٩) ومسلم (٤/ ٢١٧٤) والترمذي (٣١٩٧) وابن ماجة (٤٣٢٨) .

(٣) اخرجه ابن ماجه الزهد (٣٣٢) وابن حبان (٦٥١) مع الموارد والهيثمي(٢٦٢٠) .

الفصل الرابع: أنواع الزهد وأقسامه.

تابعت الكثير من أقوال علماء أهل السنة، والجماعة لأقسام الزهد وأنواعه، فخلصت إلىٰ قاعدة - لله درها - ألا وهي أن الزهد الوارد بجميع أقسامه يصل بالعبد إلىٰ نتيجة هامة، وهو أن يزهد الإنسان فيما يشغله عن ربه وعبادته، وحقيقة أن الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أقر ذلك بعد صولة وجوله في أمر الزهد.

فبعد أن نقل مقولة هامة عن الزهد وأقسامه قالها أبو سليمان الداراني: «**اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكل منهم قريب بعضه من بعض. قال: - أي سليمان الداراني -: «وأنا أذهب إلىٰ أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّوَجَلَّ**».

ثم عقب ابن رجب فقال: «**وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه**»[1].

قلت: وهذا هو المعنى الجامع لكل أقسام الزهد، وأنواعه وما سيأتي علىٰ ألسنة علماء. أهل السنة والجماعة من تقاسيم يصب في بناء هذا الأصل الهام.

يقول الإمام أحمد في تقسيم الزهد: "الزهد علىٰ ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين.

وهنا يقول ابن القيم- موضحاً ذلك التقسيم النفيس للإمام أحمد كلاماً نفسياً رائعاً.

ذكره في المدارج: "وهذا الكلام من الإمام يأتي علىٰ جميع ما تقدم، من

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢٩٢) .

كلام المشايخ مع زيادة تفصيله، وتبين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل علىٰ أنه رضي الله عنهما من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء، إحداها الزهد.

والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة، وعلىٰ هذا صنف المتقدمون كتب الزهد: كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، ولغيرهم ومتعلقه ستة أشياء: لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي: المال، والصورة، والرياسة، والكراهة، والنفس، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان، وداود عليهما السلام من أزهد زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر علىٰ الإطلاق وله تسع نسوة.

وكان علىٰ بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد، مع ما كان لهم من الأموال[١]، وكان الحسن بن علىٰ رضي الله عنهما من الزهاد مع أنه كان أكثر الأمة محبة للنساء، ونكاحاً لهن، وأغناهم وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد، مع كثرة ماله، وكان الليث بن سعد من الأئمة الزهاد، وكان له رأس مال يقول: لولاه لتمندل بنا هؤلاء[٢].

- وأذكر هنا قولاً للحسن البصري: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك مما في يدك، وأن تكون المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك، فهذا أجمع كلام في الزهد وأحسنه. وقد روى مرفوعاً[٣].

ويقول إبراهيم بن أدهم في تقسيم الزهد: الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد السلامة.

فأما الزهد الفرض: فالزهد في الحرام.

وأما الزهد الفضل: فالزهد في الحلال.

---

(١) لولا هذا المال وقد كفاهم الله به تحكمات ومحاربة الحكام والولاة لهم في الأرزاق.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢) (٣) المدارج (٢/ ١٨).

والزهد في السلامة: الزهد في الشبهات.

ولابن رجب لكلام جامع شامل يؤكد ما ذهبت إليه من أن الزهد ترك كل ما يشغل العبد عن ربه يقول: يقول منهم من قال: الزهد: الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله.

ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي، ثم الزهد في الحلال وهو أقل أقسام الزهد.

والقسمان الأولان من هذا الزهد كلاهما واجب، والثالث ليس بواجب فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك، ثم في المعاصي كلها.

وكان أبو بكر المزني يدعو لإخوانه فيقول: زهدنا الله وأياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات فعلم أن الله يراه فتركه.

- وقال ابن المبارك: قال معلى بن أبي مطيع: الزهد على ثلاثة وجوه.

إحداها: أن يخلص العمل والقول لله ﷻ.

والثاني: ترك ما لا يصلح، والعمل بما يصلح.

والثالث: الحلال: أن يزهد فيه، وهو التطوع وهو أدناها.[(١)]

قلت: وقد وضح هذا الكلام النفيس قواعد هامة، وعدة أسردها في النقاط التالية:

الأولى: أن الزهد منه ما هو واجب: من ذلك الزهد في الشرك. ويلحق به البدع. والزهد فيما حرم الله تعالى.

الثاني: ومن الزهد ما هو فضل وتطوع، وهو الزهد في الحلال.

الثالث: أن الزهد مرتبتان أعلاهما: زهد الفرض كما وضحناه آنفاً، وأدناهما زهد الفضل.

وأختم هذا الفصل بسؤال هام يتضح بها أخر جزئية من جزئيات أقسام الزهد ألا وهو: هل الزهد يكون في الحلال ، والحرام أم في الحرام فقط؟

وأترك الإجابة للإمام القيم ابن القيم فقال: "ثم اختلف هؤلاء في متعلق الزهد فقال طائفة: الزهد إنما هو في الحلال لأن ترك الحرام فريضة.

---

(١) ابن رجب (جامع العلوم والحكم) (١٩٢)

وقالت فرقة: بل الزهد لا يكون إلا في الحرام، وأما الحلال فنعمة من الله تعالىٰ علىٰ عبده، والله يحب أن يرى أثر نعمته علىٰ عبده، فشكره علىٰ نعمه والاستعانة بها علىٰ طاعته واتخاذها طريقاً إلىٰ جنته أفضل من الزهد فيها والتخلي عنها ومجانبة أسبابها.

والتحقيق: أنها إن شغلته عن الله، فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله بل كان شاكراً لله فيها فحاله أفضل، والزهد فيها تجريد القلب عن التعلق بها، والطمأنينة إليها، والله أعلم[١].

وبهذا المباحث السابقة، والعرض السابق أكون بحول الله وقوته قد بينت أقسام الزهد، ومراتبه، وأنواعه والدقائق الشرعية المتعلقة بها. فأسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا وأياك من الزهد في حرامه، والمتنعمين بحلاله، شاكرين علىٰ نعمائه، وأفضاله، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤/ ١٥).

الفصل الخامس

مباحث شرعية تتعلق بالزهد

المبحث الأول: الزهد والدنيا.

المبحث الثاني: الزهد والحلال.

المبحث الثالث: الزهد والحرام.

المبحث الأول: الزهد والدنيا

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً علىٰ المصطفى ﷺ.

سأتناول هذه الجزئية الهامة- وهي أحد متعلقات الزهد- ألا وهي الزهد وعلاقته بالدنيا- والتنظير الشرعي علىٰ منهاج الكتاب والسنة لهذه الجزئية.

وسينتظم معي الكلام بإذن الله تعالىٰ في مطلبين.

المطلب الأول: أمر الشريعة بالتقلل من الرغبة في الدنيا وشهواتها.

المطلب الثاني: تحقيق العلاقة بين الزهد ومتعلق الدنيا به وفق منهج أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول:- التقلل من شأن الدنيا

وأقصد هنا قلة الرغبة فيها، وجعلها أولى أهتمامات العبد، وإذهاب الغالي والنفيس طلباً لها، أو لأحد متاعها.

وأسوق إليك أيها القارئ الكريم كيف عالج النبي ﷺ هذه القضية.

"إن رجلاً قدم عليه ﷺ من أرض الشام فسأله عن أرضهم، فأخبره عن سعة أراضيهم وكثرة النعيم فيها فقال ﷺ : «**كيف تفعلون؟**» قال: إنا نتخذ ألواناً من الطعام، ونأكلها قال: «**ثم تصير إلىٰ ماذا؟**» : إلىٰ ما تعلمُ يا رسول الله، يعني تصير بولاً وغائطاً فقال ﷺ «**فكذلك مثل الدنيا**»[1].

وحديث آخر يقول فيه ﷺ « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[2].

يقول الفقيه: "معنى قوله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن**» أن المؤمن؛ وإن كان في النعمة والسعة، فهو بجنب ما أنعم الله تعالىٰ عليه في الجنة كأنه في السجن، لأن المؤمن إذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة، فإذا نظر إلىٰ ما أعد الله له من

---

(١) حديث حسن: حسنه الألباني صحيح الجامع (٢٩٩٥) والصحيح (٣٨٢)

(٢) سيأتي تخريجه في متن أربعينات السيوطي .

الكرامة عرف أنه كان في السجن، وأما الكافر إذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار، فإذا نظر إلى ما أعد الله له من العقوبة عرف أنه كان في الجنة.

وهذا يقلل من شأن الدنيا في عين المؤمن الحق.

- بل قال ﷺ أحاديث فيها البيان الصريح لشأن الدنيا، وقلته عند الله تعالىٰ.

وأذكر مثالاً علىٰ ذلك: يقول ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن عثمان قال: بينما رسول الله ﷺ أدلج ليلة من الليالي، وصلى صلاة الصبح في دمنة الحي فرأى سخلة تتنفّس في سلالها[١].

فنظر إليها رسول الله ﷺ فأمسك ناقته حتى قام القوم فقال: "أترون أهل هذه الدمنة أغنياء عن سخلتهم هذه، وقد هانت عليهم؟ فقالوا بلى يا رسول الله ﷺ قال: "والذي نفس محمد بيده للدنيا أهون علىٰ الله من هذه السخلة علىٰ أهلها"[٢].

- ولو نظرت لحالة ﷺ علمت أنه ﷺ أزهد الناس في أمر الدنيا، تعلقاً وقد تقلل من شأنها ومتاعها.

دخل عمر بن الخطاب علىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ حصير وقد أثر بجنبيه الشريط، فبكى عمر رضي الله عنه - فقال النبي ﷺ - «**ما يبكيك يا عمر؟**» قال: ذكرت كسرى، وقيصر وما كانا فيه من الدنيا، وأنت رسول الله ﷺ فقد أثر بجنبك الشريط فقال النبي ﷺ «**أولئك عُجلّت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة**»[٣].

ولما كان الحال كذلك، انتقل هذا الفهم النبوي الرشيد إلىٰ سلف الأمة الصالح أصحاباً ومن جاء بعدهم من التابعين فعرفوه أيما تعريف، وبأجمل إيضاح وبيان وإليك هذه النماذج.

النموذج الأول: قول يحيى بن معاذ الرازي: «**الحكمة تهوى من السماء إلىٰ القلوب فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال: الركون إلىٰ الدنيا، وهَّم غد، وحسد أخ، وحب شرف.**

---

(١) السخلة الشاة الصغيرة وقد عاس الدود في جلدها .

(٢) عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢٩٥٧) .

(٣) متفق عليه البخاري (٨/ ٤٩١٣) ومسلم (٢/ ١٤٧٩) بنحوه عن ابن عباس .

النموذج الثاني: قول علىٰ بن أبي طالب ﵁ : **«من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً، يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة، والهرب من النار وهي : عرف الله تعالىٰ فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.**

النموذج الثالث: قول يحيى بن معاذ: **«الدنيا مزرعة رب العالمين، والناس فيها زرعه، والموت منجله، وملك الموت حاصده، والمقبرة مدراسه، والجنة والنار بيت أهوائه، فريق في الجنة وفريق في السعير»**.

النموذج الرابع: قول لقمان الحكيم لابنه: **«يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه كثير من الناس، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالىٰ»**.

النموذج الخامس: قول الفضيل بن عياض "بلغنا أن الدنيا يجاء بها يوم القيامة تتبختر في زينتها وبهجتها فتقول: **«يارب أجعلنى لأحسن عبادك داراً. فيقول الله ﷻ: لا أرضاك داراً لهم، أنت لا شيء، كوني هباءاً منثوراً. فتصير هباءاً منثوراً»**[١].

وصدق ﷺ حيث أخبر عن هذه الحقيقة بقوله: **«لو كانت الدنيا تساوي. عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء»**[٢].

المطلب الثاني: تحقيق العلاقة بين الزهد والدنيا وفق منهج أهل السنة والجماعة

وهذه العلاقة وضحها سلف الأمة الصالح من هؤلاء

ابن رجب ﵀ قال: "انقسم بنو آدم في الدنيا إلىٰ قسمين:

أحدهما: من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للثواب والعقاب. وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧ ، ٨].

(١) هذا النقول باختصار من كتاب تنبيه الغافلين (١٨٣/ ١٨٤/ ١٨٥)

(٢) صحيح: عند الخطيب في تاريخه (٤/ ٩١٢) والقضاعي مسند الشهاب (١٤٣٩) عن ابن عمر وصححه الألباني(الصحيحة) (٦٨٦/ ٩٤٣) .

وهؤلاء همهم التمتع في الدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت كما قال تعالىٰ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: ١٢] ومن هؤلاء من كان يأمر بالزهد في الدنيا، لأنه يرى أن الاستكثار منها موجب للهم والغم، ويقول كلما كثر التعلق بها تألمت النفس بمفارقتها عند الموت، فكان هذا غاية زهدهم في الدنيا.

والقسم الثاني: من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب. وهم المنتسبون إلىٰ شرائع المرسلين وهم منقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله والظالم لنفسه هم الأكثرون منهم، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذها وجهها، واستعملها وجهها، وصارت الدنيا أكبر همه، بها يرضى، وبها يغضب، ولها يوالي، وعليها يعادي وهؤلاء هم أهل الله، واللعب، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا، ولا أنها منزلة سفره يتزود منها لما بعدها، من دار الإقامة، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إجمالاً.

والمقتصد منه: أخذ الدنيا من وجوهها المباحة وأدى واجباتها، وأمسك لنفسه الزائد علىٰ الواجب بتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا، وهؤلاء قد اختلف في دخولهم اسم الزهاد في الدنيا كما سبق ذكره، ولا عقاب عليهم في ذلك، إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا.

قال ابن عمر: "لا يصيب عبد من 'الدنيا شيء شيئاً" إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريمًا"[1] خرجه ابن ابي الدنيا بإسناد جيد،وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده أن رجلاً دخل علىٰ معاوية فكساه، فخرج فمر علىٰ أبي مسعود الأنصاري ورجل آخر من الصحابة رضي الله عنهم فقال أحدهما: خذها من حسناتك، وقال الآخر : خذها من طيباتك.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[2].

وقال: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في إناء الذهب والفضة،**

---

(١) خرجه هناد في الزهد (٥٥٧) وإسناد جيد والمنذري في الترغيب والترهيب (٤٨٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٦٩) ومسلم (٢٠٧٣)

ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»[١].

وأما السابق بالخيرات بإذن الله؛ فهم الذين فهموا المراد من الدنيا، وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما اسكن عباده في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

ويقول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك: ٢].

قال بعض السلف: أيهم أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. وجعل ما في الدنيا من البهجة والنضرة محنة، لينظره من يقف منهم معه ويركن إليه، وليس كذلك. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

ثم بين نهايتها فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف: ٨].

كلما فهموا المقصود من الدنيا جعلوا همهم التزود منها للآخرة التي هي دار القرار، فاكتفوا من الدنيا بما يكتفى به المسافر في سفر كما كان النبي ﷺ يقول« **مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح عنها وتركها»**[٢] ووصى ﷺ جماعة من الصحابة أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد راكب، منهم: سلمان، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو ذر، وعائشة رضي الله عنهم جميعاً - ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل»[٣].

وأهل هذه الدرجة علىٰ قسمين:

- الأول: من يقتصر من الدنيا علىٰ ما يسد الرمق فقط وهو حال كثير من الزهاد.

- الثاني: من يفسح لنفسه أحياناً بعض شهواتها المباحة، لتقوى النفس بذلك وتنشط. " أهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١١٠) ومسلم (٢٠٦٧).

(٢) ابن حبان (٦٣٥٢) والحاكم في المستدرك (٧٨٥٨) من حديث ابن عمر وهو حسن.

(٣) ابن رجب الحنبلي جامع العلوم والحكم (٢٩٣/ ٢٩٤/ ٢٩٥).

وبهذا العرض الرائع لأبن رجب، المشتمل علىٰ كل الأصول للتزهد والتي بها تنضبط العلاقة بين الزهد والدنيا، فانظر أخى القارئ من أي الأصناف أنت: المقتصد، أو الظالم لنفسه، أو السابق بالخيرات جعلنى الله وإياك من السابقين بالخيرات بإذن ربهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الثاني: الزهد والحلال

سبق- بفضل الله تعالىٰ- أن بينت ، ووضحت أن الزهد أنواع ورتب، وفرض، ونفل، وأن الزهد في الحلال هو من النفل والتطوع.

ومعناه: كسب المال من الحل، والنظر لنعيم الدنيا كمطية للآخرة، وأن يتقلل من أمر المبيحات؛ مع أنه قادر عليه وذلك ابتغاء تهذيب النفس وتربيتها.

ولذا فإن الزهد في الحلال يجمعه هذا الأصل ألا وهو: «**أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه مما في يد نفسه**» وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ ضمن أرزاق عباده، وتكفل بها. وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

فإذا علم العبد ذلك، ولم تشغله الدنيا عن الآخرة، وإن سعى فيها فسعيه، وإن ملك من الدنيا هو تسخيرها لله تعالىٰ، وطلباً لرحمته، وأن يكون البذل عنده، أحب إليه من الإمساك.

ولذا ترى من أقوال السلف الصالح ما يدل علىٰ ذلك خذ مثلاً:

يقول ابن مسعود: "إن أرجى ما يكون الرزق إذا قالوا ليس في الدنيا دقيق".

والمعنى: إن قالوا أن الدقيق قد قل ومنع، ينشأ عنده اليقين أكثر ويزداد في رزق الله الذي لا ينقطع.

ويقول مسروق: إن أحسن ما أكون ظناً حين يقول الخادم ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم.

وقيل لأبي حازم ما مالك؟ قال لي مالان، لا أخشى معهما الوقوع في الفقر! الثقة بالله، واليأس مما في أيدى الناس وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاى له ما في السموات والأرض، وما بينهما وتحت الثرى.

وخلاصة هذه العلاقة: ما قاله الفضيل بن عياض: «**إن شئت استقل من الدنيا وإن شئت استكثر منها، فإنما تأخذ من كيسك**».

ويشهد لهذا أن الله حرم علىٰ عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا، وزينتها وبهجتها، حيث لم يكونوا محتاجين إليها وأدخره لهم عنده في الآخرة وقد قال الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف].

وضابط هذه العلاقة أن العبد إذا أخذ من متاع الدنيا(الحلال). أراد بذلك التقوى لطاعة الله تعالىٰ والولوج بهذه النعمة في رحمة الله، وفضله، ومغفرته.

ولذا يقول معاذ: "وإني لاحتسب نومتي وأكلتي:.

وبلفظ آخر: "وإني لاحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".

يعني: أنه ينوي بنومه التقوى علىٰ القيام في آخر الليل فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه.

وكان بعضهم إذا أخذ شيئاً من شهواته المباحة أعطى منه أخوانه كما روى عن ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان إذا أشتهى شيئاً لم يأكله حتى يشهد بعض أصحابه فيأكله معهم.

- ولقد لخص هذه العلاقة يحيى بن معاذ فقال: "كيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب بها حياة أدرك طاعة، أنال بها الآخرة.

ويقول الحسن موضحاً هذه العلاقة: "نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك، أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلىٰ الجنة، وبئست الدار كانت للكافر، والمنافق وذلك: أن ضيع لياليه وكان زاده منها إلىٰ النار.

أخي المسلم العاقل اللبيب هذا هو مدار العلاقة بين الزهد والحلال والنعم في الدنيا، فما هي إلا مطية لمرضاة رب العالمين، وطريقاً لنيل رحمته ومغفرته.

المبحث الثالث: الزهد والحرام

والزهد في الحرام يعني: ترك الحرام بالكلية ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ، طمعاً في جنته، وخوفاً من عقابه وناره.

وحكم هذا الزهد: إنه فرض، وأنه أعلى منزلة من الزهد في الحلال.

وكما وضحت آنفاً قول إبراهيم بن أدهم أن الزهد ثلاثة أقسام فزهد فرض وزهد فضل، وزهد سلامة فأما الزهد الفرض: فالزهد في الحرام. . . . . "

ولذا هناك سؤال يطرح نفسه، كيف يكون ترك الحرام زهداً؛ مع أن ترك الحرام فرض علىٰ التعيين؟

والإجابة وضحها ابن رجب بقوله: "اختلف الناس هل يستحق اسم الزهد من زهد في الحرام خاصة، ولم يزهد في فضول المباحات أم لا؟ علىٰ قولين.

- إحداهما: أنه يستحق اسم الزهد بذلك، وقد سبق ذكر ذلك عن الزهري وابن عيينة وغيرهم.

- والثاني: لا يستحق اسم الزهد بدون الزهد في فضول المباحات، وهو قول طائفة من العلماء العارفين وغيرهم؛ حتى قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد المباح المحض وهو قول يوسف ابن أسباط وغيره وفي ذلك نظر.

وكان يونس بن عبيد يقول: " وما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها ".

والتحقيق: أن الزهد يشمل تارك الحرام، بل هو أعظم الزهد، وأعظم من ذلك الزهد في الشرك، والكفر والبدعة.

وعلىٰ هذا قول جمهور العلماء، والزهاد، وأقول: ما نفع الزهد بترك المباح إن لم ينتهي عن الحرام، بل لا يمكن أن يزهد في حلال مباح؛ إلا إذا ترك الحرام، وانتهى عنه في أول أمره.

وبهذا تكون العلاقة بين الزهد والحرام قد وضحت.

وبعد: فإني أسال الله تعالىٰ لي ولك ترك المنكرات، واجتناب المحرمات وفعل الطاعات. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل السادس

أصول يعلو بها شأن الزهد ويؤتى ثماره

وفيه مباحث

المبحث الأول: العلم والبصيرة وعلاقة ذلك بالزهد.

المبحث الثاني: إرادة الآخرة وجعل الهموم هماً واحداً ألا وهو دخول الجنة.

المبحث الثالث: كثرة ذكر الموت.

المبحث الرابع: الدعاء سنة الأنبياء وجالب كل سعادة وخير.

المبحث الأول: العلم والبصيرة وعلاقة ذلك بالزهد

لقد أرشدنا الشريعة الإسلامية إلىٰ ذلك الأصل، وأكدت عليه، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة؛ أذكر لك بعضها:

والدليل الأول: آيات القرآن الكثيرة في هذا المقام منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨].

قلت: وهل الزهد إلا الخشية من الله وعبادته.

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجَادلة: ١١].

قلت: أي يرفع مقامهم في الدنيا، وتتعاظم أجورهم في الآخرة، وهل هذا إلا الثمرة اليانعة من شجرة الزهد الكريمة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

قلت: لا يستوون فهذا عَبَدَ الله علىٰ علم وبصيرة، فأصابت أفعاله وأقواله مواقع محبة الله تعالىٰ، ورضاه، وهداه فمَّن الله عليه بالرحمة والمغفرة؛ والآخر عاس فساداً، وضاع جهده هباءاً ويظن أنه أحسن عملاً، فذهبت دنياه، وخسر أمر آخراه. هل يستوون؟! لا يستوون.

الدليل الثاني: سنة النبي ﷺ.

وهي كثيرة أذكر منها هذه الأحاديث:

الحديث الأول: وهو العمدة في الباب

عن معاوية رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ. «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[1].

الحديث الثاني: عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعليَّ رضي الله عنهما «**فوالله**

(١) البخاري (١/ ١٥/ ١٥١) ومسلم (١٠٣٧) وهو متفق عليه.

لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[١].

الحديث الثالث: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلىٰ الجنة»[٢].

وهذه الجملة من الأحاديث؛ والتي هي في حقيقتها تبين فضل العلم ومنزلته، إنما هي طريق إلىٰ الجنة، والزهد يحتاج إلىٰ علم شرعي؛ كي يستطيع الزاهد أن يعبد الله علىٰ بصيرة وعلم وأن لا يحدث البدعة في عبادته، وقد أجمع السلف الصالح علىٰ أصل عظيم هام ألا وهو : «**ما أزداد صاحب بدعة سعياً إلا أزداد إثماً**».

وبهذا يتضح المقام أن العلم يزيد الهمة، ويرفع المسلم من حضيض التقليد، ويصفي النية، ويورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال، فينتقي فضول المباحات التي تشغله عن التعبد، كفضول الأكل، والنوم، والكلام، ويراعي التوزان، والوسطية بين الحقوق، والواجبات امتثالاً لقوله ﷺ : «**اعط كل ذي حق حقه**» ويبصره بحيل إبليس وتلبيسه عليه كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثواباً، قال أبو سليمان: « **يجيئك** ـ أي إبليس ـ **وأنت في شيء من الخير، فيشير لك إلىٰ شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة**»[٣].

قلت: وهل الزهد الصحيح غير ذلك، فهو عبادةٌ علىٰ علم وبصيرة، ومجانبة لطريق البدع والأهواء، وعلماً بطريق إبليس وكيده وشراكه، ومجانبته. ومراعاة التوزان بين حقوق الله تعالىٰ وتصريف النعم له سبحانه وتعالىٰ، فلا يمنعه عن العبادة هوى نفس ولا وطأة لشهوة الجسد، ولا يحرم نفسه من متاع أحله الله له في الدنيا من طعام وشراب وزوج صالح.

وبعد ذلك كله: فإن العلم والبصيرة يغلق باباً للشيطان قلما انتبه له العباد الزهاد ألا وهو اتقاء فضول المباح، كي لا ينشغل عن العبادة لربه، ومن ثَّم يتضح ويتبين لك دور العلم والبصيرة في توجيه الزاهد، وبيان أوجه ثباته علىٰ زهده؛ الذي هو طريق نجاته.

---

(١) متفق عليه البخاري (٧/ ٥٨) ومسلم (٢٤٠٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) .

(٣) علو الهمة الدكتور(إسماعيل المقدم بتصرف ٣٤٤) .

المبحث الثاني: إرادة الآخرة وجعلها الهم الأوحد.

إذا علم العبد حقيقة الدنيا، وهوانها عند خالقها، وأنه لا يحق له أن يتعاطى معها إلا من يتعاطى الدواء ليدفع عنه غوائل المرض، فيأخذ من نعيمها بحذر، ويصرف ذلك النعيم لطاعة رب العالمين.

ويعلم طريق العبادة فيأتيه، والبدعة فيجانبه، والمباح فيجعله مطية لله تعالىٰ، وطريقاً لمرضاته.

ولدت هذه المعرفة، وذلك العلم الإرادة للنجاة والفوز في الآخرة.

فعلم صحيح؛ تقوم عليه إرادة صلبة قوية، يتبع ذلك سعياً حثيثاً لعبادة الله تعالىٰ فيكون كل ذلك هماً واحداً.

يقول تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

ويقول ﷺ: **«من كانت همه الآخرة؛ جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وآتته الدنيا راغمة ومن كانت همه الدنيا؛ فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»**[(١)].

وقد أجاد وأحسن الإمام العابد الزاهد، العالم: الفضيل بن عياض حين قال: "**أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل**".

وقال: "**القنوع هو الصاحب، وهو الغنى، فمن حقق اليقين؛ وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك لم يكن له شيئاً من الدنيا. كما قال عمار رضي الله عنهما: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً**".

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح كما عند الألباني (٩٤٨) الصحيحة .

قلت: أخي المسلم: ما أروع هذا البيان، وأصوبه، وأدقه وأشمله لجوامع أمور الزهد وحقيقته؛ فتدبره جيداً وكن من العاملين الجادين؛ العابدين لتصل لذلك المقام المحمود.

رزقنا الله وإياك إخلاصاً في القول والعمل.

المبحث الثالث: كثرة ذكر الموت

وقد سبق الكلام عن الموت، وهنا أزيد البيان لنحقق بذلك أصلا، لو فهمناه، وعلمناه، فوالله الذي خلق ، وأحيا، وأمات- لهانت علينا الدنيا، وقل شأنها في عيوننا، وقلوبنا، وهدأت النفس، واستكانت الجوارح، ودفعك بكل قوة إلىٰ التزود وبصالح العمل طلباً للآخرة، والنجاة من النار، والفوز بنعيم الجنات.

ولدخلت جنة الدنيا التي ذكرها ابن تيمية ـ ألا هي جنة الطاعة، ووالله لذقت للطاعة طعماً، تعجز الكلمات مهما علت، وتعجز الأوصاف مهما سمت، من توصيف ذلك الشعور، والنعيم وأقول : كأن هذا الشعور- لذة الطاعة- نفحة من نفحات الجنة، وفيض رحمة ونعيم من الجنات العلى.

وكما جعل الله تعالىٰ قطعة من الجنة- علىٰ الحقيقة- الروضة الشريفة علىٰ الأرض في مسجد الحبيب ﷺ جعل ـ لذة الطاعة ـ أحد أحاسيس وشعور أهل الجنة مثيلها علىٰ الأرض.

- ولذا كان ذكر الموت، والأمر الشرعي بتذكره علىٰ الدوام.

لماذا؟ لأنه يدفع إلىٰ العمل للآخرة، والتجافي عن دار الغرور، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، وإيقاظ العزم علىٰ الإستقامة.

وهل هذا إلا الزهد.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذا بصر بجماعة فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟** قيل: علىٰ قبر يحفرونه قال: ففزع رسول الله ﷺ ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلىٰ القبر، فجثا عليه ، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، قال: «**أي إخواني! لمثل هذا اليوم فأعدوا**»[1].

---

(١) البخاري: في التاريخ وابن ماجة وأحمد وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٥١) .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال "أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك يملي فيه، وهو لا يدري أرضي الله أم أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد ﷺ وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله، يوم تبدو السريرة علانية، ثم لا يدري إلىٰ الجنة أو النار.

- قيل لبعض الزهاد: «**ما أبلغ اللحظات؟**" **قال**: " **أنظر إلىٰ الأموات**".

- وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الأوزاعي: "أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت، رضى من الدنيا باليسير".

- وعن عطاء بن رباح: "كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذكرون الموت والقيامة، والآخرة فيبكون".

- وكان يقول صالح المري: "إن ذكر الموت إذا فارقني ساعة فَسَد عليّ قلبي.

وقال الدقاق: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضي بالكفاف، والتكاسل في العبادة".

- وذكر عن الحسن البصري أنه دخل علىٰ مريض يعوده فوجده في سكرات الموت، فنظر إلىٰ كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلىٰ أهله بغير الوجه الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: "الطعام يرحمكم الله" فقال: "يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم؛ فو الله رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه"(١).

- حكى لنا اللبيدي قصة تبين لنا حقيقة هذه العلاقة بين ذكر الموت والزهد، فاعتبر لها يرحمك الله.

قال: "وجدت بعد موت أبي أسحاق الجنياني رحمه الله رقعة تحت حصيره مكتوبة بخطه: "رجل وقف له هاتف، فقال له: "أحسن عملك فقد دنا أجلك"، فقال لي ولده عبد الرحمن: " إنه كان إذا قصر في العمل؛ أخرج الرقعة فنظر فيها، فرجع إلىٰ جِدِّه" أي نشط في الطاعة.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى (١٢)

وصدق من قال:

مَا زَالَ يَلْهَج بِالرَحِيل وَذِكْرِهِ حَتى أتَاح بِبَابِه الجمَّالُ

فَأصَابَهُ مُسْتَيقظاً متشمراً ذا أُهْبِةَ لم تُلهِهِ الأمالُ

أخي المسلم، حبيبي المؤمن وهل الزهد غير ذلك وهل هناك باعث للزهد أعظم وأجل من الموت.

فاللهم ارزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة وبعد الموت مغفرة ورحمة.

المبحث الرابع: الدعاء سنة الأنبياء وجالب خير

الدعاء، وما أدراك ما الدعاء، مطية النجاة، وسنة الأنبياء، مفرج الكرب، مزيل الهم والغم ، فاتح أبواب الخير والرزق في الدنيا، وباب رحمة واسعة في الآخرة.

سيف قاطع، ونور ساطع، وسلاح ماضٍ، من حازه حاز النصرة والتمكين، وتحقيق الرغبات والحوائج، والمأمول ولذا قال رب الأرض والسموات: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] .

- وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وإنظر إلىٰ تربية الحبيب ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم.

روى مسلم في صحيحه عن طارق بن أشيم رضي الله عنهما قال: "كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات «**اللهم اغفرلي وارحمني، وأهدني، وعافني، وأرزقني**"[1].

الدعاء: مثبت القلوب علىٰ طاعة رب الأرض والسماء. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ : «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك**»[2].

- الدعاء طريق الهدى والرشاد والسداد.

روى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنهما : قال لي رسول الله ﷺ : «**قل اللهم اهدني وسددني**»[3].

- الدعاء: قاضي الحوائج، كاشف اللمم والكرب والحزن.

---

(١) مسلم في صحيحه (٢٦٩٧).

(٢) مسلم (٢٦٥٤).

(٣) مسلم (٢٧٢٥).

ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء**»[١].

- الدعاء: من أكبر الدوافع، والبواعث، والإقدام إلىٰ طاعة الله تعالىٰ.

روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ﷺ كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**.[٢]

قلت أليس هذا هو الزهد بمفرداته وأعماله، أليس الزهد: صلاح الدين والعصمة من الذنب، وصلاح الدنيا، ومرداً حسناً في الآخرة.

فأنظر إذاً للنبي ﷺ حينما لا ينقطع لسانه بالدعاء الآتي عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة في كل خير، وأجعل الموت راحة لي من كل شر**»[٣].

وأختم هذه الأدلة علىٰ وضوح العلاقة بين الدعاء والزهد وأنه لا دعاء مقبول إلا بالزهد الصحيح، وأنه لا زهد مشكور إلا بالدعاء المقبول؛ بحديث رائع جميل.

قال النبي ﷺ : «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»[٤].

وحديث ثاني: قال ﷺ : «**إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه**».

فيا من تبحث عن الزهد، ويا من شمرت للطاعة، وتريد قطع المفاوز المهلكة؛ إلىٰ النعيم الأرضي ـ طاعة الله ـ وإلى النعيم الأبدي-جنة الله- هيهلا إلىٰ الدعاء فهو خير المطايا، وأعظم السبل، وأسرع طرق الوصول إلىٰ خير المأمول.

وإني أسال الله لي ولك مرافقة الأنبياء، وجزاء الشهداء، وعطاء الله تعالىٰ للأولياء في الدنيا والآخرة فهو بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) البخاري (١١/ ٤٤٩) ومسلم (٢٧٠٧) النسائي (٨/ ٢٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢) والترمذي (٣٥٦٧) والنسائي (٨/ ٢٦٠) .

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٠) .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني (١٠٥٥) صحيح الجامع .

الفصل السابع : الزهد وواقعنا المعاصر

أقول بحمد الله، وتوفيقه، منةً منه، وفضلاً أن الأمة الآن بحاجة إلىٰ ذلك الدواء الشافي، والعلاج الناجح أمتنا الآن أمة مقهورة، مكلومة، مشتتة مفرقة، أحبت الدنيا، وقدمتها علىٰ الآخرة، أمتنا من أغنى الأمم مالاً، وأكثر تعدداً وبشراً، وتملك كنزها الثمين المفقود- عند غيرهم من العالمين- الإسلام وشريعته.

وصدق الله تعالىٰ حين قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩] .

نعم: ربانا القرآن، وعلمتنا سنة النبي ﷺ العدنان: أن طريق السعادة في الدارين لا ينفك عن طاعة الله تعالىٰ والتزام شرعه ومنهاجه.

وأدعوك أخي المسلم إلىٰ استعراض بعض نكبات أفعالنا، وسوء أحوالنا وسلوكنا. فسنرى أن علاج هذا الداء العضال، هو طاعة رب الأرض والسموات، والذي هو يجمعه معنى الزهد الصحيح.

- أخي وحبيبي أمتنا حكَّمَت غير شريعة الله، وأوجدت دساتير وقوانين غير ما أنزل الله، والعجب أنها أخذتها من قوانين أعداءها، والذين استعمروا واحتلوا أراضيها، ومات ملايين الشهداء بنيرانهم ومدافعهم، فرنسا والإنجليز ماذا صنعوا بنا، وكم نهبوا ثرواتنا، وقتلوا رجالنا، وهتكوا أعراضنا، وترانا أسرع الناس إتباعاً لهم، بل وقد عظمنا قوانينهم وجعلناهم قوانين لنا.

فما الذي جعلنا نتجه إلىٰ هذا الإتجاه إلا حب الدنيا والغرق في لذاتها وشهواتها.

أليس العلاج هو الطاعة والزهد.

- أخي وحبيبي من الذي شرع لنا وفتن لنا أن نضع أموالنا في البنوك الربوية، وحصر تعامل الناس في أرزاقهم وأقواتهم بتلك البنوك، والمعاملات

الربوية، التي طمت وعمت، وصارت أصلاً من أصول الاقتصاد العالمي، ذلك الاقتصاد الذي يكرس لكل نظام يخالف ما أصله الله تعالىٰ من نظم مالية، واقتصادية قد ارتضاها لنا، بل تقوم دخول أمم عليها.

أليس حب المال، وتقديمه علىٰ محبة الكبير المتعال؟ هذا داء، وإنما الزهد هو الدواء.

سعينا لكسب المال من حرامه قبل حلاله، تجارات محرمة، وكذب، وخداع وغش، وتدليس ورشوة، وكل ذلك تحت مزعم علوم التسويق والتي تقوم علىٰ غير ما اراد الله تعالىٰ، ولا ما أرشد إليه نبيه ﷺ.

من دفعنا إلىٰ ذلك إلا حب الدنيا، والثقة في المال، ونسيت الأمة رب المال.

هذا هو الداء، والزهد هو الدواء.

تبرج فاحش، واختلاط بين الرجال والنساء أورث الأمة الزنا، وارتكاب الكبائر والفواحش بل وانتشر السحاق واللواط.

من الذي فعل ذلك بنا إلا الحرص علىٰ الشهوات العاجلة؛ ونسيان العواقب في الآخرة، بل وحرمان من نعيم الآخرة.

أليس هذا هو الداء، والزهد هو الدواء، والزهد هو الدواء إذا أردت أن تعدد تلك المساوئ والكبائر والذنوب حدث ولا حرج.

لكن اسمع معي قول رب العالمين: يقول تعالىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الحديد: ٢٠].

نعم: صدقت يا رب: ما أغبى وما أحمق العبد الذي ضيع عمره، وأنفق الغالي والنفيس لحطام زائل، أو بني بيت من جوهر ولؤلؤ في صحراء خربة لا يقدر لها عمران فإذا كان المال كذلك وعلم العبد حقارة الدنيا، وعلو شأن الآخرة، ونعيمها الذي لا يخطر علىٰ بال ولا عقل.

فإنه يبادر ببذل ماله، ونفسه رغبة في رضي الله تعالىٰ والفوز بجنته، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

ويقول الله تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١]

وعندك المثال النبي وأصحابه في البذل والتضحية علىٰ أعلى مستوى من الجلال والعظمة لارتفاع رتبهم في الزهد في الدنيا، واليقين بالآخرة والصدق مع الله.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

هذا أخي الحبيب، والقارئ الفطن اللبيب هو الزهد دواء لكل داء، ففيه تمام العافية، وسلامة القلب، والبدن، وراحة النفس والبال، والتحصل علىٰ عيشة هنية، والموت ميتة سوية، والمرد غير مخزٍ ولا فَاضح، بل مرد فيه رحمه الله تعالىٰ ونعيمه المقيم في جنان النعيم.

هذا ما قيدته بحول الله الله وقوته عن الزهد كمقدمة هامة لازمة، لشرح وبيان ذلك السفر النفيس والكتاب الرائد، الجميل الدار الآخرة للسيوطي.

الباب الثاني

أربعون موعظة في الزهد

الموعظة الأولى: الحرص علىٰ المواعظ والعمل بها

عِبَادَ اللهِ انْتَبِهُوا للمَوَاعِظِ واعْلَموا بِهَا فَقَد وَرَد عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**أيما عَبْدٍ جَاءتْه مَوعظه مِن اللهِ في دِينه فإنما هِيَ نِعْمَة مِن اللهِ سِيْقَتْ إليه فإنْ قَبِلَهَا بِشُكر وإلاَ كَانت حُجَّة مِن اللهِ عَليهِ لِيَزْدَاد بِهَا اثْماً ويَزْدَاد اللهُ عَليهِ بها سُخْطا**».

عِبَاد الله كَمْ قَد نُهِيْتم عن الاغْتِرَار بالدُنيا وحُطَامها الفَاني، والطُمَأْنِينة إليْهَا، والانْخِدَاع بِزَخَارِفِهَا وكَم قَد نُهِيتُم عَن الإيْثَار لَهَا عَلىٰ الآخِرَة والاشتغال بِهَا عنها، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ **وقال عزَّ من قائل** ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨] وقال عزَّ من قائل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشّورى: ٢٠] وإنَّ داراً يا عِبَاد الله أوْصَافُها في كتاب الله وسُنَةِ رَسُولِهِ إنها غُرُوْرٌ وَمَتَاعٌ قَليل ولَعِبٌ ولَهْوٌ ومَمَرٌ وطريقٌ إلىٰ الآخرَة كمَا هُو الوَاقِعُ دَار مَمْلؤَة بالأكْدَار والمَصَائِبِ والآلام والأحْزَانِ دارٌ مَا أضْحَكَتْ إلا وأبْكَت، ولا سَرَّت إلا وأسَاءَت، دَارُ نِهَاية قوة سَاكِنيْهَا إلىٰ الضَّعْفِ ونِهَاية شَبَابِهِمْ إلىٰ الهرَمِ ونِهَاية حَيَاتِهِم المَوْتَ.

الموعظة الثانية: «مِن مَواعظ النبي ﷺ وَوَصَايَاه»

قال ﷺ : «حَلُّوْا أنْفُسكم بالطَّاعَةِ، وألْبِسُوها قِنَاع المَخَافة، واجْعَلوا آخِرَتكُم لأنفُسِكُم بالطاعةِ، لِمُسْتَقَرِكُم، واعْلَمُوا أنَّكُم عن قَليل رَاحِلون، وإلىٰ اللهِ صَائِرُون ولا يُغْنِى عَنْكُم هُنَالِكَ إلا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوه، أوْ حُسْنُ ثَوَابِ حُزْتُمُوه.

وقال ﷺ في بعض خطبه: «أيُّها النَّاس إنَّ الأيَام تُطْوَى، والأعْمَار تَفْنَى؛

والابْدَانَ في الثَرى تَبْلَى، وإنَّ اللَّيْل والنَّهار يَترَاكَضَان تَرَاكُض البَرِيْد، يُقَرّبان كُلَّ بَعِيْدٍ، ويُخْلَقِان كُلَّ جَدِيْد، وفي ذَلِكَ عِبَاد اللهِ مَا أَلْهَى عَن الشَّهَواتِ، ورَغَّبَ في البَاقِيَات الصَّالِحَات».

وقال ﷺ في بَعْضِ خُطَبِه: «أيُّها النَّاسُ إنَّ لَكُم نِهَايَة، فانْتَهُوا إلىٰ نِهَايَتِكُم، وإنَّ لَكم مَعَالِمَ، فانْتَهُوا إلىٰ مَعَالِمكُم، وإنَّ المؤمِن بَيْنَ مَخَافَتَيْن: أجلٌ قَدْ مَضى، لا يَدْرِي ما اللهُ صَانِعٌ فِيهِ، وأجلٍ قَدْ بَقى، لا يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيه فَلْيَتَزَوَّدِ العَبْدُ لِنَفْسِهِ مِن نفْسِه، ومِن دُنْيَاه لآخِرَتِه، ومِن الحَيَاة قَبْل المَوتِ، فإنَّ الدُنيا خُلقَت لَكُم، **وأنْتُم خُلقْتُم للآخِرَة، فَوَ الذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَده ما بَعد المَوتِ من مُسْتَعْتَبٍ**، ولا بُعْدَ الدنيا إلا الجَنَّة أو النَّار.

وقال ﷺ : «أيُّها النَّاس كَأَنَّ المَوت عَلَى غَيرِنا كُتِبَ، وكأنَّ الحَق عَلَى غَيْرِنا وَجَبَ، وكأنَّ الذي نُشَيّعُ مِنَ الأَمْوات سَفَرٌ عَمَّا قَليل إلينَا رَاجِعُون، نُبوئُهم أَجْدَاثَهُم، ونأكُلُ تُرَاثهُم، كَأنَّا مُخَلَّدونَ بَعْدَهُم، نَسِيْنَا كلَّ وَاعِظَةٍ، وَأمّنا كُل جَائِحة، طُوْبىٰ لِمَن شَغَلَهُ عَيْبُه عن عُيُوب النَّاس، طُوبى لِمَن أنْفَق مَالا اكْتَسَبه مِن غَير مَعْصِيَة، وجَالَس أهل الفِقْه والحِكْمَة وخَالَط أهْل الذِلَّة والمَسْكَنَة طُوبى لِمَن ذَلَّت نَفْسَه، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه، وطابَتْ سَرِيْرَتُه، وعَزَل عَن الناسِ شَرَّهُ، طُوْبَى لِمَنْ أنْفَق الفَضْل مِن مَالِه، وأمْسَك الفَضْل مِن قَوْلِه ووَسِعَتْهُ السُنةُ، ولم تَسْتَهوه البِدْعَة» أهـ.

قِيل إن خَيْرَي الدُنيا والآخرة في خَمْسِ خِصَال وَهِي غِنَي النَّفس، وَكَف الأذَى، وكَسْبُ الحَلال، ولِبَاسُ التَّقْوى والثِقة باللهِ علىٰ كُل حَال وقد نَظَمَهَا أحَدُ العُلَماء فقال:

أرَى خَيْرَي الدارينِ يُجْمَع كُلُّهُ ... بخَمسِ خِلالٍ يالَها مِن لَطَائِفِ
غِنَى النَّفس مَع كَفِ الأذَى واكْتِسَاب ما ... يَحلُّ ومَلْبُوس التُقَى حِصْنُ خَائِفِ
علىٰ كُلِّ حَالٍ كُنْ بِرَبِّكَ واثِقاً ... بنفْع وكَشْفِ الضُرِّ عِنْد المَخَاوفِ

اللهم اسلك بنا سبيل أهل الطاعة، ووفقنا للثَّبات عليها والاستقامة، وعافنا من موجبات الحسرة والندامة، وأمنا فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثالثة : ذم الدنيا

كَتَبَ الحَسن إلىٰ عُمر بن عبد العزيز في ذَمِّ الدُّنْيا كِتَاباً طويلاً قَالَ فِيه:

أمَّا بَعدُ فإن الدنيا دارُ ظعن ليست بدارِ مُقَام وأنّما أُنزل اليها آدمُ عقوبةً فاحذرهَا يا أمير المؤمنين فإنَّ الزاد منها تركُهَا والغنى فيها فقرُهَا تَذلَ من أَعَزَها، وتُفْقِر من جمعها كالسُّم يأكلُه من لا يعْرفُه، وهو حتْفُه فاحذر هذه الدارَ الغَّرارَة الختالةَ الخدّاعة وكن أسَرَّ ما تكونُ فيها أحذر ما تكونُ لَهَا، سرورُهَا مشوبٌ بالحزن، وصفوها مَشُوبٌ بالكدر، فلو كان تكون الخالق لم يخبره عنها خبرا، ولم يضربْ لها مثلا لكنتُ قدْ أيقظتُ النائم ونبهتُ الغافلَ فكيف وَقدْ جَاء من الله ﷻ عنها زاجرٌ وفيها واعظٌ فما له عند الله سبحانه قدر ولا وزن، ما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت علىٰ نبينا ﷺ مفاتيحها، وخزائنُها لا ينقصُ عند الله جَناحَ بَعُوضة فأبىٰ أن يقبلها وَكَرِه أن يُحبَّ ما ابغضه خالقه، أو يرفَعَ ما وضعه مليكهُ، زواها الله عن الصالحين اختياراً وبسطها لأعدائه اغتراراً؛ أفيظن المغرورُ بها أنه أكرم بها، ونسى ما صَنع الله بمحمد ﷺ حين شدّ علىٰ بطنه الحَجَرَ، والله ما أحدٌ من الناس بُسِطَ له في الدنيا فَلَمْ يَخَفْ أن يكون مكراً إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه وما أمْسَكَ عن عبد فلم يظُنه خيراً له فيها إلا نَقَصَ عَقْلُهُ وَعَجَزَ رأيه.

اللهم ألهمنا ذِكْرَك وشُكرِكَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أمركَ وَتَفَضَّلْ علينا بعافيتك وجزيلِ عفوكْ واغفْر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

موعظة

وقال الشّيخُ الواسِطيُّ في بعض رَسائلِهِ: إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً أقامَ في قلبه شاهداً من ذكر الآخرة يُريدُ فناءَ الدُّنيا وزَوَالَهَا، وبقاء الآخرة ودوامها فيزهَّدُه في الفاني ويُرغَّبه في الباقي فيبدأُ في السير والسلوك في طريق الآخرة وأَولُ السير فيهَا تصحيحُ التوبةِ، والتوبةُ لا تتمُّ إلا بالمحاسبةِ ورعايةِ الجوارحِ السبعة، العَينُ، والأذنُ واللسانُ والبَطنُ والفرجَ واليدُ والرِّجلُ وكَفِهَا عن جميع المحارم والمكاره والفضول هذا أحد شطري الدين، ويبقى الشطرُ الآخر، وهو القيام بالأوامر فتحقيق الشَطر الأولَ وهو تركُ المناهي من قلبه وقالبه.

أما القالب فلا يعصى الله بجارحة من جوارحه، ومتى زلَّ أو أخطأ تاب، وأما القلبُ فتنقى منه الموبقات المهلكات مثل الرياء، والعَجْب والكِبْر، والحسد، والبغض لغير الله، وحبِّ الدنيا ورد الحقِ واستثقالهِ والأزدراء بالخلق، ومقتهم وغير ذلك من الكبائر القلبية التي هي في مقابلة الكبائر القالبية من شرب الخمر، والزنا، والقذف، وغير ذلك. فهذه كبائر ظاهرة، وتلك كبائر باطنة. وكلاهما ضرر.

قال: فَمَنْ انطوى علىٰ شيء من الكبائر الباطنية ولم يتبْ حَبِطَ عَملُه بدليل لا يدخل الجَنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وجاءَ إنَّ الحسدَ يَأكلُ الحَسناتِ كَمَا تأكلُ النَّارُ الحَطبَ، وَجَاء بقول الله تعالىٰ: «**أنا أَغْنَى الشركاء عَنْ الشِرك من عَمِلَ عَملاً فَأشْرَك مَعِي فِيهِ غَيري تَركْته وشِرْكه**» وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾.

فَمَتى تَنَقْىَ القَلب مِن مِثْل هَذِه الخَبَائِثْ، والرَذَائِل، طَهُر وَسَكَنت فِيهِ الرَّحمةُ فِي مَكَان البُغْض والتَوَاضُع فِي مُقَابلة الكِبْر، والنَّصِيحة فِي مُقَابلة الغِش، والإِخْلاَصُ في مقَابَلَةِ الرِّياء ورؤية المنة في مقابلة العُجْب، ورؤيةُ النفسِ فعندَ ذلك تَزْكوا الأعمالُ وتَصْعَد إلىٰ اللهِ تعالىٰ ويَطهرُ القَلب، ويَبقي مَحلاً لِنَظر الحَقِّ بمشيئةَ الله ومعونته فهذا أحدُ شَطْري الدين، وهو رعايةُ الجوارحِ السبعةِ عن المآثم، والمحارم، وإنما تصْلُح وتَطْهُر برعايةِ القلبِ وطهارتِه من المُوبقاتِ والجرائِم، ومَعْنَى الموبقات: المهلكات أهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والقلوب ثلاثةٌ: قلبٌ خَالٍ مِن الإيمان، وجميع الخَير فَذَلكَ قَلبٌ مظلمٌ قد استراحَ الشيطانُ من إلقاءِ الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتاً، ووطناً، وتحكَّمَ فِيه بما يريد، وتَمكَّنَ منه غَاية التمكن، القلبُ الثاني: قلبٌ قد استنار بنُور الإيمان، وأوقِدَ فيه مِصْبَاحهُ لَكن عليه ظلمةِ الشهوات، وعَواصف الأَهْوِيَة؛ فللشيطان هناك إقبالٌ وإدبَارٌ ومجالات، ومَطَالعُ فالحرب دُوَلٌ وَسِجَال وتَخْتَلف أَحْوَالُ هذا الصِّنف بالقلة، والكَثْرَة؛ فمنهم مَنْ أوقاتُ غَلَّبته لِعَدوَّه أكثر، ومنهم من أوقاتُ غَلَبَة عَدَّوهِ أكثر، ومنهم مَنْ هو تارةً وتارة.

القلب الثالث: قلبٌ محْشوٌ بالإيمان قد استنَار بِنُور الإيمان، وانْقَشَعتْ عنه حُجُبُ الشهوات، وأقلعتْ عنه الظُلمَاتُ، فلنوره في صَدْرِهِ إشراقٌ ولذلك الإشراقُ إيقادٌ

لَو دَنا مِنه الوسواسُ احترق به فهو كالسماء التي حُرِستْ بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطَّاهَا رُجِمَ فاحْترقْ.

وليست السماء بأعظَمَ حُرمةٍ من المؤمن وحراسةُ الله تعالىٰ لهُ أتمُّ منْ حراسةِ السماءِ والسماء مُتعبّدُ الملائكة، ومستقُّر الوحي، وفيها أنوارُ الطاعات وقلبُ المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة، والإيمان. وفيه أنوارها فهو حقيقٌ أن يُحرَسَ، ويُحفَظَ من كيدَ العدوِّ فلا ينالُ منه إلا خطفةُ تَحصلُ له علىٰ غِرّة وغفلةٍ من العبد إذْ هو بشرٌ وأحكامُ البشريةِ جاريةٌ عليه مِن الغَفلة، والسهو والذّهُول وغَلبةِ الطّبع . أهـ.

اللهم اجْعَلنَا مِن حِزْبَك المُفْلِحين وَعِبَادَك الصالحينَ الذين أَهلتهم لِخدمَتِكَ وجَعلتُهم مِمَن قَبِلتَ أعمَاله يا ربَّ العالمين وصلى الله عَلى محمد وآله وصحبه أجمعين.

الموعظة الرابعة: الرغبة في الآخرة والتجهز له بصالح العمل

رُوي عن عَليّ بن أبي طالب أنه قَال: لا تَكُن مِمَّن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويؤخرُ التَوبةَ لِطُول الأمل، ويقولُ في الدنيا بقول الزاهدين، ويعملُ فيها عَمَل الراغِبين إنْ أُعْطِى، من الدنيا لم يَشْبعَ وإن مُنْعَ منها لمْ يقنع، ويأمر الناس بما لا يأتيه يُحبُّ الصالِحين، ولا يَعْمَلُ أعمالهُم، ويُبغضُ المسيئينَ وهو مِنْهم، يَكره الموت لِكَثرة ذنُوبه، ويقيم علىٰ ما يَكْره له الموتَ، إن سَقِمَ ظلَّ نَادماً وإنْ صَحَّ أمن لاهياً، يعجبُ من نَفْسهِ إذا عُوفي ويَقنطُ إذا تغلبهُ نفسهُ علىٰ ما يَظنُّ ولا يغلبها علىٰ ما يستقين، ولا يَثقُ من الرزقِ بما ضُمِنَ له، ولا يَعْمَل مِن العَمل بما فُرِضَ عليها إنْ اسْتغنىٰ بَطِرَ، وإن افتقر قنط، وحَزنَ فهو من الذَنب في حالِ النَّعمة، والمحنة مُوقرُ، يطلَب الزيادةَ ولا يشكرُ ويتكلفُ من الناسِ ما لا يُؤمر، ويضيِّغ الموتَ ولا يبادرُ الفوتِ، يستكبرُ من معصية غيره ما يسهل أكثره من نفسه. مَزاهرُ اللّهِ مع الأغنياءِ أحبُّ إليه من الذِّكرمع الفُقراء يحكمُ علىٰ غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره.

شعراً:

يا نفسُ قبل الرّدى لم تُخْلقي عَبثا	تَجـهَّـزي بِجَـهـازٍ تَـبـلُـغـينَ بـه
قَبْلَ اللّزام فلا مَلْجا ولا غَوثَا	وسَابقي بَغْتَة الآجال وانكَمشِي

ولا تَكَدِّي لِمَنْ يَبْقَى وتَفْتَقري إنّ الرَّدَى وارِثُ البَاقي وما وَرَثَا
واخْشَيْ حَوادِثَ صَرْف الدَّهر في مَهَلٍ واسْتَيقِظِي لا تكُونِي كالذي بَحَثا
عنْ مُدْية كانَ فيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ فوافَت الحرْث محروُثاً كَمَا حُرِثا
مَنْ كانَ حينَ تُصِيْب الشّمسُ جَبهتَهُ أو الغُبارُ يَخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثا
ويَأْلفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقي بَشاشَتُهْ فَسوفَ يَسْكُن يَوْماً رَاغماً جَدثَا
في قَعْرِ مُوحِشَةٍ غَبْرَاء مُقْفِرَةٍ يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرا في جَوْفِها اللَّبَثا

اللهم أمنُنْ علينا بإصْلاح عُيوبنا، واجعلْ التقْوى زادَنا، وفي دِينك اجتهادنا، وعليك توكلنا واعتمادُنا، واغفرْ لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين الأحياء، منهم، والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الخامسة: عباد الله فروا إلىٰ الله

عِبَاد الله اهْتِفُوا بالقُلوب لَعَلَّها تَسْتَقيظ مِن وَسَن الرُّقَاد واصْرفُوا نُفُوسكم عن مَوَارد الإبْعاد واتبعوا في دَار النُّقْلةِ والزَّوال وآثارَ السَّلفِ الزُهَّاد فقد نَاحَتْ الدُنيا عَلى أهْلها بألسُن الانقلاب ولاَحتْ لكم من الآخرة شواهد الاقتراب، وأنتم عَما أضلكم منها غافِلُون، وبما غرَّكم وألهاكم عنها متشاغلون، كأنكم بحقيقة معرفتها جاهلون، أو كأنكم إلىٰ غيرها راحلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فاتركوا ما أنْتُم عنه منقلبون، وانْهضُوا في التزود لما أنتم إليه صائرون، فإنَّ أمامكم صيحةٌ تُلحق الأحياء منكم بالأموات، وتَذهلُ معها النفوس عن ملابسة اللذاتِ فما أقرب الوصول إليها لمن مطاياه الليل والنهار المُبْلِيَان لكل جديد المقرِّ بان لكلٍّ بعيد، قال بعض الحكماء: من كانَتْ الأيامُ والليالي مطاياه، سارَت به وإن لم يَسِرْ، وكَتب بعضُ السلف إلىٰ أخٍ له فقال: اعلم يا أخي أنه يُخيل إليك أنَّك مُقيم، وأنت دائب السير، تُساقُ سَوقاً حثيثاً، والموتُ متوجِّه إليك، والدُنيا تطوى من ورائك، وما مَضَى من عُمرك فلَنْ يرجع إليك.

ومَا هَذِه الأيَّام إلا مَراحِل يَحُثُّ بها حَادٍ مِن المَوْتِ قَاصِدُ
وأَعْجَبُ شَيْءٍ لَو تَأَمَّلْتَ أنَّهَا مَنازلُ تُطْوَى والمُسَافِرُ قَاعِدُ

شعراً:

اتَحْسَبِ العُمْرَ مَرْدُوداً تَصَرُمُهُ هَيْهَات أَن يَرْجِع المَاضِي مِن الحُقُبِ
فَبَادِرِ العُمْرِ قَبْلَ الفَوْتِ مُغْتَنِماً ما دُمْت حَياً فإنَّ الموتَ في الطَّلَبِ
فالعُمُرُ مُنْصَرِمٌ والوَقْتُ مُغْتَنَمٌ والدهرُ ذُو غِيَر فاجْهَد به تُصِبِ

كان بعضُ السَّلف إذا أَرَادَ أنَّ يَنَامَ قالَ لأهلِه: أستَودِعكم الله، فلَعَلها أنْ تَكُون منيَّتي، التي لا أقُوم مِنْهَا. وكان هَذا دأبه إذا أراد النوم، وقال آخر: إنْ استطاع أحدكم أن لا يبيت في أهل الدنيا ويصبح مكتوب فليفعل فإنه لا يَدري لعله يَبيت في أهل الدنيا، ويصبح في أهل الآخرة، قلت: وينبغي لكل من أراد الخروج لمحل تطرَقُه السيارات، وفي وقتنا الذي كثر فيه مَوتُ الفجاء بسبب السرعة المفرطة من سائقي السيارات، الذين ليس عندهم حرمة للمسلم نسأل الله الحي القيوم أن يوفق ولاتنا للأخذ علىٰ أيديهم، وردعهم ليأمن المشاة ويطمئنوا بإذن الله تعالىٰ:

إنـي أرِقـتُ وذكـرُ الـموتِ أرَّقَـنِـي وقلـتُ للـدَّمْعِ أَسْعِدْنِي فأسْعَدَنـي
يـا مَـنْ يَمُـوت فَلَـمْ تُحْزِنْـهُ مِيْـتَتُـه ومَـنْ يَـمُـوتُ فَـمـا أولاَهُ بـالـحَـزَنِ
تَبْغِي النَّجَاةَ مِنَ الأحْداث مُحْتَرِساً وإنَّـمـا أَنْـتَ والـعِـلاتُ فـي قَـرَنِ
يا صَاحِبَ الرَّوح ذِي الأنْفَاس في بَدَنٍ بَـيـنَ الـنـهـارِ وبَـيْـنَ الـلَّـيـل مُرْتَـهَـن
لَـقَـلَّـمَـا يَـتَـخَـطَّـاكَ اخْـتِـلافُـهُـمَـا حَـتّـى يُـفَـرِّق بَـيْـن الـرُّوح والـبَـدَنِ
طِيْـبُ الـحَـيـاة لِـمَـنْ خَـفَّـتْ مَؤونـتُـه ولـم تَـطِـبْ لِـذَوِي الأثْـقَـال والـمُـؤَنِ
لـم يَـبْـقَ مِـمَّـا مَـضَـى إلا تَـوَهُّـمُـه كَـأنَّ مَـن قَـد مَـضَـى بالأمْـسِ لَـم يَـكُـن
وَإِنَّـمـا الـمَـرْءُ فـي الـدُّنْـيـا بِـسَـاعـتِـه سَـائِـلْ بِـذَلـك أَهْـلَ الـعِـلْـمِ بـالـزَّمَـنِ
مَـا أَوْضَـحَ الأَمـر لِـلْـمُـلْـقِـي بِـعِـبْـرَتِـه بَـيَـنْ اَلـتَّـفَـكُـر والـتَّـجْـرِيْـبِ والـفِـطَـنِ
أَلَـسْـتَ يَـاذَا تَـرى الـدُّنْـيَـا مُـوَلـيَـه فَـمَـا يَـغُـرُكَ فِـيـهَـا مِـن هَـنٍ وهَـنِ
لأَعْـجَـبَـنَ وأنَّـي يَـنْـقَـضِـي عَـجَـبِـي الـنَّـاسُ فـي غَـفْـلَـةٍ والـمَـوتُ فـي سُـنَـنِ
وظَـاعِـنٍ مـن بَـيَـاض الـرَّيْـطِ كِـسْـوَتُـهُ مُـطَـيَّـب لـلـمَـنـايَـا غَـيـرَ مُـدَّهَـنِ
غَـادَرْتُـه بـعـد تَـشْـيـيـعِـيه مـنـجـدلاً فـي قـرب دارٍ وفـي بـعـد مـن الـوَطَـنِ
لا يَـسْـتَـطِـيْـعُ انـتـقـاصـاً فـي مَـحَـلـتِـه مِـن الـقَـبِـيـحِ ولا يَـزْدَادُ فـي الـحَـسَـنِ
مـا بَـالُ قَـومٍ وقَـد صَـحَّـتْ عُـقُـولُـهُـم فِـيـمَـا ادَّعـوا يَـشْـتَـرون الـغَـيَّ بـالـثَّـمَـنِ
لَـتَـجْـذِبَـنَّ يَـدُ الـدُّنـيـا بِـقُـوتِـهَـا إلىٰ الـمَـنـايـا وَإن نَـازَعـتُـهَـا رَسَـنِـي

وأيُّ يَـوم لِـمـنْ وَافَـى مَـنِـيَّـتـهُ يَـوْمُ تَـبَـيـنَ فِـيْـه صُـوْرَةُ الـغَـبَـنِ
لـلـهِ دُنـيـا أُنـاسٍ دَائِـبـيـنَ لَـهَـا قَدْ أُرْتِعُوا في رِيَاضِ الغَي والفِتَن
كَـسَـائِـمَـاتٍ رَوَاعٍ تَـبْـتَـغـي سِـمَـنـاً وحَـتْـفُـهـا لوَ دَرَتْ في ذَلكَ السِّمَنِ

الموعظة السادسة: أنت عبد الله فأحسن الطاعة والكسب وإلا

شعراً:

أنَـا الـعَـبْـد الـذي كَـسَـبَ الـذُنُـوبا وَصَـدَّتـه الأمَـانِـي أن يَـتُـوْبَـا
أَنَـا الـعَـبْـدُ الـذِي أَضْـحَـىٰ حَـزِيـنـاً عَـلَـى زَلاتِـهِ قَـلِـقَـاً كَـئِـيْـبَـاً
أنـا الـعـبـد الـذي سـطـرت عـلـيـه صَـحَـائِـفَ لَـمْ يَـخَـفْ فِـيـهَـا الـرَّقِـيبَا
أنَـا الـعَـبْـدُ الـمُـسِـيء عَـصَـيْـتُ سِـرّاً فَـمَـا لِـي الآن لاْ أُبْـدي الـنَّـحِـيْـبا
أنَـا الـعَـبْـدُ الـمُـفَـرِطُ ضَـاعَ عُـمـري فَـلَـمْ أرْعَ الـشَّـبـيـبَـة والـمَـشِـيـبَـا
أنَـا الـعَـبْـد الـغـريـقُ بِـلُـجِّ بَـحْـرٍ أصَـيْـحُ لَـرُبَّـمـا ألْـقَـي مُـجِـيْـبَـا
أنَـا الـعَـبْـد الـسَّـقِـيْـم مِـنَ الـخَـطَـايَـا وَقَـد أَقْـبَـلـتُ الـتَـمِـسُ الـطَّـبِـيْـبَـا
أنَـا الـعَـبَّـد الـمُـخَـلَّـفُ عَـنْ أُنَـاسٍ حَـوَوْا مِـنْ كـل مَـعْـرُوفٍ نَـصِـيْـبَـا
أنَـا الـعَـبْـدُ الـشَّـرِيـدُ ظَـلَـمْـتُ نَـفْـسِـي وَقَـدْ وَافَـيْـتُ بَـابَـكُـم مُـنِـيْـبَـا
أنَـا الـعَـبْـدُ الـفَـقِـيْـرُ مَـدَدْتُ كَـفِّـي إلَـيْـكُـم فـادْفَـعُـوا عَـنِـي الـخُـطُـوبَـا
أنَـا الـغَـدَّارُ كَـمْ عَـاهَـدْتُ عَـهْـداً وَكُـنْـتُ عَـلَـى الـوَفَـاءِ بِـهِ كَـذُوبَـا
أنَـا الـمَـقْـطُـوعُ فـارْحَـمْـنِـي وَصِـلـنِـي وَيَـسِّـر مِـنْـكَ لِـي فَـرَجَـاً قَـرِيْـبـاً
أنَـا الـمُـضْـطَـرُّ أرجُـو مِـنْـك عَـفْـواً وَمَـنْ يَـرْجُـو رِضَـاكَ فَـلَـنْ يَـخِـيْـبَـا
فَـيَـا أَسَـفَـىٰ عَـلَـى عُـمْـر تَـقَـضَّـى ولَـم أكْـسِـبْ بِـهِ إلاَّ الـذُّنُـوْبَـا
وأَحْـذَرُ أَنْ يُـعَـاجِـلُـنِـي مَـمَـاتٌ يُـحَـيـرُ هَـوْلُ مَـصْـرعِـهِ الـلَّـبِـيْـبَـا
ويَـا حَـزْنَـاهُ مِـنْ حَـشْـريْ وَنَـشْـريْ بِـيَـوْم يَـجْـعَـل الـولْـدانَ شِـيْـبَـا
تَـفَـطَّـرت الـسـمـاءُ بِـهِ وَمَـارَتْ وَأَصْـبَـحـتِ الـجِـبَـالُ بِـهِ كَـثِـيْـبَـا
إذَا مَـا قُـمْـتُ حَـيْـراناً ظَـمِـيـئـاً حَـسِـيْـر الـطَّـرْفِ عُـرْيَـانـاً سَـلِـيْـبـاً
وَيَـا خَـجْـلاَهُ مِـنْ قُـبْـح اكْـتِـسَـابِـي إذا مـا أبْـدَتِ الـصُّـحُـفُ الـعُـيُـوبَـا
وَذِلَّـةِ مَـوْقِـفٍ وَحِـسَـابِ عَـدْلٍ أَكُـونُ بِـهِ عَـلَـىٰ نَـفْـسِـي حَـسِـيْـبَـا

وَيَا حَذْرَاهُ مِنْ نَارِ تَلَظَّى إذا زَفَرت وَأقْلَقَتِ القُلُوبَا
تَكَادُ إذا بَدَتْ تَنْشَق غَيْظاً عَلَى مَن كَان ظلاماً مُريباً
فَيَا مَنْ مَدَّ فِيْ كَسْب الخَطَايا خَطَاه أمَا يَأنِي لَكَ أَنْ تَتُوْبَا
أَلَا فَاقْلِع وَتُبْ واجْهد فإنَّا رَأَيْنَا كُلَّ مُجْتَهِد مُصِيْبَاً
وأَقْبِلْ صَادِقاً فِي العَزْم وأقْصُدْ جَنَاباً لِلْمُنِيب لَهُ رَحِيباً
وَكُنَ لِلَّصالِحِيْنَ أخاً وَخِلاً وَكُن في هَذِهِ الدُّنيا غَرِيْباً
وكُنْ عن كُل فاحشة جَبَاناً وكُنْ في الخَير مِقْدَاماً نَجِيباً
ولَاحِظْ زِيْنَةَ الدُّنيَا بِبُغْض تَكُن عَبداً إلىٰ المَوْلَىٰ حَبِيْباً
فَمَنْ يَخْبُر زَخَارِفَها يَجِدهَا مَخَالبَة لِطَالِبِهَا خَلُوْبَا
وَغُضَّ عَنِ المَحَارِمِ مِنْكَ طَرْفاً طَمُوحاً يَفْتِن الرَّجُلَ الأَرِيْبَا
فَخَائنَةُ العُيُون كَأُسْدِ غَابٍ إذا مَا أَهْمَلْتَ وَثَبْتَ وثُوْباً
وَمَنْ يَغْضُضْ فُضُوْلَ الطَّرَفِ عَنْهَا يَجِدْ في قَلْبِهِ رَوْحاً وطِيْباً
ولا تُطْلِقْ لِسَانَكَ فِي كَلاَمِ يَجُرُّ عَلَيْكَ أَحْقَاداً وَحُوباً
وَصَلِّ إذَا الدُّجي أرخَى سُدُولاً ولا تضْجَرْ به وتَكُن هَيُوْبَا
تَجِدْ أنْساً إذا أُودِعت قَبْراً وفَارَقت المُعاشِرَ والنَّسِيْبَا
وَصُم مَا تَسْتَطيعُ تَجدْهُ رِيّاً إذا ما قُمْتَ ظَمْاناً سَغيْباً
وكُن مُتَصَدِّقاً سِرّاً وَجَهْراً ولا تَبْخَل وكُنْ سَمْحاً وهُوباً
تَجِدْ ما قَدَّمَتْه يَدَاك ظِلاً إذا ما اشْتَدَّ بالنَّاس الكُرُوْبَا
وكُنْ حَسَن السَّجَايَا وذَا حَيَاءٍ طَلِيْقَ الوَجْهِ لأشَكْسا غَضُوبَا

اللهم وفقنا تَوفيقا يَقِيْنا عن مَعَاصِيك، وارْشِدْنا بِرشدك إلىٰ السعي فيما يُرضيك، وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك، وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبابك، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله علىٰ محمد آله وصحبه أجمعين.

الموعظة السابعة: أحوال السلف مع الدنيا وأحوالنا

موعظة

عِبادَ اللهِ كَان سَلَفُنَا في أَرْقَى دَرَجَةٍ، وأَصْبحْنا بَعْدَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ فِي حَالة يُرْثَى لَهَا مِن التَّهَالك عَلى الدُنْيا واهْمَال الآخِرَة، ذلك أَنَّهُم عَرفوا أن الآخرة لا تَنْتَهي حَياتَها، وأن الدُنيا تَنْتَهي في أيام تَمُر مَر السَّحاب، كَمَا أَخْبَر تعالىٰ عن متاعها أنَّه قَلِيل فوضعوا حياة الأَبد نُصب أعينهم، وجَدوا واجتهدوا في العَمَل لَهَا، كَمَا أمرَهم الله، فَلاَ تَكَاد تَرَاهم في لَيلِهم ونَهَارهم إلا وَهم بِعَمل مِن الأعمال يَعمَلون وذَلك العَمل مِن أَعْمَال الآخرة.

ولَقد كَانوا في كُل نَفسٍ مِن أنْفَاسِهم يَرون أنَّه النفس الأخير، الذي تَنْتَهي به آجالهم، فَلو قِيل لَهم إنكم بعد سَاعة تَنْتهي حَيَاتكم مَا زَادوا عَلى مَا هم عَليه مِن الإكثار مِن البَاقِيات الصَالِحات.

أما اشتغالهم بِهَذه الحَياة فمَا كَان إلا لأنه وَسِيلةٌ مِن الوَسَائل، التي تُدْني إلىٰ الجنات، وتُبْعِدُ عن النار، لهذا كانوا لا يَخَافون المَوت، ويَحْرصون علىٰ الجِهَاد فِي سَبيل الله، لعلهم يَنَالون الشهادة، ويَبْكون إذا لم يتيسر لهم الخروج إلىٰ الجهاد، كما أخبر الله عنهم، وكما مر عنهم في الأحاديث السابقة، لذلك بلغُوا من الشَّجَاعة مُنتهَاهَا، وعَاشُوا ومَاتُوا وهم سَادة العَالمين.

أما زُهْدَهم في هذه الدُنيا فَكَان مَوضِع العَجَب، لأنَّ مَقْصودَهم غَيرها، ولِهَذا كَانوا أشرف أمة تَحلَّى بِرُؤيتها الزمان، أما نَحن فَقِصَر نَظرناً قصراً مِن العَار أن ينسب إلىٰ عُقلاء الرجال، وهل يُتصَور أن العَاقل تَملك قلبه، وقالبه الدنيا، وحُطَامها الفاني، فَيَجْعَل كل مقصوده المَال، مَع أنَّه يَقرأ قَول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

هذا هو الذي كَان منّا فالأخرةُ لاَ تَخطر لَنا عَلىٰ بَال، فللدنيا أَبْدَاننا وقُلوبُنا، ولَهَا رِضَانا وسَخَطِنَا، وإن زُجِرنا عَنَّهَا ازْدَاد وَلَعِنا بِهَا وزَاد إقْبالِنَا عَليهَا وتَضَاعَف جُهْدنا لَهَا.

عَلىٰ حَد قول الشاعر:

وإذا زَجرت النَّفس عَن شَغف بِهَا فَكَأن زَجر غويها إغزاؤها

لِهَذا كَرِهنا الموت كَرَاهةً شَديدةً، فَفَقَدْنَا الشجاعةَ، وأصَابَنَا الوَهنُ.

ولهذا وَصلتْ بِنَا الحالُ إلىٰ أنْ مَنعنَا الزكَاةَ أو بَعْضَها، وهي قرينةُ الصلاة، ومِن أجل الدنيا دَاهَنَّا، وتَملقْنَا أعداء الله، مع أنَّ الوَاجب عَلينا نَحوهم هُجْرَانهم، والابتعاد عَنْهُم، وبغضهم لله، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ فلاَ حَول ولاَ قوة إلا بالله العلي العَظيم، هَذا يا أخي هُو السببُ الوَحيدُ في انحِطَاطِنا، وفي عِزِّ سَلَفِنَا الأجلاءِ الكرامِ، ولو سَلَكْنَا طَرِيقَهم مَا أصَابَنا هَذا الذُل والهَوان.

الموعظة الثامنة: في محاسبة النفس

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أنه يجبُ علىٰ الإنسان أولاً: أن يعلمَ أنهُ عبدٌ مربوبٌ لا نجاة له إلا بتقوى الله، ولا هلاكَ عليه بَعْدَها ثم يُفكرُ (لأي شيء خَلَقَهُ الله، ولِمَا خَرَجَ في هذه الدار الفانية، فيعلم أنه لم يخلق عبثاً كما قال الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ وإنما وُضِعَ في هذه الدار للبَلْوى والاختبَار هل يُطِيع رَبَّهُ فينتقلْ إلىٰ دارِ نعيمٍ أبدى سَرْمَدي، أو يَعْصى رَبَّه فينتقل إلىٰ عَذاب الأبد إلىٰ جهنم وبئس المِهَاد.

إذا فَهِم ذَلك عَلِم أنَّه لا نجاة له إلا بطاعة ربه، وأنَّ الدليل علىٰ طاعةِ الله العلم، ثم العملُ بأمرِه ونَهيه، في مَوَاضعِه، وعلله، وأسبابه، ولَنْ يجدَ ذلكَ إلا في كتابِ اللهِ وسُنة رَسُوله ﷺ لأن الطَاعَة سَبِيل النَّجَاة وَالعِلم هُو الدليل عَلى السبيلِ. قَالَ الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

ثم يَتأمَّل ما أمامَهُ مِنَ الشدائد، والكُرَب، والعَقَبات، والأهْوالِ التي أوضحها اللهُ في كتابه وَبَيَّنها رَسُوله ﷺ قال تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١] وقوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- فإذا عَلِمَ أنه مُنَاقَشُ في الحِسَاب عَن مَثاقِيل الذَّرِّ في يوم كان مِقْداره خمسينَ ألفَ سنةٍ أحوَج مَا يكون إلىٰ الحسنات، وغُفْرَان السيئات، تَحقق أنه لا يُنْجِيه من هذه الأخطار، إلا اعتمَادهُ علىٰ اللهِ، ومعونته علىٰ محاسبة نفسه، ومراقبتها ومطالبتها في الأنفاس، والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فَمن حَاسب قبْل ان يُحَاسب خفَّ في القيامةِ حسابه، وحَضرَ عِنْدَ السؤالِ جَوابُه، وحسن متقبله ومآبُهُ.

قال ابن القيم: رحمهُ اللهِ: هَلاكُ القلبِ من إهْمَال محَاسبتها، ومن موافَقَتِها، واتباع هَوَاهَا وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**الكيِّس مَن دَانَ نَفْسَه وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوتِ والعَاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَه هَوَاهَا وتَمَنَّى علىٰ اللهِ الأمَانِي**» دانَ نفسه: أي حاسبها.

وذكر الإمامُ احمدُ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

«حاسبوا أنفُسَكم قبل أن تُحَاسبُوا وزِنُوها قبل أنَّ تُوزَنُوا فإنه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتَزَّينوا للعرض الأكبر، يومئذ تُعرضون لا تَخفى منكم خافية» علىٰ الله. وذَكَر أيضاً عن الحسن: لا تَلْقَى المؤمن إلا يُحَاسبُ نفسه ماذا أردت بكلمتي، ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يُحاسبُ نفسه. وقال قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، أضاع نفسه وغبن مع ذلك تراه حافظاً لما له مضيعاً لدينه.

وقال الحسنُ: إن العبد لا يزالُ بخير ما كَانَ له وَاعظ من نفسه، وكانت المُحاسبة من هّمتهِ وقال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشدَّ مُحاسبة من الشريك، ولهذا قيل: النفسُ كالشريك الخَوَّانْ إن لم تُحَاسبه ذهب بمالك، وقال ميمون أيضا: إن التقيَّ أَشدُّ محاسبة لنفسهِ من سُلطان قاضٍ، ومن شريكٍ شحيحٍ.

وذكر الإمامُ أحمدُ عن وهب قال: مَكْتُوب في حكمة داوود: حَق علىٰ العاقل أن لاَ يَغفل عَن أربع سَاعَات سَاعة يُناجي فِيهَا رَبه وسَاعة يُحَاسب فِيهَا

نفْسُه وسَاعة يَخْلو فِيهَا مَع إخوانِهِ الذين يُخبِرونه بِعيوبِهِ ويصدونهُ عَن نَفْسِهِ، وساعة يَخْلي فيها بين نفسه وبين لَذَّتِها فيما يَحلُ ويَجمل، فإن في هذه الساعة عَوناً علىٰ تلك السَاعَات وإجمَاماً للقلوب.

وقال الحسن: المؤمن قوَّام علىٰ نَفسه لله، وإنَّما يخف الحسابُ يوم القيامة، علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحسابُ يوم القيامة، علىٰ قومٍ أخذوا هذا الأمر مِن غير محاسبةٍ.

إن المؤمن يَفجؤهُ الشيء يعجبه فيقولُ: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حَاجتي ولكنْ الله ما من صلة إليك، هيهات حِيل بيني وبينك، يفرط منه الشيءُ فيرجع إلىٰ نفسه فيقول: ما أردت إلىٰ هذا ما لي ولهذا، والله لا أعود إلىٰ هذا أبداً إنَّ المؤمنين قومٌ وقفهم القرآن، وحالَ بينهمُ وبَينَ هَلكتهم إنَّ المؤمن أسيرٌ في الدُّنيا يَسعىَ فِي فِكَاك رَقبته لا يأمنُ شيئاً حتى يلقى الله، ليعلمَ أنُّه مأخوذٌ عليه في سَمْعِهِ، وفي بَصره وفي لِسَانه وفي جَوَارِحِه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: علىٰ قول صاحب المنازل: المحاسبةُ لهَا ثلاثةُ أركان، أحدُهَا أن تقايس بين نعمته وجِنَايتك يعني تقايس بَين ما مِن الله، وما منك فحينئذ يظهر لك التفاوت وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته، أو الهلاكُ والعطبُ وبهذه المُقَايسة تعلمُ أنَّ الرَّب رَب وَالعَبْدَ عَبدٌ وَيتبَّين لكَ حَقيقةُ النفس، وصفاتها، وعظمةُ جَلال الرُّبوبية وَتُفردُ الرَّب بالكَمَال وَالافضال، وأن كلّ نعمة فَضْل، وكل نقمة منه عدل وأنت قبل هذه المقايسة جاهل بحقيقة وبربوبية فاطرها وخالقها.

فإذا قَايَست ظهر لك أنها منبع كل شر وأساس كل نقص وأن أساس حدها الجاهلة الظالمة وأنه لولا فضل الله ورحمته بتزكيته لها ما زكت ابداً ولولا هداه ما اهتدت ولولا إرشاده وتوفيقه لما كان لها وصول إلىٰ خير البتة وأن حصول ذلك لها من بارئها وفاطرها، ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر وأرجح قدراً وصفة.

قال: وهذه المُقايسة تشق علىٰ من ليس له ثلاثة أشياء، نور الحكمة وسُوء الظن بالنفس، وتمييز النعمة من الفتنة يعني: أن هذه المقايسة والمحاسبة تتوقف علىٰ نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل فبقدره ترى التفاوت وتتمكن من المحاسبة نور الحكمة ههنا هو العلم الذي يميز به العبد بين

الحق الباطل، والهدى الضلال والضار والنافع والكامل والناقص، والخير، والشر، ويُبصر به مراتب الأعمال راجحها ومَرجوحها ومقبولها ومردودها كلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

أما سُوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساوئ مْحاسن العيوب كمالاً، ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه. وأما تمييز النعمة من الفتنة فليفرق بين النعمة التي يرى بها الاحسان، واللطف ويعان بها علىٰ تحصيل سعادته الأبدية وبين النعمة التي ريى بها الاستدارج فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يدري مفتون بثناء الجهال عليه مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه وأكثر الناس عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح، ذلك مبلغهم من العلم وقد مثلت النفس مع صاحبها في المال، وكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة علىٰ ما يفعل الشريك أولاً ثم بمطالعة ما يعمل والإشراف عليه ومراقبته ثانياً، ثم بمحاسبته ثالثاً، ثم بمنعه من الخيانة، أن اطلع عليها رابعاً، فكذلك النفس يشارطها أولاً علىٰ حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال والربح بعد ذلك فمن ليس له رأس مال كيف يطمع في الربح؟

وهذه الجوارح السبعة هي : العين والأذن والفم واللسانُ والفرجُ واليدُ والرجلُ هي مركب العطب والنجاة فمنها عطب من عطب باهمالها وعدم حفظها ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها أساس كل خير وإهمالها. أساس كل شر قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النُّور: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ فإذا شارطها علىٰ حفظ هذه الجوارح، وانتقل منها إلىٰ مطالعتها والإشراف عليها ومراقبتها فلا يهملها فإن إن أهملها لحظة وقعت في الخيانة، ولا بد فإن تمادى علىٰ الإهمال تمادت في الخيانة حتى يذهب رَأس المال كله فمتى أحس بالخسران وتيقنه استدرك منها ما يستدركه الشريك من شريكه من الرجوع عليه بما مضى والقيام بالحفظ والمراقبة في المستقبل ولا مطمع له في فسخ هذه الشركة مع هذا الخائن في المستقبل فليجتهد في مراقبته ومحاسبته وليحذر من اهماله، ويعينه علىٰ

هذه المراقبة والمحاسبة، معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلىٰ غيره وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدا، ويعينه عليها أيضاً معرفته أن ربح هذه التجارة سكن الفردوس والنظر إلىٰ وجه الرب وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم.

فحق علىٰ الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطواتها فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفسية لا خطر لها يمكن أن يشترى بها كنزاً من الكنوز لا يتناهي نعيمه أبد الآباد.

فإضاعة هذه الآنفاس أو مشترى صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً وإنما يظهر لم حقيقة هذا الخسران يوم التغابن﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

اللهم احفظنا بالإسلام، قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام رَاقدين ولا تشمت بنا الاعداء ولا الحاسدين اللهم وعافنا من محن الزمان وعوارض الفتن فإنا ضعفاء عن حملها وإن كنا من أهلها فعافيتك أوسع يا واسع يا عليم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا أرحم الراحمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة التاسعة: أنواع المحاسبة للنفس

قَالَ: ومُحاسبةِ النَّفْس نَوْعَان أما الأول: فَيقف عند أول همتهِ وإرادتهِ ولا يبادر بالعمل حَتى يَتبينَ لَهُ رُجْحَانه عَلى تَرْكِهِ قَالَ الحسن: رَحِمَ الله عَبداً وَقف عِندَ هَمِهِ فإن كَان للَّهِ مَضَى وإن كَان لِغَيره تَأخر، النوع الثاني: مُحَاسَبة بَعد العَمَل وهُو ثَلاثة أنْوَاع: أحدُهَا مُحَاسبتها عَلى طَاعة قَصْرَت فِيهَا من حَق الله فَلَم توقعها عَلى الوَجه الذي يَنبغي.

وحق الله فِي الطَاعَات بِمُرَاعات سِتة أُمور وهي الإخلاص فِي العَمل؟ وَالنَصِيحة للَّه فِيهِ ومُتَابعة الرَسُول ﷺ فِيهِ وَشُهود مِنة الله عَلَيه فِيهِ وَشُهود تَقْصِيره فِيهِ بَعد ذَلك كُله فَيُحاسِب نَفْسه هَل وفىٰ هَذه المَقَامَات حَقْهَا؟ وهَل أتىٰ بِهَا فِي هَذه

الطَاعَات، الثاني: أن يُحاسِب نَفْسه علىٰ عَمل كَان تَرْكُه خيراً لَه مِن فِعْلِه، الثالث: أنَّ يُحاسِب نَفْسُه عَلى أمْر مُباح أو مُعْتَاد لِمَ فَعْلَهُ وهل أرادَ بِهِ الله والدَار الآخرة فيكون رابحاً فيه أو أراد به الدنيا وعَاجِلَتُها، فَيخْسَر ذَلك الربح ويَفُوته الظَفر به قَالَ: وجِمَاع ذَلك إنَّ يُحَاسب نَفْسه أولاً علىٰ الفرائض فَإِذا تَذَكْرَ فِيهَا نَقْصاً تَدَاركه إما بِقَضَاء أو إصْلاَح ثُمَّ يُحَاسب عَلى المَنَاهِي فإن عَرِف أنَّه ارتَكَبَ مِنْهَا شَيئاً تَدَارَكه بِالتَوبة والاستغفار والحَسَنَات المَاحِية ثُمّ يُحَاسب نَفْسه عَلى الغَفْلَة فإن كَان قَدْ غَفَل عَمَّا خُلقَ لَهُ تداركَهُ بالذِكْر والإقْبَال عَلىٰ الله.

ثُم يُحَاسِبها بما تكلمَ بِهِ لِسانِهِ أو مشتْ بِهِ رجلاه أو بطشتهُ يَداه أو سَمِعتهُ أذناه مَاذا أردت بهذا ولم فعلت وعلىٰ أي وَجه فَعلته، وَيَعلم أنَّه لاَ بُد أنَّ يُنْشَر لِكل حَركة وَكَلمة مِنْهُ دِيوان لِمَ فَعلته وَكَيف فَعْلته فَالأول سُؤال عَنْ الإخلاص.

والثاني سُؤال عن المتابعة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ [الأحزاب: ٨] فإذا سُئل الصَادِقُون وَحُوسبوا عَلى صِدقِهِم فَمَا الظن بالكَاذِبين وَقَالَ قتادة: كَلمتان يُسْئَل عَنْهُما الأولون والآخرون مَاذا كُنتم تَعْبُدون ومَاذا أجبتم المرسلين؟ فَيُسْألون عَن المَعْبُود وَعَن العِبَادة وَقَالَ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨].

قَالَ مُحمد بن جَرير: يَقُول الله تعالىٰ: "لَيسألنكم الله عَز وَجل عَن النَّعِيم الذي كُنتم فِيه فِي الدُّنيا مَاذا عَمِلتم فِيهِ؟ وَمِن أَين وَصَلْتُم إليه؟ وَفِيم أصبتموه وَمَاذا عَمِلتم بِهِ وَقَالَ قَتَادة: إن الله سَائل كل عبدى عما استودعه من نعمته وحقه، والنعيم المسؤول عنه نوعان نوع أخذ من حله وصرف في حقه فيسأل عن شركه ونوع أخذ بغير حله، وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه وعن مصرفه، وقد دل علىٰ وجوب المحاسبة قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾ الآية انتهى باختصار.

اللهم هب لنا ما وهبته لأوليائك، وتوفنا وأنت راض عنا، وقد قبلت اليسير منا واجعلنا يا مولانا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المصالح المترتبة علىٰ محاسبة النفس

وفي مُحَاسبة النفس عِدة مَصَالح، أولاً الإطلاع عَلى عُيوبهَا، وَمن يَطْلِع علىٰ عَيب نَفْسِه لَم يُمكنه إزَالته وَمِنْ ذَلك أنَّه لَولا أنَّ الله وَفقَ العَبد لمُحَاسَبتِهَا لشَقِي فِي القِيامة وَمِن ذَلك أنَّ المُحَاسبة للنَّفسِ فِي الكَياسة وَمِن ذَلك اسْترَاحَة المُحَاسِب مِنْ التَعب الطَويل يَوم القِيامة وَمِن ذَلك أنَّه لاَ يَتحَسْر المُحَاسِب فِي القِيَامة كَالذينَ لَمْ يُحَاسِبوا أنْفُسُهم وَمِن ذَلك تَمْرِين النَّفس عَلَى العِبَادة.

وَمِن ذَلِك أن المُحَاسبة تُضْعِف الأَعْمَال السَيئة، وَتُوقفها وَمِن ذَلك أنَّها تَحُض الإنسان عَلى الأعْمَال الصَالِحة، وَمِن ذَلك أنَّها تُخَلِص النَّفْسَ مِن العَجب وَرُؤية العَمَل وَمِن ذَلك أنَّ المُحَاسبة تَفْتَح للإنَّسان بَاب الذُل والانكسَار والخُضُوع للَّه، وَمِن ذَلك أنَّهَا تَدعو الإنسان إلىٰ أنّ يَنظر فِي حَق الله عَليه.

ومِن ذَلك أنَّها تُوجب للإنسان أن يَمْقُت نَفْسَه وَيَعْلم أنَّ النَّجاة لا تحصل إلا بِعَفو الله وَرَحمتُهُ.

وإذَا تَأمْلَت حالَ أكْثَر النَّاس وَجَدتهم بِضِدَ ذَلك يَنْظُرون في حقهم علىٰ الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ومن هنا انقطعوا عن الله وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلىٰ لقائه والتنعيم بذكره وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه فمحاسبة النفس هي نظر العبد في حق الله عليه أولاً ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانياً.

وَيَنْبَغي للإنَّسان أنَّه إذَا حَاسبَ نَفسهُ فَرآها قد قَارفَت مَعْصِية أنَّ يَتُوب تَوبة نصوحاً ويتبع السيئة بالحسنات التي تمحوها فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**» وإن توانى بالنوافل فقد وَرَدَ عَن عُمر بن الخَطاب رضي الله عنه حِين فَاتَته صَلاة العَصر فِي جَمَاعة أنَّه تَصَدق بأرضٍ كَانت له قِيمتهَا مِائتا ألف درهم.

وروي عَنه أنَّه شَغَله أمر عَن المَغْرِب حَتى طَلع نجمان فَلَما صَلاهَا أَعْتَق رَقبتين وَفَاتت ابن أبي رَبيعة رَكعَتا الفَجر فَاعْتَق رَقبة، وَوَرَد أن ابن عمر كان إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة، وكان بعضهم يجعل علىٰ نفسه صوم سنة، أو الحج ماشياً، أو التصدق بالشيء الكثير كل ذلك مؤاخذة لها بما فيه نجاتها.

الموعظة العاشرة: من عواقب الغفلة

قال بعض العلماء علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسهُمْ

أَنفُسَهُم أُوْلَئِكَ هُمُ الفسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

كَشَفَت لَنَا هَذِه الآية الشَريفة عَن سُنة من سُنن الله تعالىٰ: وهي أنَّ مَن غَفَل عَن تَذكر الله فَنَسيهُ، وألهتُهُ دُنياه عَن العمل للدارِ الآخرةِ، أنساه الله نَفسه التي بَين جَنْبِيه، فلا يسعى لما فيه نفعها ولا يأخذ في أسباب سعادتها وإصلاحها، وما يكملها ولا السعي في ازالة عللها، وأمراضها التي تؤول بها إلىٰ الفساد والدمار والهلاك وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وصلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم.

ومن تأمل هذا الموضع تبين له: أن أكثر هذا الخلق قد نسوا أنفسهم وضيعوها وأضاعوا حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع المغبون، ويظهر ذلك عند الموت ويتجلى ذلك يوم التغابن يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، إنها لحسرة علىٰ كل ذي غفلة دونها كل حسرة هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وأما الرابحون فهم الذين أنار الله قلوبهم للحق فعرفوا الدنيا وقيمتها وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من أولها إلىٰ آخرها حتى نبيع حظنا من الله تعالىٰ والدار الآخرة بها فكيف بما ينال العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة له إلىٰ دار القرار البتة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يُونس: ٤٥] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النَّازعَات: ٤٦] هؤلاء هم الكيسون الذين علموا حقيقة الدنيا، كما علموا قلة لبثهم فيها وأن لهم داراً غير هذه الدار: دار الحيوان ودار البقاء اتجروا تجارة الأكياس، ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس فظهر لهم يوم التغابن ربح تجارتهم، ومقدار ما اشتروا قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف].

وفي هذا المعنى يقول عمر رضي الله عنه: إنما الدنيا أمل مخترم: أي منتقض وبلاغ إلىٰ دار غيرها وسير إلىٰ الموت، وليس فيه تعريج فرحم الله امرءاً أفكر في أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه وتاب إلىٰ ربه إلىٰ أن قال

إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية للسقم وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد عن السرف وأصح للبدن وأقوى علىٰ العبادة إن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته علىٰ دينه.

ومن العجب العجاب أن العبد يسعى بنفسه في هوان نفسه وهو يزعم أنها لها مكرم ويجتهد في حرمانها من حظوظها وشرفها وهو يزعم أنه يسعى في حفظها ويبذل جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدنيسها وهو يزعم أنه يسعى في صلاحها وكان بعض السلف يقول في خطبته: ألا رب مهين لنفسه وهو يزعم أنه مكرم لها، ومذل لنفسه وهو يزعم أنه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلاً أن يكون مع عدوه لنفسه يبلغ منها بفعله ما لا يبلغه منها عدوه.

مَا يَبْلُغ الأعداء مِنْ جَاهِلٍ   مَا يَبْلُغ الجَاهلُ مِن نَفْسِهِ

فالعاقل هو الذي يعمل مجداً لآخرته ولا ينسيه نصيبه في الدنيا حظه من الآخرة عاملاً بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ ولو أنه تأمل قليلاً لوجد أن لذائذ الدنيا متولدة من آلامها فمثلا لذة الطعام لا تتحقق إلا بألم الجوع ولذة الشراب لا بد أن يسبقها حرقة العطش، ولذة النوم لا يجد الإنسان لها شوقاً إلا بعد أن يضنيه التعب الشديد وهناك نوع آخر من الحكمة غفل عنه الكثيرون من الناس هو أنها بمثابة براطيل تحمل الإنسان علىٰ قوامه، وبقاء حياته، فلذة الطعام تدفعه إلىٰ ألا يهمل جسمه من الغذاء ولولا ما جعل الله من لذة النكاح لانقرض النوع الإنساني من الوجود ولما وجدنا دابة تدب علىٰ وجه الأرض، ولا طائراً يطير في السماء، وكذلك فرحة الأم بطفلها تنسيها آلام الحمل والوحم، والولادة، والتعب، والنصب، والرضاع والسهر الطويل في التمريض، مما يقض مضجعها وينسيها نفسها فسبحان الحكيم العليم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وانتهى بتصرف يسير.

الموعظة الحادية عشر: تراكم الذنوب وكيفية النجاة من ذلك

أيها المسلمون لقد تراكمت عليكم الذنوب وأنتم في غيكم ولهوكم في دنياكم مشتغلون أحاطت بكم البلايا من كل جانب، ولستم لإصلاح أنفسكم تجنحون، كلما أوضح لكم الواعظ طريق الهداية تعاميتم فلا أنتم بالكروب معتبرون، ولا من البلايا منزجرون أما سمعتم قول الله جل وعلا: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ

حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحِجر: ٣].

وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون] وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعَام: ٤٤] أيها المسلم أنظر في نفسك هل تجدها عاملة بمقتضى الدين؟ هل أتيت بالصلاة علىٰ الوجه الأكمل واجتنبت المعاصي المنافية للدين؟ هل أديت الزكاة كاملة مكملة بيقين؟ فتش هل تجد فيها حياء من الله بيقين؟ هل أنت سالم من الكذب والخيانة والاحتيال؟ هل سالم من الرياء في أقوالك وأعمالك؟ هل أنت سالم من الربا في معاملاتك؟ هل أنت سالم من المداهنة والنفاق؟ هل أنت سالم من الغيبة والنميمة والبهت واللعن وسيء المقالات؟ هل أنت سالم من الغش في بياعك وشرائك وسائر في تصرفاتك؟ هل أنت صائن لسانك عن ما يضرك من الاقوال والأعمال؟ هل أنت سالم من الكبر والإعجاب وقطيعة الرحم والعقوق؟ هل أنت سالم من أذية الجار؟ هل قلبك لين رحوم ترحم المسكين وتكرم اليتيم؟ هل أنت تقضي حقوق الناس بدون مطال ولجاج؟ هل أنت تحب في الله وتبغض في الله؟ هل أنت سالم من حلق اللحية أو صبغها أو الدخان؟ هل أنت سالم من الخنافس والتواليت ونحو ذلك من الأخلاق السافلات؟ هل بيتك خال من صور ذوات الأرواح وهل هو خال من المذياع والتلفزيون والسينمات؟ وهل أنت سالم من بيع هذه المحرمات؟ هل قمت علىٰ أولادك للصلاة والتوجيه إلىٰ الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة فعليك أن تتفقد لنفسك بدقة كل يوم وتعالج ما بك من هذه الأمراض المهلكات فإنها أشد ضرراً وفتكاً من أمراض البدن التي لا نصبر عليها إن لم نجد لها علاجاً ذهبنا إلىٰ الخارج رجاء برئها والله أعلم.

الموعظة الثانية عشر: أثار الذنوب في الدنيا والآخرة

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعمله إلا الله، فمنها أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به علىٰ حربه ومن عقوباتها أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلىٰ نفسه. ومنا

أنها تجرئ العبد علىٰ من لم يكن يجترئ عليه. ومنها الطبع علىٰ القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ هو الذنب بعد الذنب. وقال: هو الذنب علىٰ الذنب يعمي القلب. وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفاً وختماً فيصير القلب في غشاوة وغلاف.

ومنها: إفْسَاد العقل فإن العقل نور والمعصية تطفئ نور العقل.

ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه.

ومنها: أن ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة.

ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضاً.

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل.

ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن أما وهنها للقلب فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية وأما وهنها للبدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوى قلبه قوى بدنه.

ومنها: أن المعاصي تمحق العمر إذ أن المعاصي كلها شرور.

ومنها: شماتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يفرح والعدو ويسئ الصديق.

ومنها: تعسير أموره فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير.

ومنها: حرمان دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة للذين تابوا ومنها: أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ.

ومنها: أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد: في المياه، والهواء والزرع والثمار والمساكن.

ومنها: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة.

ومنها: ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب.

ومنها: أنها تضعف القلب تعظيم الرب وتضعف في قلب العبد.

ومنها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه، ومنها: أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين. ومنها أنها تضعف سير القلب إلىٰ الله والدار الآخرة. ومنها أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته.

ومنها: أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم. ومنها أن تصغر النفس وتحقرها وتقمعها.

ومنها: أن العاصي في أسر شيطانه، وسجن شهواته.

ومنها: سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه. ومنها أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه. ومنها أنها تسلب صاحبه أسماء المدح والشرف. ومنها أنها تجعل صاحبها من السفلة انتهى.

الموعظة الثالثة عشر: الدنيا خديعة كبرى وفتنة عظمىٰ

وقال بعضهم:

وَمَالِيْ وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِي ... وَلا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَالَهَا

وَلَسْتُ بِمَيَّال إِلَيْهَا وَلا إِلىٰ ... رِيَاسَتِهَا تَباً وَقُبْحاً لِحَالِهَا

هِيَ الدَّارُ دَارُ الهَمِّ والغَمِّ والعَنَا ... سَرَيْعٌ تَقَضِّيْهَا وَشِيْكٌ زَوَالُهَا

مَيَاسِرُهَا عُسْرٌ وَحُزْنٌ سُرُورُهَا ... وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ ونَقْصٌ كَمَالُهَا

إذا أَضْحَكَتْ أبْكَتْ وإن رَامَ وَصْلَهَا ... غِبَي فَيَاسِرْعَ انقِطَاعِ وِصَالِهَا

فَأَسْئَلُ رَبيْ أَنْ يَحُول بِحَوْلِهِ ... وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وبَيْنَ اغْتِيَالِهَا

فَيَا طَالِبَ الدُّنْيا الدَّنِّية جَاهِداً ... ألا أطْلُبْ سِوَاهَا إِنَّها لا وَفا لَهَا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِن حَرِيْص ومُشْفِقٍ ... عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أنْ يَنالَهَا

لَقَدْ جَاءَ في أَيِ الحَدِيْدِ ويُوْنِسٍ ... وفي الكَهف إِيْضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا

وفي آلِ عِمْرانٍ وسُورَة فَاطِرٍ ... وفي غَافِر قَدْ جَاءَ تِبْيَان حَالِهَا

وفي سُوْرَةِ الأَحْقَاف أعْظَمُ وَاعِظٍ ... وَكَم مِن حَدِيث مُوْجِبٍ لاعْتِزَالِهَا

لَقْدَ نَظَر أقْوَام بِعَين بَصِيرة ... إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرهُمُوا باخْتِيَالِهَا

أولئك أَهْلُ اللهِ حَقاً وحِزْبُهُ ... لَهُمْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ إرْثاً فَيَالَهَا

ومَالَ إِلَيْهَا آخَرُوْنَ بِجَهْلِهِم ... فَلَمَّا أطْمأنُوا أرْشَقَتْهُم نِبالَهَا

أولـئِـكَ قَـوْمٌ آثَـرُوْهـا فَـأعْـقِـبُـوا بِهَا الخِزْيَ في الأخرىٰ فَذَاقُوْا وَبالَهَا
فَقُلْ لِلذِينَ اسْتَعْذَبُوْها رُوَيْدَكُم سَيَنْقَلِبُ السُّمُ النَقِيْعُ زِلاَلِهَا
لِيَلْهُوْا وَيَغْتَرُّوا بِهَا مَا بَدَا لَهُم مَتَى تَبْلُغ الحُلْقُوم تَصْرِمْ حِبالَهَا
وَيَوْمَ تُوفَّي كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا تَوَد فِدَاءً لَوْ بَنِيْهَا ومَالَهَا
وتَأْخُذُ إمَّا باليَمِين كِتَابَهَا إذَا أحْسَنَتْ أوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا
بأَيْدِي الكِرَامِ الكَاتِبِيْن مُسَطَّرٌ فلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجِدالُهَا
هُنَالِكَ تَدْرِيْ رِبْحَهَا وخَسَارَهَا وَإذْ ذَاكَ تَلْقَى ومَا عَلَيْهَا ومَالَهَا
فإنْ تَكُ مِن أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى فَإنَّ لَهَا الحُسْنَى بحُسْنِ فِعَالِهَا
تَفُوزُ بِجَنَّات النَّعِيم وحُوْرِهَا وتَخْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلاَلِهَا
وتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِن نَعْيمِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيْمِهَا وَزِلاَلِهَا
فإنَّ لَهُمْ يَوْمَ المَزِيْدِ لموعِداً زِيَارَة زُلْفَى غَيْرُهُمْ لا يَنَالَهَا
وُجُوْهٌ إلىٰ وَجْهِ الإلهِ نَوَاظِرٌ لَقَدْ طَالَ بالدَّمْعِ الغَزِيْرِ ابْتِلاَلُهَا
تَجَلَّى لَهُمْ رَبٌّ رَحِيْمٌ مُسَلِّماً فَيَزْدَادُ من ذَاكَ التَّجلي جَمَالُهَا
بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبْذَا الجَارُ رَبُّهُمْ ودارُ خُلُوْد لَمْ يَخَافُوا زَوَالَهَا
فَوَاكِهُهَا مِمَّا تَلَذ عُيُوْنَهُم وتَطَّردُ الأنْهَارُ بَيْنَ خِلاَلَهَا
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوْنة ثَمّ فُرْشُهُمْ كَمَا قَالَ فِيْهَا رَبُنَا وَاصِفاً لَهَا
بَطَائِنُ مِن إستَبْرَق كَيْفَ ظَنَّكُم ظَوَاهِرَاهَا لاَ مُنْتَهَى لِجَمَالِهَا
وإن تَكُن الأخرىٰ فَوَيْل وحَسْرَةٍ ونَارُ جَحِيْم مَا أشَدَ نَكَالَهَا
لَهُمْ تَحْتَهُم مِنْهَا مِهَادٌ وفَوْقَهُمْ غَواشِي ومِن يَحْمُوْمِ ظِلاَلُهَا
طَعَامُهُمُ الغِسْلِيْن فِيْهَا وإنْ سُقُوا حَمِيْماً بِهِ الأمْعَاءُ كَانَ انْحِلالُهَا
أَمَا نِيهُموا فِيهَا الخُرُوْجُ وَمَالَهُم خُرُوْجٌ ولاَ مَوْتٌ كَمَا لا فَنى لَهَا
مَحَلَّيْنِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا لتَكْتسبَنْ أو تَكْتسِبْ مَا بَدَا لَهَا
فَطُوْبَى لِنَفْسٍ جَوَّزَت فَتَخَفَّفتْ فَتَنْجُوْا كَفَافاً لا عَلَيْهَا ولاَ لَهَا

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وسوء المنظر في الأهل والمال والولد اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا

الكفر والفسوق والعصيان وأجعلنا من الراشدين واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الرابعة عشر: يا مذنب الله بك عليم

شعراً:

أَلا أَيُّها المُسْتَطرِفُ الذَّنْبَ جَاهِداً. هُوَ اللهُ لا تَخفَى عليه السَّرَائِرُ
فإنْ كُنْتَ لم تَعْرِفْهُ حِيْنَ عَصَيْتَهُ فإنَّ الذي لا يَعْرِفُ اللهَ كَافِرُ
وإنْ كُنْتَ عن عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ عَصَيْتَ فأَنْتَ المُتْسَهِيْنُ المُجَاهِرُ
فَأَيَّةَ حَالَيْكَ اعْتَقَدْتَ فإنَّهُ عليمٌ بما تُطْوَى عليه الضَمَائِرُ

اللهم اهْدِنا لِصَالِح الأعمال والأخلاق لا يَهْدِي لأَحسنِها إلاَّ أَنْتَ واصرف عنا سيىء الأعمال والأخلاق لا يصرف عنا سيئها إلا أنت واغفر لنا ولوالدينا ولجميع الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الخامسة عشر: حقيقة الدنيا دار الغرور

شعراً:

فِيمَ الرُّكُونُ إلىٰ دَار حَقِيْقَتُهَا كَالطَّيْفِ في سِنَةٍ وَالظِّلِّ مِنْ مُزْنِ
دَارِ الغُرورُ ومَأْوَى كلّ مُزْرِيَةٍ وَمَعْدِنُ البُؤسِ وَاللَّوَّاءِ وَالمِحَنِ
الزُّورُ ظَاهِرهَا والغَدرُ حَاضِرُهَا وَالمَوْتُ آخِرُها وَالكَوْنُ في الشَّطَنِ
تُبِيدُ مَا جَمَعَتْ تُهِيْنُ مَنْ رفعَتْ تَضُرُّ مَنْ نَفعَتْ في سَالِفِ الزَّمَنِ
النَّفْسُ تَعْشَقُها وَالعَيْنُ تَرْمُقهَا لِكَوْنِ ظَاهِرهَا في صُوْرَةِ الحَسَنِ
سَحَّارةٌ تُحْكِمُ التَّخييْلَ حتى يُرَى كَأنه الحَقُّ إِذْ كَانَتْ مِنْ الفِتَنِ
إِنَّ الإِلَهَ بَرَاهَا كَيْ يُمَيزُ بِهَا بَيْنَ الفَريقين أَهْل الحُمْقِ والفِطَنِ
فَذُو الحَماقَةِ مَنْ قد ظَلَّ يَجْمَعُها يُعَانِي السَّعْيَ مِنْ شَامٍ إِلى يَمَنِ
مُشَمِّراً يَرْكَبُ الأَخْطَارَ مُجْتَهِداً لأجْلِهَا يَسْتَلِينُ المرْكَبَ الخَشِنِ
وَذُو الحِجَا يْقلِهَا زُهْداً وَيَنبُذُهَا وَراءَه نَبْذَةَ الأَقْذَارِ في الدِّمَنِ

يَرْمِيْ بِقَلْبٍ بَصِيرٍ فِي مَصَائِرِهَا فَلا يُصَادِفُ غيرَ الهَمِّ والحَزَنِ
يَجُولُ بالفِكْرِ في تِذْكَارِ مَنْ صَرعَتْ مِنْ مُؤثِرِيهَا بسَعْيِ القَلْبِ وَالبَدنِ
مِمَّنْ أشَادَ مَبانِيْهَا وأحْكَمَهَا لِيَستَجِنَّ مِنْ الأَقْدَارِ بالجُنَنِ
نَالُوا مَكَارِمَهَا أَحْيو مَعَالِمَهَا سَلُّوا صَوارِمَهَا لِلْبَغْيِ وَالضِّغْنِ
رَقَوْا مَنَابِرَهَا قادُوا عَسَاكِرَهَا بِقُوَّةٍ وَابْتَنَوا الأمْصَارَ وَالمُدُنِ
وَعَبَّدُوا النَّاسَ حَتَّى أصْبَحُوا ذُلُلاً لأَمْرِهِمُ بِينَ مَغْلُوبٍ وَمُمْتَهَنِ
وَجَمَّعُوا المَالَ واسْتَصْفَوا نَفَائِسَهُ لِمُتْعَةِ النَّفَس في مُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ
حَتَّى إِذَا امْتَلَئُوا بشراً بما ظَفرُوا ومُكِّنُوا مِنْ عُلاهَا أَبْلَغَ المِكَنِ
نَادَاهُمُوا هَادِمُ اللذَّاتِ فاقتَحَمُوا سُبُلَ المَمَاتِ فَأَضْحَوا عِبْرَةَ الفِطَنِ
تِلْكَ القُبُورُ وَقَدْ صَارُوا بِهَا رِمَماً بَعْدَ الضَّخَامَةِ في الأَجْسَامِ والسِّمَنِ
بَعْدَ التَّشَهِّي وَأَكْلِ الطَّيِّبَات غَداً يَأْكلُهُم الدُّودُ تَحْتَ التُّرْبِ واللَّبِنِ
تَغَيَّرت مِنْهُمُ الأَلْوَانُ وَانْمَحَقَتْ مَحاسِنُ الوَجْهِ وَالعَيْنَيْنِ والوُجَنِ
خَلَتْ مسَاكِنُهم عَنْهُم وَأَسْلَمَهُم مَنْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ في السِّرِّ وَالعَلَنِ
وَعَافَهُم كُلُّ مَنْ قَدْ كانَ يَأْلَفُهم مِنْ الأَقَارِبِ والأَهْلِينَ والخِدْنِ
مَا كانَ حَظُّهُمْ مِنْ عَرْضٍ مَا اكتَسَبُوا غَيرَ الحَنُوطِ وغيرَ القُطْنِ وَالكفَنِ
تِلكَ القُصُورُ وَتِلْكَ الدُّورُ خَاوِيَة يَصِيْحُ فِيْهَا غُرابُ البَيْنِ بالوَهَنِ
فَلَوْ مَرَرْتَ بِهَا والبُومُ يَنْدُبُهَا فِي ظُلمَةِ الليْل لم تَلْتَذَّ بالوَسَنِ
وَلا تَجَمَّلْتَ بالأَرْيَاشِ مُفْتَخِراً وَلا افْتَتَنْتَ بِحُبِّ الأَهْلِ وَالسَّكَنِ
وَلا تَلَذَّذْتَ بالمْطعُوم مُنْهَمِكاً وَلاَ سَعَيْت لِدُنْيا سَعْيَ مُفْتَتَنِ
وَلا اعْتَبَرْتَ إِذَا شَاهَدْتَ مُعْتَبَراً تَرَاهُ بالعَينِ أَو تَسْمَعْهُ بالأُذُنِ
إِنَّ المَواعِظَ لا تُغنى أَسِيْرَ هَوَى مُقْفَلِ القَلْبِ في حَيْدٍ عَنْ السُّنَنِ
مُسْتَكْبِراً يَبْطُرُ الحَقَّ الصَّرِيْحَ إذا يُلْقِيَ إِلَيْه لِفرطِ الجَهْلِ والشَّنَنَ
يُمَنِّيْ النَّفْسَ أَمراً لَيْسَ يُدْرِكُه إِنَّ الأَمَانِي مِقْطَاعٌ عَنْ المِنَنَ
يَكْفِي اللَّبِيْبَ كِتَابُ اللهِ مَوْعِظَةً كَمَا أتيَ في حَدِيْثِ السَّيِّدِ الحَسَنِ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ قُدْوَتَنَا مُطَهَّرِ الجَيْبِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ دَرَنِ

عَلَيْهِ مِنَّا صَلاةُ اللهِ دَائِمَةً ... مَا سَارَتْ الرِّيحُ بالأَمْطَارِ والسُّفُنِ
وَالآلِ والصَّحْبِ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ ... وَمَا بَكَتْ عَيْنُ مُشْتَاقٍ إلىَ وَطَنِ

الموعظة السادسة عشر: الدنيا ومراحلها آخرها الموت

شعراً:

ومَا هَذِه الأَيَّامُ إلَّا مَرَاحِلَ ... يَحُث بها حَادٍ مِن المَوْتِ قَاصِدُ
وَأعْجَبُ شَيْءٍ لَو تَأَمَّلْتَ أنَّهَا ... مَنَازلُ تُطْوَى والمُسَافِرُ قَاعِدُ

شعراً:

أتَحْسَبِ العُمْرَ مَرْدُوْداً تَصَرُمُهُ ... هَيْهَاتَ أَن يَرْجِعَ المَاضِي مِن الحُقُبِ
فَبَادِرِ العُمْرَ قَبْلَ الفَوْتِ مُغْتَنِماً ... مَا دُمْتَ حياً فإنَّ المَوتَ في الطَّلَبِ
فَالعُمُرُ مُنْصَرِمٌ وَالوَقْتُ مُغْتَنَمٌ ... وَالدهرُ ذُو غِيَر فاجْهَد به تُصِبِ

كان بعض السَّلف إذا أرَادَ أنَّ يَنام قَالَ لأهله: أسْتَودعكم الله فلَعَلَّها أنَّ تكُون مَنِيَّتِي التي لا أقُوم مِنها وَكَان هَذا دَأْبه إذا أرَادَ النَّوم. وقَالَ آخر: إن استطاع أحدُكم أنَّ لا يَبيت إلا وَعهْده عِنْدَ رَأسه مَكْتُوب فَليفْعَل فإنه لا يَدري لَعله يَبيت فِي أهل الدنيا ويُصبح في أهل الآخرة.

إنـي أرِقْتُ وذكرُ المَوتِ أرَّقَنِي ... وَقُلتُ لِلدَّمعِ أَسْعِدْنِي فَأَسْعَدَنِي
يَا مَنْ يَمُوتُ فَلَمْ تُحزِنْهُ مِيْتَتُهُ ... وَمَنْ يَمُوتُ فَمَا أولاهُ بالحَزَنِ
تَبْغِي النَّجَاةَ مِنَ الأَحْدَاثِ مُحْتَرِساً ... وَإنَّمَا أنْتَ والعِلاتُ فِي قَرَنِ
يَا صَاحَبَ الرَّوْحِ ذِي الأَنْفَاسِ فِي بَدَنٍ ... بَينَ النَّهار وبَيْنَ اللَّيلِ مُرْتَهَنِ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّاكَ اخْتِلافُهُمَا ... حَتَّى يَفرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ والبَدَنِ
طِيْبُ الحَياةِ لِمَنْ خَفَّتْ مَؤُونَتُه ... وَلَم تَطِبْ لِذَوِي الأَثْقَالِ والمُؤَنِ
لَم يَبْقَ مِمَّا مَضَى إلاَّ تَوَهُمُهُ ... كَأَنَّ مَن قَد مَضَى بالأَمْسِ لَم يَكُنِ
وَإنَّما المَرْءُ في الدُنْيَا بِسَاعَتِه ... سَائِلْ بِذَلِكَ أَهْلَ العِلْمِ بالزَّمَنِ
مَا أَوضَحَ الأَمْرَ لِلْمُلْقِي بِعبْرَتِهِ ... بَيْنَ التَّفكُرِ والتَجرِيْبِ والفِطَنِ
أَلَسْتَ يَاذَا تَرى الدُنْيَا مُولِيَه ... فَما يَغُرُكَ فِيهَا مِن هَنٍ وَهَنِ
لأَعْجَبَنَّ وأَنَّي يَنْقَضِي عَجَبِي ... النَّاسُ في غَفْلَة وَالمَوتُ في سُنَنَ

وَظَاعِنٍ مِن بَيَاضِ الرَّيْطِ كِسْوَتُهُ مُطَيَّبٍ لِلْمَنَايَا غَيرِ مُدَّهَنِ
غَادَرْتَه بَعْدَ تَشْيِيعِيْه مُنْجَدِلاً فِي قُرْبِ دَارٍ وفِي بُعْدٍ مِن الوَطَنِ
لا يَسْتَطِيْعُ انتِقَاصاً في مَحَلَّتِه مِن القَبِيحِ ولا يَزْدَادُ في الحَسَنِ
مَا بَالُ قَومٍ وقَد صَحَّتْ عُقُولُهُم فِيْمَا ادَّعَوا يَشْتَرُوْن الغَيَّ بِالثَّمَنِ
لَتَجْذِبَنَّ يَدُ الدُنيا بِقُوتِهَا إلى المَنَايَا وإِنْ نَازَعتُهَا رَسَنِي
وأَيُّ يَومٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ يَوْمُ تَبَينَ فِيْه صُوْرَةُ الغَبَنِ
لِلهِ دُنيَا أُنَاسٍ دَائِبينَ لَهَا قَدْ أُرتِعُوا في رِيَاضِ الغِيِّ والفِتَنِ
كَسَائِمَات رَوَاعٍ تَبْتَغِيْ سِمَناً وَحَتْفُهَا لَوَ دَرَتْ فِي ذَلكَ السِّمَنِ

الموعظة السابعة عشر: يا جامع الدنيا أحذر

شعراً:

أَلَمْ تَرَى رَيْبَ الدهرِ في كُلِّ سَاعةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيْهِ المَنِيَّةُ تَلْمَعُ
أَيا بَانِي الدُنْيَا لِغَيرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُنْيَا لِغَيرِكَ تَجْمَعُ
أَرَى المَرْءَ وَثَّاباً عَلى كُل فُرْصَة وَلِلمَرءِ يَوْماً لا مَحَالَة مَصْرَعُ

آخر:

يَأْتِي عَلَى الناسِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَياً وَحُبُّنا هَذِهِ الدُنيا هُوَ الدَّاءُ
كَمْ أَيْقَضَتْ بصُروْفِ مِن حَوادِثِهَا وَكلُنا لِصُروْفِ الدَّهْرِ نَسَّاءُ
أَيْنَ المُلُوكَ وأَبْنَاء المُلُوك ومَنْ قَادُو الجُنُودَ ونَالُوا كُلَّ مَا شَأُوا
وَأَيْنَ عَادُوا قْيَالُ المُلُوك ومَنْ كَانَتْ لَهُم عِزَّةٌ فِي المُلْكِ قَعْسَاءُ
قَدْ مُتِعُوا بِقَلِيلٍ مِنْ زَخَارِفِهَا فِي عِزَّةٍ فَإذا النَّعماء بأساءُ
نَالُوا يَسِيْراً مِنَ اللَّذاتِ وانْصَرفُوا عَنْ دَارِهَا واقْتَفَى اللَّذاتِ أَسْوَاءُ

الموعظة الثامنة عشر: الشواغل عن ذكر الله وكيفية النجاة

عِبَاد اللهِ تَأَمَّلوا كَيف تَغَيَّرت أحْوَالُ النَّاس فِي زَمَن قَلْيل، وكَيْفَ آثَروا الحَيَاة الدُنيا علىٰ ما عند الله، وكيف شَغلتهم الأَمْوَال، والأهل، والأَوْلاد والمَلاهي، والمُنْكَرات، عن ذِكر الله وعَن الصَّلاة، مَع عِلمهم أنهم مَهْمَا عَاشوا ومهما نَالوا مِن الدُنيا، ومَهْمَا تَلذذوا فإنهم رَاحِلون ومَا فِي أيديهم زَائِل عَنهم وخَالِفُهم فِيه

غَيْرَهُم وأنَّ كُل شَيء هَالك إلا وَجه الله وأنَّ الدُنيا مَلْعُونة مَلْعُون مَا فِيها إلا ذِكْر اللهِ وَمَا وَلاه ومَن اشتَرى العَاجِل بالآجل ولم يَتْخِذ الدُنيا مَطية توصِلِه إلىٰ المَقْصِد الذي يَرْضَاه والمُستقر الآخير الذي يَهواه مَع الذين انعم الله عَليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فذلكم الذي لا تُفِيده المَوُاعظ، ولا تُجديه النَّصائح ولا ترده العِبر عَن غَيهن واقتحامه القَبَائح، وذلك هو الذي خَسِر الدُنيا والآخرة، عِبَاد الله حَلال هَذه الدُنيا حَسَنات، وحَرَامها عِقَاب، ومَالِها إلىٰ الرشد وأبْعَد عَن الصَوت، فَكَم مِن ذَهاب بِلا إِياب، وكَم مِن حَبيب عَلى الرغم قَد فَارَقَ الأَحْبَاب، وتَرَكَ الأهل والأصْحَاب، وانْتَقل إلىٰ ثَواب جَزيل أو عِقَاب، وأنت أيها المُغفل المَخْدُوع عَلى جَمْعِها حَريص مَع مَا تُشَاهده مِن الأكْدَار والتَنْغِيص، وكَان يَكْفِيك مِنها القَليل.

وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لأَغْنَتْهُ بُلْغَةٌ ... مِن العَيْشِ فِي الدُنيا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ
إلىٰ أَنْ تُوافِيهِ المنيةُ وَهُوَ ... بالقَنَاعَةِ فيها آمناً لاَ يُرَوَّعُ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾.

نَعَمْ لاَ بأس في جَمْعِ المال واكتساب الحلال للتمتع بِه في هذه الدَار الفَانية إذا لم يَكن ذَلكَ شَاغلاً عَن عِبادَة اللهِ وَالاستعداد للِدَّار الآخرة لا سِيَّما إذَا كَانَ مِمَّن وَفقه الله لإنْفَاقه في المَشَاريع الدِينية كَبِناء المَساجد وتَرْمِيمَهَا ووضع الماء للشَارِبين ونحو ذَلك بَل كَسْب المَال فَريضة عَليك أنَّ تُحَافظ عَلى حَياتك وعَلى حَياة مَن تَجب لَهم عَليك النفقات وأنت لا تُحَافظ عَلى تِلك الأنفس إلا بإعطائها مَا لِلحياة مِن ضَروريات وهذه الضروريات لا يمكنك أن تَحصل عَليها إلا بِمَال تَبذل عِند المبادلات إذن كسب المال للمحافظة علىٰ الحياة فرضية وإذا أردت هذا لكسب فَانْوِ عند طَلبك لَه القِيَام بما أَوْجَبه الله عليك والتَّقوي بِه عَلى طَاعة الله حَتى تَنْقَلب عَادَاتك عِبادات ومِن أَفْضل مَا تَأكل مَا كَسَبْته بِيَدك وتَحَرَّ الحَلال في كسبه فإنه ينير القلب وسبب لقبول الدعاء وبإذن الله وتَوَقَّ الحرام فإنَّه يُظلم القُلوب وَيُثقل الأبدان عن الأعمال الصالحات وهو سبب لعدم قبول الدعاء وابتعد عن الشبهات في كسبك واجتنب الغش والكذب والأيمان في كل معاملاتك وكن

صادقاً سَمْحاً لين الجَانب نَاصحاً للمُسلمين مُحباً لَهم ما تُحب لِنَفسِكَ وكُن قَانعاً في الدُنيا رَاضياً بِما قَسَمَ الله لكَ صَارِفاً جُل أوْقَاتِكَ لِلآخرة.

شعراً:

لاَ تَـأسـفـن أخَـا عِـلْـم لـفَـائِـتَـةٍ فَكُلُ مَا لَيْسَ مِن رِزْقِ الفَتَي فَاتَا

كَم مِن فَتَى وَاصَل الأَسْفَارَ مُجْتَهِداً مِن أَرْضِ دَارِيْنَ حَتَّى حَلَّ أَغْمَاتَا

الموعظة التاسعة عشر: من فوائد الذكر

ولشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وَكُـنْ ذَاكـراً لِـلَـهِ فِـي كُـلِّ حَـالَـةٍ فَـلَـيْـسَ لِـذِكْـر اللهِ وَقْـتٌ مُـقَـيَّـدُ

فَـذِكْـرُ إِلَـهِ الـعَـرْشِ سِـرّاً وَمُـعْـلَـنـاً يُـزِيـلُ الـشَّـقَـا وَالـهَـمَّ عـنـكَ وَيْـطـرُدُ

وَيَـجْـلِـبُ لِـلـخَـيـرَاتِ دُنْـيـا وَآجِـلاً وَإِنْ يَـأْتِـكَ الـوَسْـواسُ يَـوْمـاً يُـشَـرِّدُ

فَـقَـدْ أَخْـبَـرَ الـمُـخْـتَـارُ يَـوْمـاً لِـصَـحْـبِـهِ بِـأَنَّ كَـثِـيـرَ الـذِّكْـرِ فـي الـسَّـبْـقِ مُـفْـرَدُ

وَوَصَّـى مُـعَـاذاً يَـسْـتَـعِـيـنُ إِلَـهَـهُ عَـلـى ذِكْـرِهِ وَالـشُّـكْـرِ بـالـحُـسْـنِ يعبد

وَأَوْصَـى لِـشَـخْـصٍ قَـد أَتـى لِـنَـصِـيْـحَـةٍ وَقَـد كـانَ فـي حَـمْـلِ الـشَّـرَائِـع يَـجْـهَـدُ

بِـأَنْ لا يَـزَلْ رَطْـبـاً لِـسَـانُـك هَـذه تُـعِـيْـنُ عَـلـى كُـلِّ الأُمُـورِ وَتُـسْـعِـدُ

وَأَخْـبَـرَ أَنَّ الـذِّكْـرِ غَـرْسٌ لأَهْـلِـهِ بِـجَـنَّـات عَـدْنٍ وَالـمَـسَـاكِـنُ تُـمْـهَـدُ

وَأَخْـبَـرَ أَنَّ اللهَ يَـذْكُـرُ عَـبْـدَهُ وَمَـعْـهُ عَـلـى كُـلِّ الأُمُـورِ يُـسَـدِّدُ

وَأَخْـبَـر أنَّ الـذِّكْـرِ يَـبْـقَـى بِـجَـنَّـةٍ وَيَـنْـقَـطِـعُ الـتَّـكْـلِـيـفُ حِـيْـنَ يُـخَـلـدُ

وَلَـوْ لَـمْ يَـكُـن فـي ذِكْـرِهِ غَـيْـرَ أَنَّـهُ طَـرِيـقٌ إِلـىٰ حُـبِّ الإلـهِ وَمُـرْشِـدُ

وَيَـنْـهَـى الـفَـتَـى عَـنْ غِـيْـبَـةٍ وَنَـمِـيْـمَـةٍ وَعَـنْ كُـلِّ قَـوْلٍ لِـلـدِّيَـانَـةِ مُـفْـسِـدُ

لَـكَـانَ لَـنَـا حَـظٌّ عَـظِـيـمٌ وَرَغْـبَـةٌ بِـكَـثْـرَةِ ذِكْـرِ اللهِ نِـعْـمَ الـمُـوَحِّـدِ

وَلَـكِـنَّـنـا مِـنْ جَـهْـلِـنَـا قَـلَّ ذِكْـرُنَـا كَـمَـا قَـلَّ مِـنَّـا لِـلإِلَـه الـتَّـعَـبُّـدُ

اللهم أذقنا عَفْوَك وغُفرانك واسْلُك بِنَا طَريق مَرْضاتكَ. وعَامِلنا بلُطفِكَ وإِحْسَانِكْ وَاقْطَعْ عنَّا مَا يُبعد عَن طَاعتِكَ اللَّهم وثَبت مَحبتك في قُلوبنَا وَقوِّها ويَسِّر لنا مَا يَسَّرْتَهُ لأَولِيَائِك ، اغْفِر لنا ولوَالدينا ولِجَميع المُسلمين الأحْيَاء منهُم والميتينَ بِرْحمتِك يا أرْحَم الرَّاحمين وَصلى اللهُ عَلى محمّدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

الموعظة العشرون: المغترون وطبقاتهم

فيما يَنْبَغي التَّنبيهُ عليه والتحذيرُ من ارْتِكابِهِ.

قال ابنُ الجوزي رحمه الله: المسلمون المُغترّون طبقاتٌ:

الطبقةُ الأولى (طبقة العلماء): وهُم قومٌ أحْكمُوا العِلْمَ، وتَركوا العمل به ظناً منهم قد حَفظوا الشريعة فلهم عند الله قَدر، وَلو حَققوا النَّظر، لَعَلِموا أن العِلم لا يُرَاد إلا لِلْعَمل وكأنهم يزيدون من الحجة عليهم ومنهم قَوم: أَحكموا العلم والعمل، إلا أنهم لم يصلحوا الصفات الباطنة المذمومة من الكبر، والحسد، والرياء، ولم يدروا أن هَذه شُعَلٌ تَعْمَلُ في بَيْتِ القَلبِ فَتُحْرق بَوَاطِنَ المَعْرِفَةِ.

قلت: وَهَؤلاء كَمَريض ظَهر به جُرُوح أَصلها فِي البَاطن فَأمر الطَبيب مَن بِهِ ذَلك أن يَغسل الظَاهر بدواء، وأمره بشرب دواء آخر لما نشأ عنه الظاهر فاستعمل ما للظاهر، وترك ما للباطن فأزال مؤقتاً ما بظاهره، وأم ما في باطنه فعلى حَاله، فلو شَرب ما لِلباطن من الدواء بريء الظاهر إذا أرَاد الله واستراح ظاهره وباطنه، فكذلك الذنوب والمعاصي إذا اختفت في القلب ظهر أثرها علىٰ جوارح الإنسان.

ومن العلماء قوم سلموا من هذه الآفات، لكنهم في خدمة الهوى من حيث لا يعلمون فهم يصنفون، ويتكلمون ومرادهم ذكرهم بذلك، ومدحهم وكثرة أتباعهم وهذه الآفة في خبايا النفوس لا يفطن لها إلا الأكياس من الناس.

الطبقة الثانية (طبقة العباد): فمنهم من حققوا التعبد إلا أنه يرى نفسه فهو مغرور بذلك ومنهم: من ترك كثيراً من الفرائض شغلاً بالنوافل فمنهم: من يدركه الوسواس فيه نية الصلاة ثم يترك قلبه في باقيها يسرح في الغفلات، ومنهم من يكثر التلاوة ولا يعمل بما يتلو، ومنهم من يصوم ولا يتحفظ في غيبته، ومنهم من يخرج إلىٰ الحج ولا يخرج إلىٰ المظالم، ولا ينظر في نفقته، ومنهم من يجاور بمكة، وينسى الحرمة ومنهم: من يأمر بالمعروف وينسى نفسه.

ومنهم من يزهد في المال وهو راغب في الرياسة بالزهد. ومنهم: من يتخلق بأخلاق الفقراء في صور ثيابهم، ومرقعاتهم، ويترك أخلاقهم الباطنة، فيشبع من الشهوات، وينام الليل ولا يعرف واجبات الشرع، قلت وهؤلاء غرورهم عظيم كما قال بعض العلماء، لأنهم يظنون أنهم يحبون في الله ورسوله وما قدروا

علىٰ تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون، ولا وقفوا علىٰ خبايا النفس إلا وهم منزهون، وهم أحب في الدنيا من كل أحد ويظهرون الزهد في الدنيا لشدة حرصهم عليها وقوة رغبتهم.

يحثون علىٰ الإخلاص وهم غير مخلصين، ويظهرون الدعاء إلىٰ الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه آمنون. ويذكرون بالله وهم له ناسون، ويحثون علىٰ التمسك بالسنة بالدقيق والجليل وهم لها نابذون، ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون، وكأنه لم يطرق أسماعهم قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ . وقوله تعالىٰ حكاية عما قال شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] . وورد عن ابن عباس أنه جاء رجل فقال: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. قال أبلغت ذلك؟ قال: أرجو: قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل يشير ابن عباس إلىٰ الآيات المتقدمة.

الطبقة الثالثة: «أرباب الأموال» فمنهم قوم يحرصون علىٰ بناء المساجد والمدارس ويكتبون أسماءهم عليها لتخليد ذكرهم ومن أراد وجه الله لم يبال بذكر الخلق وهؤلاء قال بعض العلماء: إنهم اغتروا من وجهين: أحدهما أنهم اكتسبوها من الظلم والشبهات والرشاء والجهات المحظورة فهؤلاء تعرضوا لسخط الله في كسبها فإذا عصوا الله في كسبها فالواجب عليهم التوبة ورد الأموال إلىٰ أربابها إن كانوا أحياء وإلى ورثتهم إن كانوا أمواتاً، وإن لم يبق لهم ورثة فالواجب عليهم أن يصرفوها في أهم المصالح وربما يكون الأهم تفرقتها علىٰ المساكين.

والوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق وعلو الأبنية. ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً علىٰ مسكين لم تسمح نفسه ذلك، لأن حب المدح والثناء مستكن في باطنه.

ومنهم: قوم يتصدقون ولكن في المحافل ويعطون من عادته الشكر وافشاء المعروف.

ومنهم: من يكثر الحج وربما ترك جيرانه جياعاً.

ومنهم: قوم يجمعون المال ويبخلون بإخراجه، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا تحتاج إلىٰ نفقة كالصيام والصلاة، ولا يدرون أن جهاد النفس في البخل المهلك أولى:

شعراً:

لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرتْهُ دُنْيا دَنّية ... وَمَا هِيَ أَنْ غَرَّتْ قُرُوناً بِطَائِلِ
أَتَتْنَا عَلى زَيّ العَزيز بُثَينَة ... وَزِيْنَتها فِي مِثْل تِلْكَ الشَّمَائِلِ
فَقُلْتُ لَهَا غُري سِوَاي فَإنَّني ... عَزوفٌ عن الدنيا وَلَسْتُ بجاهِل
وَهَبْها أتَتْنا بالكُنوزِ وَدُرّها ... وأَمْوَالِ قَارُوْنٍ وَمُلْكِ القَبائِلِ
أَليْسَ جَميعاً لِلفناءِ مَصِيرُها ... وَيُطْلبُ مِنْ خُزّانِها بالطَّوائِل
فَغُرِّي سِوايَ إنَّني غَيْرُ رَاغِبٍ ... لِمَا فِيكِ مِنْ عِز وَمُلْكٍ ونَائِلِ
وَقَدْ قَنِعَتْ نَفْسي بِمَا قَد رُزِقْتَهُ ... فَشأنَكِ يَا دُنْيَا وَأهْل الغَوَائِلِ
فإني أَخَافُ اللهَ يَومَ لِقَائِهِ ... وأَخشى عِقَاباً دائِماً غَير زَائل

اللهم نجنا برحمتك من النار، وعافنا من دار الخزي والبوار، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار وعاملنا بكرمك وجودك يا كريم يا غفار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمدٍ وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين.

الطبقة الرابعة: طبقة العوام وغرورهم من وجوه: فمنهم من يصلى كيفما اتفق ولا يسأل عما يصلح الصلاة وما يفسدها. ومنهم من يواظب علىٰ النوافل كالتراويح، ولا تكاد تجده في صلاة الجماعة ومنهم من يلازم مجالس الوعظ ولا يعمل بما يسمع ولا ينتهي عن قبيح ما يأتي، كأن المقصود الحضور فقط قلت: لأن مجالس الذكر والإرشاد إنما تفيد لكونها مرغبة في الخير وباعثة في الغالب عليه فإن لم ينشأ عنها ذلك فلا خير فيها وصفة هؤلاء كما قال بعض العلماء: كمثل مريض يحضر مجالس الأطباء ويسمع منهم ما يصفونه من الأدوية ولا يفعلها ولا يشتغل بها فأي فائدة يحصل عليها.

فكل وعظ لا يغير منك صفة تتغير بها أفعالك حتى تقبل علىٰ الله ﷻ وتعرض عن الدنيا تقبل إقبالاً قوياً، فإن لم تفعل فذلك كان زيادة حجة عليك،

وهذا غرور عظيم.

ومنهم: من يتنفل بالعبادات ويهمل الفرائض.

ومنهم: من يتطوع بالخير ويكثر التسبيح مع معاملته بالربا، واستعمال الغش، وربما صاح علىٰ والديه وأخذ أعراض الناس، وجمهور الناس قد اتكلوا علىٰ العفو والحلم فهم مصرون علىٰ ذنوب وخطايا فإذا ذكرت لهم العقوبة قالوا: هو كريم وينسون أنه شديد العقاب، ومنهم أقوام يستعجلون المعصية موافقة للهوى، ويضمرون أننا سنتوب ويسوفون بالتوبة، ومن العصاة من يغتر بفعل خير فربما تصدق أو سبح وظن أن هذا يقاوم ذنوبه.

وينسى ما حصل منه من الغيبة والكذب والرياء وغير ذلك من المعاصي التي تقضي علىٰ الحسنات التي أمثال الجبال.

ومن المغترين من يغره صلاح آبائه وربما قال: أبي يشفع لي ولا يدري أن أباه فضل بالتقوى وكان مع التقوى خائفاً؟ ومن أين له أن يشفع، أو سمع قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

ولم يعلم أن نوحاً ﷺ أراد أن يحمل ابنه في السفينة فمنع من ذلك وأغرق الله ابنه مع المغرقين.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**يا فاطمة لا أُغني عليك من الله شيئاً**» فالعاقل من عمل علىٰ الحرص وأخذ بالأحوط فمن تأمل العلم وتصفحه وشاور العقل دله علىٰ الحزم فسلم من الأغترار، والله الموفق.

وطبقة أخرى أكبوا علىٰ تلاوة كتاب الله وتركوا تدبره والعمل به، وربما ختموه في يوم وليلة بألسنتهم، أما قلوبهم فهي في أودية الدنيا تتردد، ولا تتفكر في معاني القرآن لتنزجر بزواجره وتتعظ بمواعظه وتقف عند أوامره ونواهيه وتعتبر بمواضع الأعتبار. فمن قرأ كتاباً عدة مرات وترك العمل به يُخشى عليه من العقوبة.

وطبقة اغتروا واكثروا الصيام وهم مع ذلك لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة والنميمة والكذب والتملق عند الفساق وأعداء الدين، ولا يعرفون الولاء والبراء ولا يحفظون بطونهم عن الحرام ولا أعينهم عن النظر المحرم، ولا أسماعهم عن الملاهي والمُنكرات ولا يقومون علىٰ أولادهم ويأمرونهم.

وطبقة أخرى أكثرت من نوافل الحج من غير خروج من المظالم، وقضاء الديون واسترضاء الوالدين ولا طلبوا لذلك الزاد الحلال وربما ضيعوا صلاة الجماعة أو الصلاة المكتوبة، وربما كانوا لا يبالون بالنجاسات، وربما كان نفقة أحدهم حراماً كله هو ورفقاؤه، وربما كان مرائياً في إنفاقه فيعصي الله في كسب الحلال أولاً وفي إنفاقه للرياء ثانياً نعوذ بالله من الغرور. وفرقة أخذت في طريق الأمر بالمعروف وإرشاد الخلق وأنكروا علىٰ الناس. وتركوا انفسهم وأولادهم ومن يخشونهم أو يرجونهم. وفرقة أخرى غلب عليها البخل فلا تسمح نفوسهم بأداء الزكاة كاملة مكملة يخرج مقدار ربعها فقط، ويتأول الباقي ويعد أنه إذا وجد فقيراً أعطاه ويرى أن ما يدفعه إذا تقدم فقير في بعض الأيام وأعطاه كافياً وربما كانت زكاته عدد أيام السنة مئات من الريالات نعوذ بالله من الغرور.

شعراً:

المـوتُ فِي كلِ حِيـن ينشُرُ الكَفَنَا ... وَنَحـنُ فـي غَـفـلـةٍ عـمـا يُـرادُ بِـنَـا

لاَ تَـطْـمَـئِـنَّ إلـىٰ الـدُنـيـا وَبَـهْـجَـتِـهـا ... وإنْ تَـوشَّـحْـتَ مِـنْ أثْـوَابِـهَـا الـحَـسَـنَـا

أَيْـنَ الأحِـبَّـةُ والـجِـيـرانُ مـا فَـعَـلُـوا ... أيـنَ الـذيـن هُـمُ كـانُـوا لَـنـا سَـكَـنـاً

سَقَاهُـمُ الـموتُ كَـأسـاً غَـيـرَ صَـافِـيـةٍ ... فَـصَـيَّـرتْـهُـمْ لأَطْـبـاقِ الـثَّـرَى رُهُـنَـا

تَـبْـكِـي الـمَـنَـازِلُ مِـنْـهُـم كـلُ مُـنْـسَـجِـمٍ ... بـالـمكـرُمَـاتِ وتَـرْثـي الـبِـرَّ والـمِـنَـنَـا

حَسْـبُ الـحِـمَـامِ لَـوَ أَبْـقَـاهُـمْ وَأمْـهَـلَـهُـمْ ... أَلاَ يَـظُـنَّ عَـلـى مَـعْـلـومِـهِ حَـسَـنـاً

خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة فقال فيها:

أما بعد «إنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلىٰ خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلىٰ الله قضى نحبه، وانقضى أجله فتدعونه في صدع من الأرض غير موسد، ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلىٰ ما أسلف، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وإني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب مما أعلم عندي، ولكن استغفر الله وأتوب إليه، ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق

ثم نزل، فما عاد إلىٰ إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه.

أَتَبْكِي لِهَذَا المَوتِ أَمَّ أنتَ عَارِفُ بِمَنْزِلَةٍ تَبْقَى وَفيها المَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ فِي اللَحْدِ والثَرَى فَتَلْقَي كَمَا لاقَى القُرونُ السَّوالِفُ
أَرَى المَوْتَ قَدْ أَفْنَى القُرونَ التي مَضَتْ فَلَم يَبْقَ ذو إِلْفٍ وَلم يَبْقَ آلِفُ
كَأَنَّ الفَتَى لم يَغْنَ فِي الناسِ سَاعَةً إذا عُصِبتَ يَوماً عَليه اللَّفَائِفَ
وَقَامتْ عَليه عُصبةٌ يَندُبُونه فَمُستعبِر يَبْكي وآخَرُ هاتِفُ
وَغُودِرَ فِي لَحْدٍ كَرِيْه حُلُولُهُ وَتُعقدُ مِنْ لِبْنٍ عَليه السَّقائف
يَقِلُّ الغِنَي عَنْ صاحِبِ اللَّحدِ والثَرِي بِما ذَرَفَتْ فِيهِ العُيُونُ الذَّوَارِفُ
وَما مَنْ يَخَافُ البَعْثَ والنارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزينٌ مُوجَعُ القَلبِ خَائفُ
إذا عَنَّ ذِكْرُ المَوتِ أَوْجَعَ قَلبَهُ وَهيَّجَ أَحْزاناً ذُنوبٌ سَوالِفُ

الموعظة الواحدة والعشرون: آفات ومفسدات الأعمال الصالحة

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات رؤيته وملاحظته، وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه إليه ففي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية. فالذي يخلصه من رؤية عمله مشاهدته لمنة الله لا مشيئته هو، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وأنه آله محضة وأنه لو خلى ونفسه لم يكن من فعله الصالح شيء، فإن النفس جاهلة ظالمة طبعها الكسل، وإيثار الشهوات والبطالة، وهي منبع كل شر ومأوى كل سوء، وما كان هكذا لم يصدر منه خير ولا هو من شأنه فالخير الذي يصدر منه إنما هو من الله وبه، ولا من العبد ولا به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: ٢١] وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال تبارك وتعالىٰ لرسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجرَات: ٧] الآية.

فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله، ومنته وإحسانه، وهو المحمود عليه فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة كرؤيته لصفاته الخلقية من سمعه وبصره وإدراكه وقوته، بل من صحته وسلامة أعضائه ونحو ذلك، فالكل مجرد عطاء الله ونعـ

وفضله الذي يخلص العبد من هذه الآفة معرفة ربه ومعرفة نفسه.

والذي يخلصه من طلب العوض علىٰ العمل علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق علىٰ خدمته لسيده عوضاً ولا أجرة، إذا هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الآجر، والثواب تفضل منه وإحسان إليه وإنعام عليه لا معاوضة، إذ الأجرة إنما يستحقها الحر أو عبد الغير فأما عبد نفسه فلا. والذي يخلصه من رضاه بعمله وسكونه إليه أمران: أحدهما مطالعة عيوبه وآفاته وتصيره فيه. وما فيه من حظ النفس والشيطان، فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل وللنفس فيه حظ.

الثاني: علمه بما يستحقه الرب جل جلاله: من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها وأن العبد أضعف وأعجز أن يوفيها حقاً، وأن يرضى به لربه فالعارف لا يرضى بشئ من عمله لربه ولا يرضى نفسه لله طرفة عين ويستحي من مقابلة الله بعمله. وكان بعض السلف يصلى في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، ثم يقبض علىٰ لحيته ويهزها ويقول لنفسه: يا مأوى كل سوء وهل رضيتك لله طرفة عين. وقال بعضهم: آفة العبد رضاه عن نفسه ومن نظر إلىٰ نفسه باستحسان شئ منها فقد أهلكها ومن لم يتهم نفسه علىٰ دوام الأوقات فهو مغرور. أهـ.

وختاماً: فعلى المسلم المخلص أن يحذر كل الحذر أن يمتزج بإخلاص عمله شيء آخر من رياء أو غيره كمن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم ومع قصد التقرب أو يعتق رقيقه ليتخلص من مؤنته، وسوء خلقه أو يحج ليصح بدنه بحركة السفر، أو ليتخلص من شر يعرض له ببلده، أو يغزو ليتمرن علىٰ الحرب ويمارسها أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزاً بين أبناء جنسه وعشيرته، أو ليكون ماله محروساً بعز العلم عن الإطماع، أو عاد مريضاً ليعاد إن مرض أو شيع جنازة ليشيع جنائز أهله، أو فعل شيئاً من لذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار أو تصدق ليثنى عليه ويقال: أنه كريم يبذل المال أو قام بمشاريع خيرية ليثنى عليه فكل هذه ونحوها من مكدرات صفو الإخلاص نسأل الله العصمة لنا ولإخواننا منها.

وكم من أعمال يتعب الشخص فيها، ويظن أنها خالصة لوجه الله، ويكون

فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها، فدقائق الآفات قلما تسلم الأعمال منها.

قال بعض السلف: لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عليه عمله فلا غنى بالعبد عن معرفة ما أمرنا باتقائه من الرياء وغيره ولا سيما الرياء إذ وصف بالخفاء في الحديث أنه أخفى من دبيب النمل فما خفي لا يعرف إلا بشدة التفقد، ونفاذ البصيرة بمعرفة له حين يعرض وإلا لم ينفع التفقد لما لا يعرف.

فبالخوف والحذر يتفقد العبد الرياء، وبمعرفته ببصره حين يعرض له.

ومن فوائد الإخلاص: أنه يمد جأش صاحبه بقوة فلا يتباطأ أن ينهض للدفاع عن الحق.

ومن فوائده: أنه يشرح صدر صاحبه للانفاق في وجوه البر فتجده يؤثرها بجانب من ماله وإن كان به خصاصة، ومن فوائده أنه يعلم صاحبه الزهد في عرض الدنيا، فلا يخشى منه أن يناوئ الحق أو يلبسه بشيء من الباطل، ولو أعطي الشيء الكثير من المال. ومن فوائده أنه يحمل القاضي علىٰ تحقيق النظر في القضايا فلا يتسرع في القضية ويفصل فيها إلا بعد أن يتثبت ويتبين له الحق. ومن فوائده أنه يحمل المعلم أن يبذل جهده في ايضاح ما خفى علىٰ التلميذ وأن لا يبخل علىٰ الطلاب بما تسعه أفهامهم من المباحث المفيدة. ومن فوائده: أن الأستاذ يحرص علىٰ أن يسلك في طريقة التدريس الأساليب التي تجد نشاطهم وتحفزهم إلىٰ التعمق في المسائل.

ومن فوائد الإخلاص أنه يمنع التاجر من الخيانة فلا يخون الذي يأتمنه في صف من أصناف البضاعة، أو قيمتها. ومن فوائد الاخلاص أنه يحمل صاحبه علىٰ إجادة العمل وأن يكون محسناً فيه ومن فوائده أنه يمنع الكاتب أن يقلب بعض الحقائق أو يكسوها لوناً غير لونها. ومن فوائد الإخلاص أنه يحمل صاحبه علىٰ تجنب الغش فكل غشاش فهو ليس بمُخلص، وتقدم حديث من غشنا فليس منا ومن فوائد الاخلاص أنه يحمل صاحبه علىٰ الوفاء بالعهد والوعد، ومن فوائد الاخلاص أنه يحمل صاحبه علىٰ أن يكون عمله للقريب والبعيد سواء.

ومن فوائده أن يحمل صاحبه علىٰ تنظيم أعماله. ومن فوائده المتصف به يكون مقدراً مرمرقاً بعين الاحترام والإجلال، ومن فوائده أنه يحمل صاحبه علىٰ الابتعاد عن الرشوة، ومن فوائده أنه يحمل صاحبه إذا كان من أهل الحل والعقد

وزيراً أو رئيساً أو مديراً أن يتحرى للأعمال الأتقى والأرضى، الذي توجد فيه المؤهلات حقيقة، وهي القوة والأمانة والحفظ والعلم. عاملاً بقوله ﷺ: «**من استعمل رجلاً علىٰ عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**»، ومن فوائده أن العمل الخالص القليل منه يجزى كما في حديث معاذ عن النبي ﷺ قال له: «**أخلص العمل يجزك منه القليل**»

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

والـلـهُ لا يَـرْضَـى بـكـثـرةِ فِـعْـلِـنـا ... لـكـن بـأحْـسَـنـه مَـع الإيـمـانِ

فـالـعـارفُـونَ مُـرَادُهـم احـسَـانَـهُ ... والـجـاهـلـونَ عَـمُـوا عـن الإحْـسَـان

ومن فوائد الاخلاص: أن العبد لا يتخلص من الشيطان إلا بالاخلاص، قال الله إخباراً عما قال إبليس لعنه الله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾، ومن فوائد الاخلاص: أنه يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث (والدم)، ومن فوائده: أن المخلص إذا نام حتى يريح نفسه، ويجملها للعمل ليتقوى علىٰ العبادة يكون نومه عبادة.

عباد الله أخلصوا في أعمالكم كلها لا فرق بين عمل وعمل سواء أكنتم تعملون لله ﷻ أم كنتم تعملون لخلق الله، وسواء أكنتم بين الخلق، وأنتم تعلمون أم كنتم في محل خفي لا يراكم إلا الله والكرام الكاتبون وسواء أكنتم في سراء وقت العمل أم في ضراء.

ذلك الاخلاص: هو أن تعمل العمل الصالح لا تريد جزاء عليه إلا من الله يكون ذلك قصدك قبل العمل وحين مباشرته وبعد الفراغ منه لا تذكره بلسانك إلا من باب التحدث بنعم الله أو ليقتدي بك غافل متبع لهواه، بهذا يكون العمل عبادة حقاً وتكون أنت من العابدين وبهذا يثمر عبادك حقاً وتكون أنت من العابدين وبهذا تكون أقوى الناس لأن وليك حينئذ يكون مولاك القوى المتين وبهذا تكون من أهل الكرامة في هذه الدار وفي دار الجزاء.

أمَّا إذا عملت العمل الصالح ليقبل عليك الناس، ويقولوا إنك من الصالحين، فأنت إذا تكون مرائياً لا تخلص العمل بل تشرك معه الناظرين فتكون في دعوى تمحيص العمل لله تعالىٰ لست بصادق بل من الكاذبين.

وانظر كيف تكون حال من يكذب علىٰ من لا تخفى عليه خافية، لا في

الأرض ولا في السماء، إن المرائي مهما أخفى رياءه يظهر الله تعالىٰ ما في قلبه للعاملين، روى الامام أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً «**لو أن أحدكم يعمل في صخرة ليس لها باب ولا منفذ لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان**».

ولذلك يكون لأعمال المرائي من السماجة في نفوس الناس مالا يحكيه اللسان ولهذا يكون مرذولاً ثقيلاً عند الناس، ومن هذا تراه يتودد إلىٰ الناس ويضحك إليهم ونفورهم عنه عبرة عند العقلاء، ثم هو عند الله أسوأ حالاً خصوصاً في اليوم الذي يشيب فيه الأطفال فقد يؤمر به إلىٰ النار وله من الأعمال أمثال الجبال لكنها لما لم يرد بها وجه الله خالصة صارت وبالاً عليه نعوذ بالله من الرياء.

والله أعلم وصلى الله علي محمد وعلىٰ آله وسلم

الموعظة الثانية والعشرون: أقسام الناس مع الله وشريعته

يقول تعالىٰ في المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فَاطِر: ٣٢] اشترك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان وفي اختيار الله لهم من بين الخليقة وفي أنه من عليهم بالكتاب وفي دخول الجنة وافترقوا في تكميل مراتب الإيمان وفي مقدار الاصطفاء من الله، وميراث الكتاب وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم.

أما الظالم لنفسه: فهو المؤمن الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وترك من واجبات الإيمان ما لا يزول معه الإيمان بالكلية وهذا القسم ينقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: من يرد القيامة وقد كفر عنه السيئات كلها، إما بدعاء أو شفاعة أو آثار خيرية ينتفع بها في الدنيا أو عذاب في البرزخ بقدر ذنوبه، ثم رفع عنه العقاب، وعمل الثواب عمله فهذا من أعلى هذا القسم وهو الظالم لنفسه.

القسم الثاني: من ورد القيامة وعليه سيئات، فهذا توزن حسناته وسيئاته ثم هم بعد هذا ثلاثة أنواع: أحدهما من ترجح حسناته علىٰ سيئاته. فهذا لا يدخل النار بل يدخل الجنة برحمة الله وبحسناته وهي من رحمة الله.

ثانيهما: من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء هم أصحاب الأعراف: وهي موضع مرتفع بين الجنة والنار يكونون عليه، وفيه ما شاء الله ثم بعد ذلك يدخلون

الجنة كما وصف ذلك في القرآن.

ثالثها: من رجحت سيئاته علىٰ حسناته فهذا قد استحق دخول النار إلا أن يمنع من ذلك من شفاعة الرسول ﷺ له أو شفاعة أحد من أقاربه أو معارفه ممن جعل الله لهم في القيامة شفاعة لعلو مقاماتهم عند الله وكرامتهم عليه، أو تدركه رحمة الله المحضة بلا واسطة وإلا فلا بد له من دخول النار يعذب فيها بقدر ذنوبه.

ثم مآله إلىٰ الجنة ولا يبقى في النار أحد في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

وأما المقتصد: فهو الذي أدى الواجبات وترك المحرمات ولم يكثر من نوافل العبادات وإذا صدر منه بعض الهفوات بادر إلىٰ التوبة فعاد إلىٰ مرتبته فهؤلاء أهل اليمين وأما من كان من أصحاب اليمين﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقِعَة: ٩١] فهؤلاء سلموا من عذاب البرزخ وعذاب النار، وسلم الله له إيمانهم وأعمالهم فأدخلهم بها الجنة كل علىٰ حسب مرتبته.

وأما السابق إلىٰ الخيرات: فهو الذي كمل مراتب الإسلام وقام بمرتبة الاحسان فعبد لله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وبذل ما استطاع من النفع لعباد الله فكان قلبه ملآنا من محبة الله والنصح لعباد الله فأدى الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات المنقصة لدرجته فهؤلاء هم صفوة الصفوة، وهم المقربون في جنات النعيم إلىٰ الله وهم أهل الفردوس الأعلى فإن الله كما أنه رحيم واسع الرحمة فإنه حكيم ينزل الأمور منازلها ويعطي كل أحد بحسب حاله ومقامه فكما كانوا هم السابقين في الدنيا إلىٰ كل خير كانوا في الآخرة في أعلى المنازل وكما تخيروا من الأعمال أحسنها جعل الله لهم من الثواب أحسنه ولهذا كان عين التسنيم أعلى أشربة أهل الجنة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾وهكذا بقية ألوان وأصناف نعيم الجنة لهؤلاء السابقين منه: أعلاه وأكمله وأنفسه وإن كان ليس في نعيم الجنة دني ولا نقص ولا كدر بوجه من الوجوه بل كان من تنعم بأي نعيم من نعيمها لم يكن في قلبه شيء أعلى منه.

فإن الله أعطاهم وأرضاهم وخيار هؤلاء: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام علىٰ مراتبهم ثم الصديقون علىٰ مراتبهم ولكل درجات مما عملوا فسبحان من فاوت بين عباده هذا التفاوت العظيم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . أهـ.

اللهم اجعلنا بتذكيرك منتفعين، ولكتابك ورسولك متبعين، وعلىٰ طاعتك مجتمعين، وتوفنا يا ربنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وآله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثالثة والعشرون: مشاهد الفوز والنجاة لأولى الأبصار

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إعلم أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلىٰ أمور: أحدها أن ينظر إلىٰ أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة. والإقرار علىٰ نفسه بالذنب. والثاني: أن ينظر إلىٰ الوعد والوعيد فيحدث له ذلك خوفاً وخشية تحمله علىٰ التوبة. والثالث: أن ينظر إلىٰ تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعاً من المعرفة: بالله وأسمائه، وصفاته وحكمته ورحمته وعفوه وحلمه وكرمه وتوجب له هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة ويعلم ارتباط الخلق والأمر والجزاء والوعد والوعيد بأسمائه وصفاته، وأن ذلك بموجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود وأن كل اسم وصفة مقتض لأثره وموجبه متعلق به لابد منه.

وهذا المشهد: يطلعه علىٰ رياض مونقة من المعارف، والإيمان وأسرار القدر، والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم فمن بعضها ما ذكره الشيخ«**يريد صاحب المنازل**»: أن يعرف العبد عزته في قضائه وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء وأنه لكمال عزته حكم علىٰ العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته علىٰ ما يشاء وحال بين العبد وقلبه وجعله مريداً شائياً لما شاء منه العزيز الحكيم وهذا كمال العزة؛ إذ لا يقدر علىٰ ذلك إلا الله وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك، وأما جعلك مريداً شائياً لما يشاؤه منك ويريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة.

فإذا عرف العبد عز سيده ولا حظ وتمكن شهوده منه كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له لأنه يصير مع الله لا مع نفسه، ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه: مدبر مقهور ناصيته بيد غيره لا عصمة له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا بمعونته فهو: ذليل حقير في قبضة عزيز حميد.

ومن شهود عزته في قضائه أن يشهد: أن الكمال والحمد والغنى التام والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه وكذلك بالعكس فنقص الذنب وذلته يطلعه علىٰ مشهد العزة.

ومنها: أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية فإذا شهد جريان الحكم وجعله فاعلاً لما هو مختار، له مريداً بإرادته ومشيئته واختياره فكأنه مختار مريد شاء غير شاء فهذا يشهد عزة الله وعظمته وكمال قدرته.

ومن ذلك أن يعرف بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه وهذا من كمال بره ومن أسمائه البر، وهذا البر من سيده كان عن كمال غناه وكمال فقر العبد إليه فيشتغل بمطالعة هذه المنة ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله سبحانه وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته وشهود ذل المعصية فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

ومنها: شهود حلم الله سبحانه وتعالىٰ في إمهال راكب الخطيئة مطلقاً ولو شاء لعاجله بالعقوبة ولكنه الحليم الذي لا يعجل فيحدث له ذلك معرفة ربه سبحانه باسمه الحليم ومشاهدة صفة الحلم والتعبد بهذا الاسم. والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب إلىٰ الله وأصلح للعبد وأنفع من فوتها، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع ومنها معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه إذا اعتذر إليه بنحو ما تقدم من الاعتذار لا بالقدر فإنه مخاصمته ومحاجة.

ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله وإلا فلو أخذ بمحض حقه كان عادلاً محموداً.

وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك فيوجب ذلك شكراً له ومحبة وإنابة إليه وفرحاً وابتهاجاً به ومعرفة له باسمه الغفار ومشاهدة لهذه الصفة وتعبداً بمقتضاها

وذلك أكمل في العبودية والمحبة والمعرفة.

ومنها: أن يكمل لعبده مرتبة الذل والخضوع والانكسار بين يديه والافتقار إليه.

ومنها: أن أسماء الرب تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها فاسم السميع البصير يقتضي مسموعاً ومبصراً، واسم الرزاق يقتضي مرزوقاً واسم الرحيم يقتضي مرحوماً وكذلك أسماء «**الغفور والعفو والتواب والحليم**» يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو ويحلم ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات إذ هي أسماء حسنى وصفات كمال ونعوت جلال وأفعال حكمة وإحسان وجود فلا بد من ظهور آثارها في العالم.

وإلى هذا أشار أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول لو «**لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**» وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً فمن يرزق الرزاق سبحانه. وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية عن العالم فلمن يغفر؟ وعمن يعفو؟ وعلىٰ من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات كلها قد سدت والعبيد أغنياء معافين فأين السؤال، والتضرع والابتهال والإجابة وشهود المنة والتخصيص بالإنعام والإكرام فسبحان من تعرف إلىٰ خلقه بجميع أنواع التعرفات ودلهم عليه بأنواع الدلالات . انتهى.

شعراً:

حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُفوسُ بكأسِها ... رَيْبَ المَنونِ وأنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

عَجَباً لأمْنِكَ وَالحَيَاةُ قَصيرةٌ ... وَبِفَقْدِ إِلْفٍ لا تَزالُ تُروَّع

أَفَقَدْ رَضِيْتَ بَأنْ تُعلَلَ بالمُنَي ... وَإلى المنيَّةِ كُلَّ يَومٍ تُدْفَعُ

لاَ تَخْدعَنَّكَ بَعْدَ طولِ تَجارُبٍ ... دُنيا تَغُرُّ بِوصْلِهَا وسَتُقْطَعُ

أَحْلامُ نَومٍ أو كَظِلٍ زَايِلٍ ... إنَّ اللَبِيبَ بِمثْلِها لا يُخْدَعُ

وَتَزَوَّدَنَّ لِيَومِ فَقْرِكَ دائماً ... أَلِغَيْرِ نَفْسكَ لاَ أبَالَكَ تَجْمَعُ

اللهم أحينا في الدنيا مؤمنين، طائعين وتوفنا مسلمين تائبين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله علىٰ محمد وآله وصحبه أجمعين.

الموعظة الرابعة والعشرون: منهج النجاة والفوز

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُرِيْدُ نَجَاتَهُ ... إِسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
كُنْ فِي أُمُوْرِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكاً ... بَالوَحْيِ لا بِزَخَارِفِ الهَذَيَانِ
وَأْنُصر كِتَابَ اللهِ وَالسُنَنَ التي ... جَاءَتْ عن المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الوَحْيِ كُلَّ مُعَطِّلٍ ... ضَربَ المُجَاهِدِ فَوقَ كُلِّ بَنَانِ
وَاحْمِلْ بِعَزْمِ الصِدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِدٍ لِلهِ غَيْرَ جَبَانِ
وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحتَ الْوِيَةِ الهُدى ... فَإِذا أُصِبْتَ فَفِيْ رِضَا الرّحْمانِ
واجْعَلْ كِتَابَ اللهِ وَالسُّنَنَ التِي ... ثَبَتَتْ سِلاَحَكَ ثُمَّ صِحْ بِجَنَانِ
مَن ذَا يُبَارِزُ فَلْيُقَدِّمْ نَفْسَهُ ... أَوَ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي المَيْدَانِ
وَاصْدعْ بِمَا قَالَ الرَّسُوْلُ ولا تَخَفْ ... مِن قِلَّةِ الأَنْصَارِ والأَعْوَانِ
فَاللهُ نَاصِرَ دِيْنِهِ وَكِتَابِهِ ... وَاللهُ كَافٍ عَبْدَهُ بَأَمَانِ
لاَ تَخْشَ مِنْ كَيْدِ الْعَدوِّ وَمَكْرِهِم ... فَقِتَالُهُم بالكِذْبِ والبُهْتَانِ
فَجُنُودُ اتْبَاعِ الرَّسُوْلِ مَلائِكٌ ... وَجُنُودُهُم فَعَسَاكِرُ الشَيطَانِ
شَتَانَ بَيْنَ العَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ ... مُتَحَيِّزاً فَلْيُنْظُرِ الفِئَتَانِ
وَاثْبُتْ وقَاتِلْ تَحْتَ رَاياتِ الهُدَى ... وَاصْبِرْ فَنَصْرُ اللهِ رَبِّكَ دَانِ
واذْكُرْ مُقَاتَلَهُمْ لِفُرسَانِ الهُدَى ... لِلِّهِ دَرُّ مُقَاتِلِ الفُرْسَانِ
وادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِ فِي نَحْرِ العِدَى ... وارْجُمْهُمُ بِثَواقِبِ الشُّهبَان
لا تَخْشَى كَثْرَتَهُم فَهُمْ هَمَجُ الوَرَي ... وذُبَابُه أَتَخَافُ مِن ذُبَّانِ
واشْغَلْهُمُ عِنْدَ الجِدَال بِبَعْضِهِمْ ... بَعضاً فَذَاك الحَزْمُ لِلفُرْسَانِ
وإِذَا هُمُوا حَمَلوا عَلَيْكَ فَلاَ تَكُنْ ... فَزِعاً لِحَمْلَتِهِم ولا بِجَبَانِ
وَاثْبُتْ ولاَ تَحْمِل بلاَ جُنْدٍ فَمَا ... هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُجْعَانِ
فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَة الإِسْلام قَدْ ... وَافَتْ عَسَاكِرَهَا مَعَ السُلْطَانِ
فَهُنَاكَ فاخْتِرِق الصُفُوفَ وَلاَ تَكُنْ ... بِالعَاجِزِ الوَانِي ولا الفَزْعَانِ
وَتَعرَّ مِنْ ثَوبَيْنِ مَنْ يَلْبَسْهُمَا ... يَلْقَى الرَّدَى بِمَذَمَّةٍ وهَوانِ

ثَوبٍ مِنَ الجَهْلِ المُرَكَّبِ فَوْقَهُ ... ثَوْبُ التَّعَصُّب بِئْسَتِ الثَّوْبَانِ
وَتَحَلَّ بالإِنْصَافِ أفْخَرَ حُلَّةٍ ... زَيْنَت بِهَا الأَعْطَافُ والكَتِفَانِ
واجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَن مَعْ ... نُصْحِ الرَسولِ فَحبذَا الأَمْرَانِ
وتَمَسكَنَّ بحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ ... وتَوكَّلَنَّ حَقيْقَةَ التُّكْلانِ
فالحَقُّ وَصْفُ الرَّبِ وهُو صِرَاطِهِ ... الهَادي إليهِ لِصَاحِبِ الإيمان
وهو الصِّرَاط عَليه رَبُّ العَرش ... أيَضاً وذَا قَد جَاء في القُرآنِ
والحَقُ مَنْصُورٌ ومُمْتَحَنٌ فَلا ... تَعْجَبْ فَهَذِيْ سُنَّةُ الرحمنِ
وبذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِن حَرْبِهِ ... ولأَ جْلِ ذَاكَ الناسُ طَائِفَتَانِ
ولأجْلِ ذَاكَ الحَرْبُ بَيْنَ الرسلِ ... والْكفارِ مُذْ قَامَ الوَرَى سِجْلانِ
لَكِنَّمَا العُقْبى لأَهْلِ الحَقِ إنْ ... فاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدَّيَانِ
واجْعَلْ لِقَلبِكَ هِجْرَتَيْن وَلاَ تَنَمْ ... فَهُمَا عَلى كُلّ امْرءٍ فَرْضَانِ
فالْهِجْرةُ الأُولى إلى الرَّحْمن ... بالإخْلاصِ فِي سِرٍ وفِي إعْلانِ
فالقَصْدُ وَجهُ اللهِ بالأقْوَالِ ... والأعْمَالِ والطَّاعَاتِ والشُكْرَانِ
فَبذَاكَ يَنْجُو العَبْدَ مِنْ إشْراكِهِ ... ويَصِيْرُ حَقاً عَابِدَ الرَّحْمنِ
والهجْرةُ الأُخرى إلىَ المَبْعُوث ... بالحَقِ المُبِيْنِ وَوَاضِحِ البُرهانِ
فَيدُور مَعْ قَوْلِ الرَّسُولِ وفِعْلِهِ ... نَفْياً وإثْبَاتاً بِلاَ رَوَغَانِ
ويُحَكِّمُ الوَحْيَ المُبِيْنَ عَلَى الَّذِي ... قَالَ الشُيُوْخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ
لاَ يَحْكُمانِ بِبَاطِلٍ أَبَداً وكُلُ ... العَدْلِ قَدْ جَاءَتْ به الحَكَمَانِ
وهُمَا كِتَابُ اللهِ أعْدَلُ حَاكِم ... فِيه الشِّفَا وهِدَايَةُ الحَيْرانِ
وَالحَاكِمُ الثَّانِيْ كَلاَمُ رَسُولِهِ ... مِا ثَمَّ غَيرهُمَا لِذِى إيْمَانِ
فإِذَا دَعَوْكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلاَ ... سَمْعاً لِدَاعِى الكُفْرِ والعِصْيَانِ
قُلْ لا كَرَامَةَ لاَ وَلاَ نُعْماً وَلاَ ... طَوْعاً لِمن يَدْعُوْ إلى الطَّغْيَانِ
وَإِذَا دُعِيتَ إلىٰ الرَّسُوْلِ فَقُلْ لَهُمْ ... سَمْعاً وَطَوْعاً لَسْتُ ذَا عِصْيَانِ
وَإِذا تَكَاثَرَتِ الخُصومُ وصَيَّحُوْا ... فاثْبُتْ فَصَيْحَتُهُم كَمِثْلِ دُخَانِ
يَرقَى إلىٰ الأَوْجِ الرَّفِيْعِ وَبَعْدَهُ ... يَهْوِيْ إلىَ قَعْرِ الحَضِيْضِ الدَّانِي

هَذا وإنَّ قِتالَ حِزْبِ اللهِ بالأَعْمالِ ... لا بِتكائِبِ الشُّجْعَانِ
واللهِ مَا فَتَحُوا البِلادَ بِكَثْرةٍ ... أنَّي وأَعْدَاهُمْ بِلاَ حُسْبَانِ
وَكَذاكَ مَا فَتَحُوا القُلُوبَ بِهَذِهِ ... الآرَاءِ بَلْ بالعِلْمِ وَالإيْمَانِ
وَشَجَاعَةُ الفُرْسَانِ نَفْسُ الزُهْدِ فِي ... نَفْسٍ وذَا مَحْذُوْرُ كُلّ جَبَانِ
وَشَجَاعَةُ الحُكَّامِ والعُلَمَاء زَهْداً ... في الثَّنا مِن كُلِّ ذِي بُطْلانِ
فإذا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ ... شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إلىٰ الرَّحْمَنِ
وَاقْصِدْ إلَىَ الأَقْرَانِ لا أَطْرَافِها ... فَالعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِل الأَقْرَانِ
وَاسْمَعْ نَصِيْحَةَ مَنْ لَهُ خَبَرٌ بِمَا ... عِنْد الوَرَى مِنْ كَثْرةِ الجَوَلانِ
مَا عِنْدَهُم وَاللهِ خَيْرٌ غَيْرَمَا ... أَخَذوْهُ عَمَّنْ جَاءَ بالقُرْآنِ
وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَه أَوْ فِريَةٌ ... أَوْ بَحْثُ تَشْكِيْكٍ ورَأْيُ فُلانِ
فاصْدَعْ بأَمْرِ اللهِ لاَ تَخْشَ الوَرَى ... في اللهِ واخْشَاهُ تَفُزْ بأَمَانِ
واهْجُرْ وَلَو كُلَّ الوَرَى في ذَاتِهِ ... لا فِي هَوَاكَ وَنَخوةِ الشَّيْطَانِ
واصْبِرْ بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ ... وَاصْفَحْ بِغَيْر عِتَابِ من هُوَجَانِ
واهْجُرهُمُ الهَجْرَ الجَمِيلَ بلاَ أَذى ... إنْ لَمْ يَكُنْ بُدَّ مِن الْهِجْرَانِ
وانْظُر إِلىَ الأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا ... قَدْ شَاءَ مِن غَيٍّ ومِن إيْمَانِ
واجْعَل لِقَلْبِكَ مُقْلَتَينِ كِلاَهُمَا ... بالحَقِّ في ذَا الخَلْقِ نَاظِرَتَانِ
فانْظُر بِعْينِ الحُكْمِ وارْحمْهُم بِهَا ... إذْ لا تَرَدُّ مَشِيئَةُ الدَّيَانِ
وانْظُر بَعْينِ الأَمْرِ واحمِلْهُم عَلَى ... أحْكَامِهِ فَهُمَا إذاً نَظرَانِ
واجْعَلْ لِوجْهِكَ مُقْلتَيْنِ كِلاَهُمَا ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيتَانِ
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيْضاً مِثْلَهُمْ ... فَالقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ
واحْذَرْ كَمَائِنَ نَفْسِك اللاَّتِي مَتَى ... خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرْتَ كَسْرَ مُهَانِ
وإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى ... طَفْي الدُّخَانِ بَمَوْقدِ النِّيْرانِ
واللهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ... أَنْ سَوْفَ يَنْصُرُ عَبدَهُ بأَمَانِ
مَنْ يَعْمَلِ السُوآى سَيُجْزي مِثْلَهَا ... أوْ يَعْمَل الحُسْنَى يَفُز بِجِنَانِ
هَذِيْ وَصِيَّةُ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ ... وصَّى وَبَعْدُ لِسَائِرِ الإِخْوانِ

الموعظة الخامسة والعشرون:
الإحسان في المعاملات من طرق النجاة

عباد الله: يجب عليكم أن تعلموا أنكم ما دمتم في هذه الدار فأنتم في دار المعاملات، وأن لكم داراً أخرى أبدية، فيها تستوفون ما لكم علىٰ هذه المعاملات من جزآءت، فإن أحسنتم هنا أو أسأتم، كان جزاؤكم هناك إحساناً أو إساءات، هكذا وعدكم ربكم، وهو عليم بكل الأعمال، وعلىٰ جزائكم عليها قدير، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ من هذا قطعاً تعلم: أن شأن هذه المعاملات عظيم، عظماً لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل، البعيد النظر الحكيم، فإن عليها يترتب غضب الله، وعقابه أو رضاه، والنعيم المقيم، وشيء هذا قدره لا يتوقف ولا يتردد في بذل العناية به رجل بصير، وهذه المعاملات تارة تكون بينكم وبين الله، وتارة تكون مع عباد الله، فأما المعاملة مع الله جل وعلا فبأن تسمع وتطيع فيما أمر ونهى، وأما معاملتك مع عباد الله المؤمنين، فبأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وذلك بأن تجعل نفسك ميزاناً في إحسانهم، فاحذر إساءتهم، وعاملهم بالإحسان، وكما تكره أن يمسوا مالك بسوء، فلتكن أموالهم منك في أمان، وكما تكره أن يتعرضوا لأولادك وأهلك وشخصك بشر، فكن لهم خير حفيظ ونصير، وكما تحب أن يريحوك إذا جاوروك، فأرحهم عند مجاورتك لهم، وكما تحب أن ينصحوك ويصدقوك في وعودهم وعقودهم وأخبارهم، فاسبقهم أنت إلىٰ ذلك، وكما تحب أن يفرحوا لفرحك، ويحزنوا لحزنك، فكن أنت كذلك معهم، وكما تحب أن لا يتكلموا فيك إلا بخير، فلا تكن أنت معهم بضد ذلك، وقس علىٰ ذلك ما يتعلق بالموضوع، وأما معاملتك مع نفسك، فهي أن تعودها دائماً علىٰ الخير بلا ضجر.

الموعظة السادسة والعشرون: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

شعراً:

تَـبَـارَكَ مَـنْ عَـمَّ الـوَرَى بِـنَـوالِـهِ وَأَوسَعَهُم فَضْلاً بِإسْبَاغِ نِعْمَةِ
وقَـدَّرَ أرْزَاقَـاً لَـهُـمْ ومَـعَـايِـشَـاً وَدَبَّـرهُـمْ فِـي كُـلِّ طَـوْرٍ ونَـشْـأة
أَحَاطَ بِهِمْ عِلْماً وَأَحْصَى عَدِيْدَهُم وصَرَّفَهُم عَن حِكْمَةٍ وَالمَشِيئَةِ
وَلِلـهِ بَـيْـنَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ ومِـنْـهُـم بِـكُـل زَمَـانٍ كَـمْ مُـنِـيْـبٍ ومُـخْـبِـتِ
وَكَـمْ سَـالِـكٍ كَـمْ نَـاسِـكٍ مُـتَـعَـبِّـدٍ وَكَمْ مُخْلِصٍ فِي غَيْبِهِ وَالشَّهَادَةِ
وَكَـم صَـابِـرٍ كَـمْ صَـادِقٍ مُـتَـبَـتِّـل إلى اللهِ عَنْ قَصْدٍ صَحِيْحٍ وَنِيَّةِ
وَكَـمْ قَـانِـتٍ أَوَّابَ فِـي غَـسَـقِ الـدُجَـى مِنَ الخَوْفِ مَحْشَوُ الفُؤادِ وَمُهْجَةِ
يُـنَـاجِـيْ بـآيـاتِ الـقُـرآنِ إلـهَـهُ بِصَوْتٍ حَزِيْنٍ مَعْ بُكَاءٍ وَخَشْيَةِ
وَكَـمْ ضَـامِـرِ الأحْـشَـاءِ يَـطْـوِى نَـهَـارَهَ بِحَرِ هُجَيْرٍ مَاتَهَنَّا بَشَرْبَةِ
وَكَـمْ مُـقْـبِـلٍ فِـي لَـيْـلِـهِ وَنَـهَـارِهِ عَلَى طَاعَةِ المَوْلَى بِجِدٍّ وهِمَّةِ
وَكَـمْ زَاهِـدٍ فِـي هَـذِه الـدَارِ مُـعْـرِضٍ ومُقْتَصِرٍ مِنها عَلَىَ حَدِ بُلْغَةِ
تَـزَيَّـنَـتِ الـدُنْـيـا لَـهُ وتَـزَخْـرَفَـتْ فَغَضَّ ولَم يَغْتَرَّ مِنْهَا بِزِيْنَةِ
وَكَـمْ عَـالِـمٍ بـالـشَّـرْعِ لِـلـهِ عَـامِـلٍ بِمُوجِبِهِ فِي حَالِ عُسْرٍ وَيُسْرَةِ
وَكَـمْ آمـرٍ بـالـرُّشْـدِ نَـاهٍ عَـنْ الـرَّدِي سَرِيْعٍ إلىٰ الخَيْراتِ مِنْ غَيره فَتْرةِ
فَإنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيْداً مُوَفَقاً وَتُحْظَى بِفَوزٍ عِنْدَ نَشْرِ الصَّحِيْفَةِ
فَحَافِظْ عَلى المَفْرُوضِ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ وَأكْثِرْ مِنَ النَّفْلِ المُفِيْدِ لِقُرْبَةِ
بِكَنْتُ لَهَ سَمْعاً إلىَ آخِرِ النَّبَا عَن اللهِ في نَصِّ الرَّسُولِ المُثْبِتِ
وكُنْ في طَعَامٍ والْمَنَامِ وخِلْطَةٍ ونُطْقٍ عَلى حَدِّ اقْتِصَارٍ وقِلَّةِ
وَجَالِسْ كِتَابَ اللهِ وَاحْلُلْ بسَوْحِهِ ودُمْ ذَاكِراً فالذِّكْرُ نُورُ السَّرِيْرَةِ
عَلَيْكَ بِهِ في كُلِّ حِيْنٍ وحَالَةٍ وبالفِكْرِ إنَّ الفِكْرَ كُحْلُ البَصِيْرَةِ
وكُنْ أَبَداً فِي رَغْبَةٍ وَتَضرُعٍ إلىٰ اللهِ عن صِدْقِ افْتِقَارٍ وفَاقَةِ
وَوَصْفِ اضْطِرَارٍ وانْكِسَارٍ وَذِلَةٍ وقَلْبٍ طَفُوحٍ بالظُنُون الجَمِيْلةِ
وبَعْدَ فَإنَّ الحَقَّ أفْضَل مَسْلَكٍ سَلَكْتَ وَتَقْوىَ اللهِ خَيْرُ بِضَاعَةِ
وَمَنْ ضَيَّعَ التَّقْوَى وَأهْمَل أَمْرَهَا فَقدْ بَاءَ بِالخُسْرانِ يَومَ القِيَامَةِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللهِ شُغْلُهُ عَلىَ كُلِّ حَالٍ لا يَفُوزَ بِبُغْيَةِ

وَمَنْ أَكْثَر العِصْيَان مِنْ غَيْرِ تَوبةٍ ... فَذَاكَ طَرِيحٌ فِي فَيَافِي الغِوَايَةِ
بَعيدٌ مِنَ الخَيْراتِ حَلَّ بِه البَلاَ ... وَوَاجَهَهُ الخُذْلاَنُ مِن كُلِّ وِجْهَةِ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُوْصِىْ سِوَاهُ وَإِنَّهُ ... لأَجْدَرُ مِنْهُ بِاتِّبَاعِ الوَصِيَّةِ
يَقُولُ بِلاَ فِعْلٍ وَيعْلُم عَامِلاً ... عَلَى ضِدِّ عِلْمٍ يَالَهَا مِنْ خَسَارَةِ
عُلُومٌ كَأَمْثَالِ الجِبَال تَلاَطَمَتْ ... وَأَعْمَالُهُ في جَنْبِهَا مِثلُ قَطْرَةِ
وَقَدْ أَنْفَقَ الأَيَّامَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ ... كَمَثْلِ اللَّيَالِي إِذْ تَقَضَّتْ وَوَلَّتِ
عَلَى السّوْفِ والتَّسْوِيْفِ شَرُّ مُصَاحِبٍ ... وقَوْلِ عَسَى عَنْ فَتْرَةٍ وبَطَالَةِ
تَنَكَّبَ عَجْزاً عَنْ طَرِيقِ عَزِيْمَةٍ ... ومَالَ لِتأويْل ضَعِيْف وَرُخْصَةِ
بهمَّ بِلا جِدٍّ ولَيْسَ بِنَاهِضٍ ... عَلَىَ قَدَمِ التَشْمِيرِ مِنْ فَرْطِ غَفْلَهِ
وَقَدْ سَارَ أَهْلُ العَزْمِ وهُوَ مُخَلَّفٌ ... وقَدْ ظَفِرُوا بالقُرْب مِنْ خَير حَضْرَةِ
وَقَدْ أَدْرَكُوا المَطْلُوبَ وهُو مُقَيَّدٌ ... بقَيدِ الأَمَانِيْ وَالْحُظُوظِ الخَسِيْسَةِ
ولَمْ يَنتَهِزْ مِن فَائِتِ العُمْرِ فَرْصَةِ ... وَلَم يَغْتَنِمْ حَالَيْ فَرَاغٍ وصِحَّةِ
وَلَمْ يَخْشَى أَنْ يَفْجَاهُ مَوتٌ مُجَهِّزٍ ... فَإِنَّ مَجيءَ المَوتِ غَيْرُ مُؤَقَّتِ
وَلَمْ يَتَأَهَّبْ لِلرُّجُوْعِ لِرَبِّهِ ... وَلَمْ يَتَزَوَّدْ لِلطَّرِيْقِ البَعِيدَةِ
وَبَينَ يَدَيْهِ المَوْتُ والقَبْرُ والبِلَى ... وَبَعْثٌ وَمِيْزَانٌ وَأَخْذُ الصَّحِيْفَةِ
وجَسْرٌ عَلَىَ مَتْنِ الجَحِيْمِ ومَوْقِفٌ ... طَوِيْلٌ وَأَحْوَالُ الحِسَابِ المَهولَةِ
وَلَكنَّه يُرجُوْ الذِي عَمَّ جُوْدَة ... وإِحْسَانُهُ وَالفَضْلُ كُلَّ الخَلِيْقَةِ
إِلهٌ رَحِيمٌ مُحْسِنٌ مُتَجَاوِزٌ ... إِلَيهِ رُجُوعِي فِي رَخَائِي وشِدَّتِي
غِيَاثِي إِذا ضَاقت عَلَّى مَذَاهِبِي ... وَمِنْهُ أَرَجّى كَشْفَ ضَرِّي ومِحْنَتِى
فَيارَبُّ ثَبِتْنَا عَلَى الحَقِ والهُدَى ... ويَارَبَّنَا اقْبِضْنَا عَلى خَيْرِ مِلَّةِ
وعُمَّ أُصُولاً وَلا الفُرُوْعَ بِرَحْمَةٍ ... وأَهْلاً وَأَصْحَاباً وكُلَّ قَرابَةِ
وسَائِرَ أَهْلِ الدِّينِ مِن كُلِّ مَسْلِم ... أَقَامَ لَكَ التَّوْحِيْدَ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةِ
وَصَلِّ وسَلِّم دَائمَ الدَّهْرِ سَرّمَداً ... عَلَى خَيرْ مَبْعَوثٍ إِلىَ خَيْر أُمَّةِ

الموعظة السابعة والعشرون: منهج للسعادة في الدنيا والآخرة

شعراً:

إذا شِئْتَ أَنْ تَحْياً سَعِيْداً مَدَى العُمْرِ … وَتسْكُنَ بَعْدَ المَوْتِ فِي رَوْضَةِ القَبْرِ

وَتُبْعَثَ عِنْدَ النَّفْخِ في الصُّوْرِ آمِناً … مِنْ الخَوفِ والتَّهْدِيدِ وَالطَّرْدِ وَالخُسْرِ

وَتُعْرَضَ مَرْفُوعاً كَرِيماً مُبَجَّلاً … تُبَشِّرُكَ الإمْلاكُ بالفَوْزِ وَالأَجْرِ

وَتَرْجَحَ عِنْدَ الوَزْنِ أعْمَالُكَ التِيْ … تُسَرُّ بِهَا فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ

وَتَمْضِيْ عَلى مَتْنِ الصِّرَاطِ كَبَارِقٍ … وَتَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبي المُصْطَفي الطُّهْرِ

وَتَخْلُدَ فِي أعْلى الجِنَانِ مُنَعَّماً … حَظِّياً بِقُرْبِ الوَاحِد الأَحَدِ الوِتْرِ

عَلَيْكَ بِتَوْحِيْدِ الإلهِ فَإِنَّهُ … إذا تَمَّ فَازَ العَبْدُ بِالقُرْبِ وَالأَجْرِ

وَخُذْ مِنْ عُلُومِ الدِّيْن حَظًا مُوَفراً … فَبِالعِلْمِ تَسْمُو فِي الحَيَاةِ وَفِي الحَشْرِ

وَوَاظِبْ عَلى دَرْسِ القُرآن فَإنَّ فِي … تَلاوَتِه الأَرْبَاح والشَّرْحُ لِلصَّدْرِ

أَلا إنَّهُ البَحْرُ المحيْطُ وَغَيرُه … مِنْ الكتْبِ أنْهَارٌ تُمَدُّ مِنْ البَحْرِ

تَدَبَّرْ مَعَانِيه ورَتِّلْهُ خَاشِعاً … تَفُوزُ مِنْ الأسْرَارِ بالكَنْزِ وَالذُّخْرِ

وَكُنْ راهِباً عِندَ الوَعِيدِ ورَاغِباً … إذا مَا تلَوْتَ الوَعْدَ في غَايَةِ البِشْرِ

بَعِيْداً عَن المَنْهِيّ مُجْتَنِباً لَهُ … حريْصاً عَلى المَأمُور فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ

وإنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظىَ بِقَلْب مُنَوَّرٍ … نَقيّ مِنْ الأَغْيَارِ فَاعْكُفْ عَلى الذِّكْرِ

وَوَاظِبْ عَليْهِ في الظلامِ وفِي الضِّيَا … وفِي كُلِّ حَالٍ باللسَانِ وفِي السِّرِّ

وَصَفِّ مِنْ الأكْدَارِ سِرَّكَ إنهُ … إذَا مَا صَفَا أَوْلاكَ مَعْنىً مِنْ الفِكْرِ

وَبالجِدِّ وَالصَّبْرِ الجَمِيْلِ تَحِلُّ فِي … فَسِيْحِ العُلى فاسْتوصِ بالجِدِّ وَالصَّبْرِ

وَكُنْ شَاكِراً لِلِّهِ قَلْباً وَقَالِباً … عَلى فَضْلِه إنَّ المَزِيْدَ مَعَ الشُّكْرِ

تَوَكَّلْ عَلى مَوْلاكَ وَارْضَ بِحُكْمِهِ … وَكُنْ مُخْلِصاً لِلِّهِ في السِّرِّ وَالجَهْرِ

قَنُوعاً بِمَا أَعْطَاك مُسْتَغْنِياً بِهِ … لَهُ حَامِداً في حَالِي العُسْرِ وَاليُسْرِ

وَكُنْ بَاذلاً لِلفَضْل سَمْحاً وَلا تَخَفْ … مِنْ اللهِ اقْتَاراً ولا تَخْشَ مِنْ فَقْرِ

وَإيَّاكَ وَالدُّنْيَا فَإنَّ حَلالهَا … حِسَابٌ وَفي مَحْظُورِهَا الهَتْكُ لِلسِّرِّ

وَلاَ تكُ عَيَّاباً وَلاَ تَكُ حَاسِداً … وَلاَ تَكُ ذا غِشّ وَلا تَكُ ذَا غَدْرِ

وَلا تَطْلُبَنَّ الجَاهَ يَا صَاح إنَّهُ … شَهِيٌّ وفِيهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِىْ

وَإيَّاكَ والأَطْمَاعَ إنَّ قَرِينَهَا … ذَلِيْل خَسِيْسُ القَصْدِ مُتَّضِعُ القَدْرِ

وَإِنْ رُمْتَ أَمْراً فَاسْأَلِ اللهَ إِنَّهُ ... هُوَ المُفَضِلُ الوَهَّابُ لِلْخَيْرِ وَالوَفْرِ
وَأُوْصِيْكَ بِالخَمْسِ التِي هُنَّ يا أَخِيْ ... عِمَادٌ لِدِيْنِ اللهِ وَاسِطَةُ الأَمْرِ
وَحَافِظْ عَلَيْهَا بِالجَمَاعَةِ دَائماً ... وَوَاظِبْ عَليهَا في العِشَاءِ وَفِي الفَجْرِ
وَقُمْ في ظَلامِ اللَّيلِ لِلهِ قَانِتاً ... وَصَلِّ لَهُ وَاخْتِمْ صَلاَتَكَ بِالوِتْرِ
وَكُنْ تَائِباً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ ... وَمُسْتَغْفِراً في كُل حِيْنٍ مِنْ الوِزْرِ
عَسَى المُفْضِلُ المولِيَ الكَرِيْمُ بَمَنِّه ... يَجُودُ عَلى ذَنْبِ المسُيئِينَ بالغَفْرِ
فَاحْسِانُهُ عَمَّ الأَنَامَ وَجُوْدُه ... عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ وَإِفْضَالُه يَجْرِيْ
وَصَلِّ عَلى خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... مُحَمَّدِ المبْعُوثِ بالبِشْرِ وَالنُّذْرِ

اللهُمَّ قَنِّعْنَا مِنْ الدّنيا باليَسِيْر وَسَهِّل عَلَيْنَا كُلَّ أَمْر عَسِيْرٍ ووفقنا لما تحبه وترضاه إنك علىٰ كل شيء قدير وأسكنا دار كرامتك يا من هو ملجؤنا وملاذنا وإليه المصير واجعل لنا من كل هم فرجاً وزمن كل ضيق مخرجاً واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثامنة والعشرون: الخوف والرجاء

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وكُن بَينَ خَوفٍ والرَّجا عَاملاً لِمَا ... تَخَافُ وَلاَ تَقْنطْ وُثُوقاً بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنوباً قَدْ مَضَيْن وَتُبْ لَهَا ... وَتُبْ مُطْلقاً مَعْ فَقْدِ عِلْمِ التَّعَمُّد
وَبَادِرْ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُه ... وَتُطوَى علىٰ الأعمالِ صُحْفُ التزَوُّدِ
فَحِيْنَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ المَرْءَ تَوْبَةٌ ... إِذَا عَايَنَ الأَمْلاكَ أو غَرْغَرَ الصَّدِي
وَلاَ تَجْعَلِ الآمَالَ حِصْناً فَإِنَّهَا ... سَرَابٌ يَغُرُّ الغَافلَ الجَاهلَ الصَّدِي
فَبَيْنَا هُوْ مُغْتَراً يُفَاجِئُهُ الرَّدَي ... فَيُصْبحُ نَدماناً يَعَضُّ علىٰ اليَدِ
وتَوْبَةَ حُقِّ اللهِ يَسْتَغْفِرُ الفَتى ... وَيَندمُ يَنوي لا يَعودُ إلىٰ الرَّدِي
وإنْ كانَ مِمَّا يُوجِبُ الحدَّ ظاهِراً ... فَسِتْرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقِرٍ لِيُحْدَدِ
وإِن تَابَ مِنْ غَصْبٍ فيُشرَطُ رَدُهُ ... وَمَعْ عَجْزِه يَنْوي مَتَى وَاتَ يَرْدُدِ
وَمِنْ حَدِّ قَذْفٍ أو قِصاصٍ مَتَابُهُ ... بِتَمْكِيْنِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا آبتُدِي

وَتَحْلِيلُ مَظْلُوم مَتَابٌ لِنَادِمٍ ... تَدَارُكُ عُدوانِ اللِسَان أوِ اليَدِ

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنَبِّهْنا لاغتِنَام أوقاتِ المُهْلَةِ ووَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِن قَبَائِحِنَا وَلاَ تؤاخذْنا بِمَا انْطَوَتْ عَليهِ ضَمَائِرُنا وأكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواع القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا، وامنُنْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تَمحو بها عَنا كُلَ ذَنْبٍ وَاغفِر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله علىٰ محمدٍ وآله وصحَبِهِ أجمعين.

الموعظة التاسعة والعشرون: طريق الحق أبلج

شعراً:

ألَم تَر أن الحقَ أبلَجَ لأئِحُ ... وأن لِجَاجَاتِ النفوسِ جَوَائِحُ

إذا المَرءُ لم يكففْ عن الناس شَرَّهُ ... فَليسَ له ما عَاشَ منهم مُصَالِحُ

إذا كَفَّ عبدُ الله عَمَّا يَضُرُهُ ... وَأكثَرَ ذِكْرِ اللهِ فالعَبْدُ صَالِحُ

إذا العبدُ لم يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ ... فَليسَ لَه والحمْد لِلهِ مَادِحُ

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ لم يَصفُ عيشُه ... وَمَا يَستطيبُ العيشَ إلا المُسَامِحُ

وبَيْنَا الفَتَى والمُلِهيَات يُذِقْنَهُ ... جَنَى اللَّهْوِ إذْ نَاحَتْ عَلَيه النَّوَائِحُ

وإنَّ امْرأً أَصْفَاكَ في اللهِ وِدَّهُ ... وَكَانَ عَلى التَّقْوىَ مُعِيْناً لَصَالِحُ

وإنَّ أَلَبَّ النَّاسِ مَن كَانَ هَمَّهُ ... بِمَا شَهِدَتْ مِنهُ عَلَيهِ الجَوَارِحُ

الموعظة الثلاثون: منازل الرضوان وسبل الردىٰ

وقال الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

سَعِدَ الذِيْنَ تَجَنَّبوا سُبُلَ الرَّدَي ... وتَيَمَّمُوْا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

فَهُمُ الذِينَ قَدْ أَخلَصُوا في مَشْيِهِمْ ... مُتَشَرِّعِيْنَ بِشِرْعَةِ الإيْمَانِ

وَهُمُ الذين بَنَوْا مَنَازِل سَيْرِهِمْ ... بَيْنَ الرَّجَا والخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

وَهُمُ الذِيْنَ مَلأ الإلَه قُلُوبَهُمْ ... بِودَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

وَهُمُ الذِينَ قَدْ أكثَرُوا من ذِكْرِهِ ... فِي السِّرِّ وَالإعْلانِ والأَحْيانِ

يَتَقَرَّبُونَ إلىٰ المَليْكِ بِفِعْلِهِم ... طَاعَاتِهِ والتَّركِ لِلعِصْيَانِ

فِعْلُ الفَرَائِضِ والنَّوافِلِ دَأبُهُمْ مَعْ رَؤيَةِ التَقْصِير والنُّقْصَانِ
صَبَرُوْا النُّفُوسَ عَلى المَكَارِهِ كُلِّهَا شَوْقاً إِلىَ مَا فِيْه مِن احْسَانِ
نَزَلُوْا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمُوا بِهَا قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وأَمَانِ
شَكَرُوْا الذِيْ أوْلَى الخَلائِقَ فَضْلَهُ بِالقَلْبِ والأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ
صَحِبُوا التَّوَكُّل في جَميْع أُموْرِهِم مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ في رِضَى الرَّحْمَانِ
عَبَدُوْا الإلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُوْرِهِ فَتَبَوءُوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ
نَصَحُوْا الخَلِيقَةَ في رِضَى مَحْبُوبِهِمْ بِالعِلْمِ والإرْشَادِ والإِحْسَانِ
صَحِبُوْا الخَلائِق بالجُسُوم وإِنَّما أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّها قَدْ فَرَّغُوهَا مِن سِوَى الرَّحْمَانِ
حَرَكَاتُهُم وهُمُومُهُم وعُزُوْمُهُمْ لِلِّهِ لا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
نِعْمَ الرَّفِيْقُ لِطَالِبِ السُبْلِ التَّي تُفْضِيَ إِلىٰ الخَيْرَاتِ والإِحسانِ

الموعظة الواحدة والثلاثون: في التوبة من المعاصي

اعْلَم وَفَقَنا الله وإياك وَجَميع المُسلمينَ، أن الذُنوب حِجَاب عَن اللهِ، والانصرافُ عن كِلِ مَا يُبْعدُ عَن اللهِ واجبٌ، وإنما يتمُ ذلكَ بالعِلم وَالنَدم والعَزم، فإنه مَتى لَم يَعلم أنَّ الذُنوب أَسْبَاب البُعْدِ عن اللهِ لَمْ يَنْدَم علىٰ الذنوب ولم يتوجَّعْ بِسَبَبِ سُلوكِهِ طَرِيْقَ البُعد، وإذا لم يتوجع لم يرجع، والتوبة: الرجوع عن المعصية إلىٰ الطاعة وهي واجبة من كل ذنب، فإن كان المعصية بين العبد وبين ربه تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط:

الأول: الإقلاع عَن المعصية التي هُو مُتَلبسٌ بِهَا، وعَلامَتُهُ مُفَارَقَةُ الذنب فوراً.

الثاني: الندم علىٰ فعلها، وعلامته طول الحزن علىٰ ما فات وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**الندم توبة**».

الثالث: العزم أن لا يعود إلىٰ معصية أبداً، وعلامته التدارك لما فات وإصلاح ما يأتي، فإن كان الماضي تفريطاً في عبادة قضاها، أو مظلمة أداها، أو خطيئة لا توجب غرامة حزن اذ تعاطاها.

فإن فقد أحد الشروط الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق

بآدمى، فشروطها أربعة، الثلاثة الشروط المذكورة والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، إن كان موجوداً أو رد بدله عند تلفه من قيمة أو مثل. وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان عاقلاً حليماً، يغلب علىٰ الظن أنه إذا جاءه أخوه المسلم نادماً تائباً عفا عنه وسامحه، وإلافليستغفر له. لما ورد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: الله اغفر لنا وله**».

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**».

وقد أمر سبحانه وتعالىٰ بالتوبة، وبينا ما للتائبين من الكرامة والأجر، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: والنصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب، واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته.

والثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقي تردد ولا تلوم ولا انتظار بل يجمع كل إرادته وعزيمته مبادراً بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من خشية الله، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته ومنصبه ورياسته، أو لحفظ حاله أو لحفظ قوته وماله أو استدعاء حمد الناس أو لهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله ﷻ . أهـ.

وأخبر أنه غفار لذنوب التائبين، فقال عز شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ وأخبر سبحانه وتعالىٰ أن يحب التوابين، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]

وقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**» الحديث رواه مسلم.

والأحاديث في هذه كثيرة، والإجماع منعقد علىٰ وجوب التوبة لأمر الله ورسوله بها، ولأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله فيجب الهرب منها علىٰ الفور، وليحذر الإنسان كل الحذر من الذنوب الكبائر والصغائر. ووجوب التوبة من الكبائر أهم وآكد، والإصرار علىٰ الصغيرة أيضاً كبيرة، فلا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار.

وتوار الصغائر عظيم التأثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء علىٰ الحجر، فإنه يحدث فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر، فعلى العاقل أن يسترصد قلبه باستمرار، ويراقب حركاته ويسجل تصرفاته ولا يتساهل ولا يقول إنه من التوافه الصغار وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل يهلكنه**».

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر:

وَلا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرُبَّما ... تَمُوتُ الأَفَاعِي مِن سُمُومِ العَقَارِبِ
وقَدْ هَدَّ قِدْمَاً عَرْشَ بَلقِيْس هُدْهُد ... وخَرَّب حَفْرُ الفَارِ سَدَّ مَأرِبِ

وقال الآخر:

لا تَحْقِرَنَّ صَغيراً في مُخَاصَمَةٍ ... إنَّ البَعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الأَسَدِ

وكما أن خير الأعمال الصالحة أدومها وإن قل ، وأيضاً الكبائر قلما تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر، فمثلاً الزنا ـ والعياذ بالله ـ قلما يقع فجأة بل تتقدم عليه مراودة أو قبلة أو لمس.

اللهم أرزقنا العافية في أبداننا، والعصمة في ديننا وأحسن منقلبنا، ووفقنا للعمل بطاعتك أبداً ما أبقيتنا، واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثانية والثلاثون: التوبة قبل الموت

شعراً:

يَا نَفْسُ تُوبِي فَإِنَّ المَوْتَ قَدَ حَانَا ... وَاعْصي الهَوَى فالهَوى مازَالَ فَتَّانا

أَمَا تَرَينَ المنَايَا كَيْفَ تَلْقُطنَا ... لَقْطاً فَتُلحِقُ أُخرَانَا بِأُوْلانَا

فِي كُل يَوْمٍ لَنَا مَيْتٌ نُشَيِّعُه ... نَرَى بِمَصْرَعِه آثَارَ مَوْتَانَا

يَا نَفْسُ مَالِي ولِلأَمْوَالِ أَتْرُكَهَا ... خَلْفِي وَأَخْرَجُ مِن دُنْيَايَ عُرْيَانَا

أبعدَ خَمسِينَ قَدْ قَضَيْتُها لِعبَا ... قَد آنَ أنْ تَقْصُرِي قَدْ آنَ قَدْ آنا

مَا بالُنَا نَتَعامَى عَن مَصَائِرنَا ... نَنْسَى بِغَفْلَتِنَا مَن لَيسَ يَنْسَانَا

تَزْدَادُ حِرْصاً وَهَذا الدهرُ يَزْجُرَنَا ... كَأن زَاجِرنَا بالحِرصِ أَغْرانَا

أَيْنَ المُلوكُ وأَبْنَاء المُلُوكِ ومَنِ ... كانَتْ تَخِر لَه الأذقَانُ إِذْعَاناً

صَاحَتْ بِهِم حَادِثَاتُ الدهرِ فانْقَلبُوا ... مُسْتَبْدِلِين مِن الأَوْطَان أوْطَانَا

خَلَّو مَدَائِنَ كَانَ العِزُ مَفْرَشُهَا ... واسْتُفْرِشُوا حُفُراً غُبْراً وقِيعَاناً

يَا رَاكضاً في مَيَادِين الهَوى مَرِحاً ... ورَافِلاً فِي ثِيَابِ الغَيِّ نَشْوَانَا

مَضَى الزمانُ وَوَلىَّ العُمْرُ في لَعِبٍ ... يَكْفِيكَ مَا قَد مَضَى قَد كَانَ مَا كَانَا

الموعظة الثالثة والثلاثون: الأرواح بعد الموت

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالشَّأنُ للأرواحِ بَعدَ فِراقِهَا ... أبدانَها واللهِ أعْظَم شَانِ

إمَّا عَذَابٌ أو نَعِيمٌ دَائمٌ ... قَد نُعِمَتْ بالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

وتَصِيْرُ طَيْراً سَارحاً مَعْ شِكْلِهَا ... تَجْني الثِّمَار بِجنَّة الحَيَوانِ
وَتَظَلُ وَارِدةً لأنْهَار بِهَا ... حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الجُثْمَانِ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الذِيْنَ اسْتُشْهِدوا ... فِي جَوفِ طَيْرٍ أخْضَرٍ رَيَّانِ
فَلَهُمْ بِذَاك مِزيَّة في عَيْشِهِم ... وَنَعِيمُهُم لِلرُّوْحِ والأبْدَانِ
بَذَلُوا الجُسُومَ لِربهم فَأَعَاضَهُمَ ... أجْسَام تِلكَ الطيرِ بالإِحْسَانِ
وَلَهَا قَنَادِيلُ إلِيْهَا تَنْتَهي ... مَأوَى لَهَا كَمَساكِنِ الإنْسَانِ
فالرُوْحُ بَعدَ الموتِ أكْملُ حَالَةٍ ... مِنْهَا بِهَذِي الدَارِ في جُثْمَانِ
وَعَذابُ أَشَقَاهَا أَشَدُ مِن الذِي ... قَد عَايَنَتْ أبْصَارُنا بِعَيانِ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتك في قُلُوبنا وقوها وثبتنا علىٰ قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الرابعة والثلاثون: توبيخ النفس علىٰ التفريط والإهمال في طاعة الله تعالىٰ

وقال بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها علىٰ تفريطها وإهمالها:

يَا نَفسُ هَذَا الذِي تَأْتِيْنَهُ عَجَبٌ ... عِلْمٌ وعَقْلٌ ولا نُسْك ولاَ أَدَبُ
وَصْفُ النِّفَاقِ كَمَا في النَّصِّ نَسمَعُهُ ... عِلْمُ اللِّسَانِ وجَهْلُ القَلْبِ والسَّبَبُ
حُبُّ المتَاعِ وحُبُّ الجَاهِ فانْتَبِهِيْ ... مِن قَبْلُ تُطوَى عَلَيْكِ الصُّحفُ والكُتُبُ
وَتَصْبِحِيْنَ بِقَبْر لاَ أَنِيْسَ بِهِ ... الأَهْلُ والصّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوْا ذَهَبُوْا
وَخَلَّفُوكِ وَمَا أَسْلَفْتِ مِن عَمَلٍ ... الْمَالُ مُسْتَأْخِرٌ وَالكَسْبُ مُصْطَحَبُ
وَاسْتَيْقِنِي أنَّ بَعْدَ المَوْتِ مُجْتَمَعاً ... لِلْعَالِمَيْنَ فَتَأْتِيْ العُجْمُ والعَرَبُ
والخَلْقُ طُراً وَيَجْزِيْهِمْ بِمَا عَمِلُوْا ... في يَوْمِ لا يَنْفَعُ الأَمْوَالُ والحَسَبُ
وأخْشَيْ رُجُوْعاً إلىٰ عَدْلٍ تَوَعَدَ مَنْ ... لا يَتَّقِيْه بِنَارٍ حَشْوُهَا الغَضَبُ
وَقُوْدُهَا النَّاسُ والأحْجَارُ حَامِيَةٌ ... لاَ تَنْطَفِيْ أَبَدَ الآبَادِ تَلْتَهِبُ
والبَعدِ عَن جَنَّةِ الخُلدِ التِي حُشِيَت ... بالطَّيبَاتِ ولاَ مَوْتٌ ولا نَصَبُ
فِيْهَا الفَوَاكِهُ والأنْهَارُ جَارِيَةٌ ... والنُوْرُ والحُوْرُ وَالوِلْدَانُ والقُبَبُ

وَهَـذِهِ الـدَّار دَارٌ لا بـقَـاءَ لَـهَـا ... لاَ يَفْتِنَنَّك مِنْهَا الوَرْقُ والذَّهَبُ
وَالأَهْلُ والْمَالُ والمَرْكُوبُ تَرْكَبُهُ ... والثَّوبُ تَلْبَسُهُ فَالكُل يَنْقَلِبُ
لا بَارك اللهُ في الدُّنْيَا سِوَى عَوضٍ ... مِنْهَا يُعَدُّ إذَا مَا عُدَّتِ القُرُبُ
يُرِيْدُ صَاحِبُهُ وَجْهَ الإلـه بِهِ ... دُوْنَ الرِّيَا إنَّه التَّلْبِيْسُ والكَذِبُ
لاَ يَقْبَلُ اللهُ أَعْمَالاً يُرِيدُ بِهَا ... عُمَّالُهَا غَيْرَ وَجْهِ اللِّهِ فَاجْتَنِبُوْا
تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى المُخْتَارِ سَيِّدِنَا ... وآلِ والصَّحْبِ قَوْمٌ حُبُّهُمْ يَجِبُ

الموعظة الخامسة والثلاثون: التضرع إلى الله

قصيدة تَتَضَمَّن التضرع لله جل وعلا :

يَا فَاطِرَ الخَلقِ البَدِيْعِ وكَافِلاً ... أَرْزَاقَ مَن هُو صَامِتٌ أَوْ سَائِلُ
أَوْ سَعْتَهُم جُوْداً فَيا مَن عِنْدَهُ ... رِزْقَ الجَميع سَحَابُ جُوْدِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِغَ البِرِّ الجَزيل وَمُسْبِلَ ... العَفْوِ العَظَيم عَظِيمُ فَضْلِكَ وَابِلُ
يَا صَاحِبَ الإحْسَانَ يَا مُرخِ لَنَا ... السَّتر الجَميلَ عَمِيْمُ طوْلِكَ طَائِلُ
يَا عَالِم السِّرِ الخَفِي وَمُنْجِز ... مِيْعَاد صِدْق قَدْ حَكَاهُ الفَاصِلُ
يَا مَن عَلَى العَرشِ اسْتَوى يَا صَادِقَ ال ... وَعْدَ الوَفِي قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُك يَا عَظِيْمُ فَجلَّ أنْ ... يَأْتِيْ المُشَبِّه ظالماً وَيُشَاكِلُ
جلَّتْ فَضَائِلُكَ العِظَامُ فَلَمْ نَجِدْ ... يُحْصى الثنَاءَ عَلَيْكَ فِيها قَائِلُ
الذَنْبُ أنْتَ لَهُ بِمَنِّك غَافِرَ ... مَا لَم يَكُنْ شِرْكاً فَفَضْلُكَ حَاصِلُ
يَعْصِيْكَ جَمٌّ ثُمَّ تَصْفَحُ عَنْهُمُ ... ولِتَوبَةِ العَاصِيْ بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبٌ يُرَبِّى العَالَمِيْنَ بِبِرِهِ ... وَيَزِيْدُهُم مِن فَضْلِهِ ويُوَاصِلُ
يُعْطِيْهِمُوا مَا أَمَّلُوا مِن جُوْدَهِ ... ونَوالُهُ أَبداً إليهم وَاصِلُ
تَعْصِيْهِ وَهْوَ يَسُوْقُ نَحْوكَ دَائِماً ... نِعَماً وعن شُكْرٍ لَهَا أَنْتَ غَافِلُ
سَتَرَ الذُنُوبَ وزَادَ في بَذْلِ العَطَا ... مالا تَكُوْن لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّل أبداً وَأنْتَ لِجُودِهِ ... تَنْسَى وتَغْفُلُ هَلْ تَعِى يَاغَافِلُ
يَدْوُن وتُبْعِدُ ثُمَّ أَنْتَ لِفَضْلِهِ ... بِقَبَائِحِ العِصْيَان مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإذَا دَجَى لَيلُ الخُطُوبِ وأظْلَمَتْ ... طُرُقُ السَّلامَةِ بَل قَلاكَ النَّازِلُ

وَعَلِمْتَ أَنْ لاَ مَنْجَي ثُمَّ تَلاَحَمَتْ سُبُلُ الخَلاصِ وخَابَ فِيهَا الآمِلُ
وَأَيِسْتَ مِن وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَالَهَا طُرُقٌ وقد عَظُمَ البَلا المُتَنَازِلُ
وَقَنِطْتَ مِن ضَعْفِ اليَقِيْنِ وَلم يَكنْ سَبَبٌ ولا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأتيكَ مِنْ الطَافِهِ الفَرَجُ الذي فِيهِ نَجَاتُكَ لَيْسَ يَشْغَل شَاغِلُ
في لَحْظَة يَأْتِيكَ لُطْفٌ فَارِجٌ لَم تَحْتَسِبْهُ وَأنْتَ عنهُ غَافِلُ
يَا مُوْجِدَ الأَشيَاءِ مَنْ أَلْقَى إلىَ أحَدٍ سِوَاكَ فَإنَّ ذَلكَ بَاقِلُ
يَا طَيِّبَ الأسْمَاءِ مَن يَقْصُد إلىَ أبْوَابِ غَيرِكَ فَهْوَ غِرٌ جَاهِلٌ
وَمَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا مِن غَيرِكُمْ فَضْلاً فَذَاكَ المَائِلُ
وَمَنِ اسْتَظَلَّ بِغَيرِ ظِلِّكَ رَاجِياً أَحَداً سِوَاكَ فَذَاك ظِلٌ زَائِلُ
وَمَن اسْتَعَاذَ إِذَا عَرَتْهُ مُلِمَّةٌ بِجَلاَلِكُمْ ذَا الرَّئْيُ رَائْيٌ بَاسِلُ
والرَّائيُ في عَكْسِ الذي حَبَّرْتُهُ بِسِوى جَنَابِكَ فهو رَائْيٌ مَائِلٌ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ عَمَلٌ يُرَدُّ علىٰ الذي هُوَ عَامِلُ
لَوْ صَلَّى ذَاكَ وصَامَ حَجَ فإِنَّ ذَا عَمَلٌ وَإن زَعَمَ المُرَائِيْ بَاطِلُ
وَإذَا رَضِيْتَ فَكُلُ شَيْء هَيِّنٌ حَسْبِيْ رِضَاكَ فَكُلُ شَيءٍ زَائِلُ
أَنْتَ المُنَى وَرِضَاكَ سُؤْلِي في الدُّجَى وَإِذَا حَصَلْتَ فَكلُ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سُؤٍ آبِقٌ كَلٌ عَلَى مَعْبُودِهِ يَا بِئْسَ مَا أَنَا فَاعِلُ
وَلَقَدْ أَتَى العَبْدُ المُسِيْء مُيمِّماً مَوْلاهُ أَوْزَارُ الكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلْت ظَهْرِيْ الذُنُوبُ وسَوَّدَتْ وَجْهِيْ المَعَاصِي ثُمَّ ذَا أَنَا سَائِلُ
مَا لِيْ سِوَاكَ وَلَسْتُ أَرْجُوا غَافِراً صُحْفَ العُيُوبِ وَسِتْرُ عَفْوِكِ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِيْ إذ لَم يَكُنْ عَمَلٌ لَدَيَّ يُقَابِلُ
وَلَبِسْتُ ثَوْبَ الخَوْفِ مِنكَ مَعَ الرَّجي وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وارْزُقْهُ تَوْ بَةَ مُقْلع فِيهَا الشُرُوْط كَوَامِلُ
وَارْزُقْهُ عِلْماً نَافِعاً وارْزُقْتُ تَوْ فِيقاً لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيْلهِ يَا مَنْ لَهُ اسْماً حِسَانٌ فَوَاضِلُ

الموعظة السادسة والثلاثون : الشوق إلىٰ الجنة

فَإِنْ كُنْتَ مُشْتَاقاً إلى ذَلِكَ الجَنَا فَذُقْهُ تَجِدْ طَعماً أَلَذَّ مِن الشَّهَد
هُوَ الوَحْيُ دِينُ اللهِ عِصْمَةُ أَهْلِهِ وَحَظُّهُمُ أَلاَ وَفي وَجَدُّهُمْ المُجْدِي
به يُنْتَجِي والناسُ في هَلَكَاتِهِمْ به يُرْتَجَى نَيلُ الرَغَائِبِ والرِفْدِ
بِهِ الأَمْنُ فِي الدنيا وفي الحَشْرِ واللِقَا وَمِن قَبْلُ عِنْدَ الاحْتِضَار وفِي اللَّحْدِ
بِهِ تَصْلُحُ الدُنيا به تُحْقَنُ الدِّمَا بِهِ يُحْتَمَي مِن كُلِّ بَاغٍ وَذي حِقْدِ
بِهِ زُعْزِعَتْ أَرْكَانُ كِسْرَى وقَيْصَر ولم يُجدِ مَا حَازَا مِن المَالِ والجُنْدِ
وَأَمْثَالُها في السَّالِكينَ طَرِيْقَهُمْ أَرَنَا كَمَا قد قَالَهَ صَادِقُ الوَعْدِ
فَلِلهِ حَمْدٌ يَرْتَضِيْهِ لِنَفْسِهِ عَلَى نِعَمٍ زَادت عَن الحَصْرِ والعَدِّ
فَأَعْظَمُهَا بَعْثُ الرَّسولِ مُحَمَّدٍ أَمَيْنُ إلهِ الحَقِّ وَاسِطةَ العِقْدِ
دَعَانَا إلىَ الإسلام دِيْنِ إلهِنَا وَتَوْحِيدِهِ بالقَوْلِ والفِعْلِ والقَصْدِ
هَدَانَا بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ والعَمَى وَأنقَذَنَا بَعْدَ الغِوَايةِ بالرُّشْدِ
حَبَانَا وَأَعْطَانَا الذِي فَوْقَ وَهْمِنَا وأَمْكَنَنا مِن كُلِّ طَاغٍ وَمُعْتَدٍّ
وَأَيَّدَنَا بالنَّصْرِ واتَّسَعَتْ لَنَا مَمَالِكُ لا تَدْعُو سِوَى الوَاحِدِ الفَرْدِ
فَنَسْأَلُهُ إتْمَامَ نِعْمَتِهِ بَأنْ يُثَبِّتَنَا عِندَ المَصَادِرِ كَالوِرْدِ
فَيَا فَوْز عَبدٍ قَامَ لِلهِ جَاهداً عَلى قَدَم التَجْريدِ يَهْدي وَيَسْتَهْدِي
وَجرَّد فِي نصْرِ الشَّرِيْعةِ صَارِماً بَعْزم يُرَى أَمضَى مِن الصَّارِمِ الهِنْدِي
وَتَابع سَنيَ المُصْطَفي الطُهر مُخْلِصاً لِخَالِقِه فِيْمَا يُسِرُّ ومَا يُبْدي
وَيا حَسْرةَ المَحْرُومِ رَحْمَةَ رَبِهِ بإعْرَاضِهِ عن دِين ذِي الجُوْدِ والمَجْدِ
لَقَدْ فَاتَه الخَيْرُ الكَثِيرُ ومَا دَرَي وَقَد خَاب واختارَ النُحُوس علىٰ السَّعْدِ
وَمِن بَعْدِ حَمْدِ اللهِ ازْكَى صَلاتِهِ وَتَسْلِيْمِهِ الأَوْفَى الكَثِيْرِ بلاَ حَدِ
عَلَى المُصْطَفي خَيْرِ الأَنَامِ وآلِه وأصْحَابِهِ أَهْلِ السَّوابِقِ والزُهْدِ

الموعظة السابعة والثلاثون: وصف نساء أهل الجنة

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في صِفة عَرَائِس أَهْل الجَنَّة وحسنهن وجمالهن ووصالهن:

وإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا ... وَتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُه ... وَرْدٌ وتُفَاحٌ عَلى رُمَانِ
وَتَبَخْتَرَتْ في مَشْيِهَا ويَحِقُ ذَا ... كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الحَيَوانِ
وَوَصَائِفٌ مِن خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا ... وَعَلى شَمَائِلِهَا وَعَن إيْمَانِ
كَالبَدرِ لَيلَة تِّمةٍ قَدْ حُفَ فِي ... غَسَقِ الدُّجي بكَواكِبِ المِيْزَانِ
فَلِسَانُهُ وفُؤآدُهُ وَالطَّرفَ فِي ... دَهَشٍ وَاعْجَابٍ وفي سُبْحَانِ
فَالْقَلبُ قَبلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ ... والعُرسُ إِثْرَ العُرْس مُتَّصِلانِ
حَتَّى إذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلاَ ... أرَأيتَ إِذْ يَتَقَابَلُ القَمَرَانِ
فَسَلِ المُتَّيَمَ هَلْ يَحِلُ الصبرُ عَن ... ضَمٍ وتَقْبِيلٍ وعَن فُلْتَانِ
وَسَلِ المُتيمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَةُ ... فِي أيِ وادٍ أَمْ بأَي مَكَانِ
وَسَلِ المُتَيم كَيْفَ حَالَتُه وقَدْ ... مُلِئَتْ له الأُذْنَان وَالعَيْنَان
مِن مَنْطِق رَقَّتْ حَوَاشْيهِ وَوَجْهٍ ... كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِن جَرَيَانِ
وَسَلِ المُتَيم كَيْفَ عَّيشَتُهُ إذا ... وَهمَا عَلَى فُرَشَيْهِمَا خَلَوانِ
يَتَساقَطَانِ لِئَالِئاً مَنْثُورَةً ... مِن بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وَسَلِ المُتَيمَ كَيفَ مَجْلِسُه مَعَ ... المَحْبُوب في رَوْحٍ وفي رَيْحَانِ
وَتَدُورُ كاسَاتُ الرَحِيقِ عَليهِمَا ... بَأكف أَقْمَار مِن الوِلْدَانِ
يَتَنَازَعَانِ الكَأْسَ هَذا مَرَّةً ... وَالخُودُ أُخرى ثُمَّ يَتَكِئَانِ
فَيَضُمَهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيتَ ... مَعْشُوقَيْنِ بَعدَ البُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
غَابَ الرَّقِيْبُ وغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ ... وَهُمَا بِثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِلانِ
أَتَراهُما ضَجِرَيْن مِن ذَا العَيش لا ... وَحَيَاةِ رَبِكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
وَيَزِيْدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُباً لِصَا ... حِبِهِ جَدِيْداً سَائِرَ الأَزْمَان
وَوِصَالَه يَكْسُوهُ حُباً بَعْدَهُ ... مُتَسَلْسِلاً لاَ يَنْتَهِي بِزَمَانِ
فَالوَصْلُ محفوفٌ بِحُبٍ سَابقٍ ... وَبِلاَ حِقٍ وكِلاَهُمَا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيْفٌ بَيْنَ ذَاكَ وبَينَ ذَا ... يَدْرِيْه ذُوْ شُغْلٍ بِهَذا الشَّانِ
وَمَن يذُهُم في كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ ... سُبْحَان ذِي المَلَكُوتِ وَالسُلْطَانِ

يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ ... وَجَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَستَ بِاليَقْظَانِ
سَارَ الرِفَاقُ وخَلَفُوكَ مَعَ الأولَى ... قَنَعُوا بِذَا الحَظِ الخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَن تَرَى مُتَخَلِّفَاً ... فَتَبِعْتَهُم فَرَضِيْتَ بِالحِرْمَان
لَكِنْ أَتَيت بِخُطَّتَي عَجْزٍ وَجَهْلٍ ... بَعدَ ذا وَصَحِبْتَ كلَّ أَمَانِ
مَنَتْكَ نَفْسُك بِاللحَاقِ مَعَ القُعُود ... عَن المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَم حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا ... مَاذا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

الموعظة الثامنة والثلاثون: غربة الدين والزهد في الدنيا

قصيدة زُهْدية في غربة الدين والولاء والبراء والتقلل من الدنيا:

إلىٰ اللهِ نَشْكُو غُربَة الدِّين والهُدى ... وَفُقْدَانِه مِن بَيْنَ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
فَعَادَ غَرِيباً مِثْلَ مَا كانَ قَدْ بَدا ... عَلَى الدِّين فَلْيَبْكِي ذَوُوْ العِلْمِ والْهُدَى

فَقَد طَمَسَتْ أَعْلامُهُ فِي العَوَالِمِ

حَوَى المَالَ أَنْذَالُ الوَرَى ورَذَالُهُم ... وَقَدْ عَمَّ في هَذا الزمانِ ضَلالُهم
وَلا تَرتَضِى أَقْوَالَهم وفِعَالَهُم ... وَقَدْ صَارَ اقْبَالُ الوَرَى واحْتِيَالُهم

عَلى هَذِه الدُّنْيَا وجَمْعِ الدَّرَاهِم

فَذُوا المَالِ لا تَسْأَلْ أَخَصُّ خَدِينِهِم ... وَقَد نَفَقَ الجَهْلُ العَظِيْمُ بِحِيْنِهِم
بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ دِيْنِهِمْ وَمَد ينِهِم ... وَإِصْلَاح دُنْيَاهُم بِإِفْسَادِ دِيْنِهِم

وَتَحْصِيْلِ مَلْذُوذَاتِهم وَالمَطَاعِم

مُحِبُّونَ لِلدُّنْيَا مُحِبُون قِيْلَهَا ... وَلَو مُعْرِضاً عَنْ دِيْنِهِ وَلَهَالَهَا
وَكُلُّهُمُ لاَ شَكَّ دَنْدَن حَوْلَهَا ... يَعَادُونَ فِيْهَا بَلْ يُوَالُونَ أَهْلَهَا

سَوَاءٌ لَدَيْهِم ذُو التُقَى وَالجَرائِم

إلىٰ اللَّهِ في هَذا الصَباحِ وفي المِسَا ... نَبُثُ الدُّعَا فالْقَلْبُ لا شَكَّ قَدْ قَسَا
وَحُبُّ الوَرَى الدُّنْيَا فَفِي القَلْبِ قَدْ رَسَى ... إذَا انْتُقِصَ الإنْسَانُ مِنهَا بمَا عَسَى

يَكُوْن لَه ذُخْراً أَتَىَ بِالعَظَائِم

بَكَى واعْتَرَاهُ المَسُ مِنْ عُظْم مَا حَسَى ... وَخَرَّ صَرِيْعاً إذْ بَدَا النَّقْصُ وَأَفْلَسَا
وَانْحَلَ جِسْماً نَاعِماً قَبْلُ مَا عَسَى ... وَأبْدَى أعَاجِيْباً مِن الحُزنِ وَالأَسَى

عَلى قِلَّةِ الأَنْصَار مِن كلِ حَازِم

ونَادي بصَوتٍ مُزْعِجٍ مُتَكَلِّماً ... وَبَاتَ حَزِيْناً قَلْبُه مُتَكَلِّماً

وَقَامَ عَلى سَاقٍ لِحِرَّاهُ مُعَلِماً ... وَنَاحَ عَلَيهَا آسِفاً مُتَظَلِّماً

وَبَات بِمَا صَدْهِ غَيْر كَاتِمِ

فَذَا شَأْنَ أَهْلِ الغِي وَالجَهْلِ والرَّدَى ... إذَا انْتَقصُوا الدُنيا أَصَارُوا الثَّرى نَدَى

وبَكّو وَأبْكَوْا كُلَّ مَن رَاحَ أو غَداً ... فَأمَّا عَلى الدِّين الحَنْيفيّ والهُدَى

وَمَلَّةِ إبراهِيمَ ذَاتِ الدَّعَائِم

وَلوْ قُطِّعَتْ فِي كُلِّ أَرْكَانِهَا القُوَى ... وَلَوْ سَلكَتْ كُلُّ الوَرَى سَبْلَ مَن غَوَى

أوِ اتَّخَذَ المَخْلُوقُ مَعْبودَهُ الهَوَى ... فَلَيسَ عَليها والذِيْ فَلَقَ النَّوَى

مِن النَاس مِن بَاك وآسٍ ونَادِمِ

بُنُودُ لَهَا فِيْمَا مَضَى بَيْنَنَا انْتَفتْ ... وَكُلُ مُحَامِيّ لَهَا مَالَ والتَفَتْ

وَمَحْبُوبُنَا مَنْ أبْغَضَتْهُ وَمَنْ نَفَتْ ... وَقَدْ دَرَسَتْ مِنهَا المَعَالِمُ بَلْ عَفَتْ

وَلم يَبْقَ الاَّ الإسْمُ بَيْنَ العَوَالِمِ

وقَدْ ظَهرتْ تِلْكَ الفَوَاحِشُ والجَفَا ... ولاَ شَكَّ في فِعْلِ اللَّواطِ مَعَ الزنَى

وَقَلْبِي إذَا مِمَّا بَدَى مَسَّهُ الضَّنَى ... فَلاَ آمِرٌ بالعُرْفِ يُعْرَفُ بَيْنَنَا

ولا زَاجِرٍ عن مُعْظَلاَتِ الجَرَائِمِ

بِحَارُ المَعَاصِيْ قَدْ طَمَىَ الآنَ لُجُهَا ... ومُتَّسِعُ بَيْنَ البَرِيَّةِ ثَجُّهَا

وَقد لاَحَ مِن فَوقِ البَسِيْطَةِ فَجُّهَا ... وَملَّة إبراهِيمَ غُوْدِر نَهْجُهَا

عَفاءً وأَضْحَتْ طَامِسَاتُ المَعَالِمِ

نَواظِرُنَا كَلَّتْ وَأنْوارَهَا طَفَتْ ... وَألْسُنُنَا عن بَحْثِ مِنْهَاجِهَا حَفَتْ

مَناهجُهَا وَاللهِ مِن بَيْنِنَا عَفتْ ... وَقَدْ عُدِمَتْ فِيْنَا وَكَيفَ وقَدْ سَفَتْ

عَليهَا السَوافِيْ من جَميعَ الأَقَالِيم

تَظُنُونَ أنَّ الدِّين لَبَيْكَ فِي الفَلاَ ... وَفِعْلَ صَلاةٍ السُكُوتَ عَن المَلا

وَسَالِمْ وخَالِطْ مَن لِذَا الدِّيْن قَد قَلاَ ... وَما الدِّينُ إلاَّ الحُبُ والبُغْضُ والوَلاَ

كَذاكَ البَر مِنْ كُلِ غَاوٍ وَآثِمِ

فَأَفْرَادُنا ظَنُّوا النَّجا في التَّنَسُك ... وَغَالبُنَا مِنْهَاجُهُم في التَّسَلُكِ

ومِلَّة إبْراهِيم مِن خَيْرِ مَسلَكِ وَلَيْسَ لَهَا مِن سَالِكٍ مُتَمَسِّكِ
بِدِينِ النَّبي الأبْطَحِي بن هَاشِمِ
فَلَسْنَا نَرَى مَا حَلَ في الدِين وامْحَتْ بِهِ المِلَّةُ السَّمْحَاءُ إِحدَى القَواصِمِ
عَسَى تَوبة تَمْحُو ذُنُوباً لِمُرتَجِي عَسَىَ نَظْرَةٌ تَسْلُك بِنَا خَيرَ مَنْهَجِ
عَسَى وَعَسَى مِن نَفْحَةٍ عَلَّها تَجِي فَنَأْسَى عَلَى التَقصِيْر مِنَّا ونَلْتَجِي
إلىٰ الله في مَحْوِ الذُنوُب العَظَائِم
فَكُلُ الوَرَى في كَثْرِة المَالِ نَافَسَتْ وَرَانَتْ ذُنُوبٌ القُلُوب وقَدْ رَسَتْ
وَفي النَّهْي عَن كُلِّ المَعَاصِي تَنَاعَسَتْ فَنَشْكُو إلىٰ اللهِ القُلوبَ التِي قَسَتْ
وَرَانَ عَلَيهَا كَسْبُ تِلكَ المآثِم
نُراعِيْ أَخَا الدُنيا فَذَاكَ هُوَ الأَخُ وَلو كَانَ في كُلِّ المَعَاصِي مُلَطَّخُ
أَلَسْنَا بأوضَارِ الخَطَا نَتَضَمَّخُ أَلَسْنَا إذا مَا جَاءنَا مُتَضَمِّخُ
بأوْضَارِ أَهلِ الشِرْك مِن كُلِ ظَالِم
أَتَيْنَاه سِرَاعاً وَالرِّضَى عَنْه حَثَنَا نَهُشُ إليْهم بالتَّحِيَّةِ وَالثَّنَا
وَنَهْرَعُ فِي إكْرَامِهم بِالوَلائِم
إذَا يُرْتَضَي في الدِينِ هَل مِن مُعَلِّم أَفِقْ أيُها المَغْبُون هَلْ مِن تَنَدُمِ
أَيَرْضَي بِهَذا كُلُّ أَبْسَل ضَيْغَم وَقَد بَرى المَعْصُوم مِن كُلِّ مُسْلِمٍ
يُقِيمُ بِدَار الكُفْرِ غَيرَ مُصَارِم
وَلاَ مُنْكِرٍ أقوَالَهم يا ذَوي الهُدَى وَلَا مُبْغِض أَفْعَال مَن ضَلَّ واعْتَدىٰ
وَلا آمرٍ بالعُرف مِن بَيْنِهم غَدَا وَلا مُظهِر للدَّيْن بَيْن ذَوي الرَّدَي
فَهَلْ كَان مِنَّا هَجْر أَهْلِ الجَرائِم
وهَلْ كَانَ في ذَاتِ المُهَيْمِنِ وُدُّنَا وَهَلْ نَحْنُ قَاتَلْنَا الذِي عَنْهُ صَدَّنَا
وَهَلْ نَحْنُ أَبْعَدنَا غَداً وَالذي دَنَا وَلكِنَّما العَقْلُ المَعْيشِي عِنْدَنَا
مُسَالَمَةُ العَاصِيْن مِن كُلِّ آثِم
أَيَا وَحْشَةً مِن بَيْن تِلْكَ المَنَازِل وَيَا وَصْمةً لِلِدْيِنِ مِن كُلِّ نَازِل
تَكَلَّمَتْ الأَوْبَاشُ وَسْطَ المَحَافِل فَيما مِحْنَةَ الإسلامِ مِن كُلِّ جَاهِلِ
وَيَا قِلَّةَ الأنْصَارِ مِن كُلِ عَالِم

فَنَفْسَكَ فاخْزِمْهَا إِذا كُنْتَ حَازِماً   وَمن بَابِه لاَ تَلْتَفِتْ كُنْ مُلاَزِماً
وَصَبْرٌ فَربُ العَرْشِ لِلِشِّرْكِ هَازَماً   وَهَذا أَوَان الصَّبْر إنْ كُنْتَ حَازِماً
عَلى الدِّيْن فاصْبِرْ صَبْرَ أَهْلِ العَزَائِم
وَمدَّ يَداً لِلَّهِ كُلَّ عَشِيَّةِ   وَسَلْ رَبَّك التَّثْبِيْتَ في كُلِّ لَحْظَةِ
عَلى مِلَّةِ الإِسْلامِ أَزْكَي البَرِيَةِ   فَمَنْ يَتمسَّكْ بالحَنِفْيةِ التي
أَتَتْنَا عَنِ المَعْصُوم صَفْوَة آدَم
وعُضَّ عَلَيهَا بِالنَّوَا جِذِ إِذْ غَداً   وَحَيْداً مِنَ الخِلَّانِ مَاثَّم مُسْعِداً
عَلى قِلَّةِ الأنْصَار أَصْبَحَ وَاحداً   لَهُ أَجر خَمْسِيْنَ أمراً مِن ذَوِي الهُدَى
مِنَ الصَّحْب أَصحَابِ النَّبِيِّ الأكَارِمِ
وكُنْ عَن حَرام في المَآكِلِ سَاغباً   وَلا تَمْشِ مِنْ بِيْنِ العِبَادِ مُشَاغِبا
وَمُدَّ يَداً نَحْوَ المُهَمْينِ طَالِباً   وَنُحْ وابْك واسْتَنْصِرْ بِربِّكَ رَاغبا

الموعظة التاسعة والثلاثون: الزهد في الدنيا والإقبال علىٰ الآخرة

هذه قصيدة تحتوى علىٰ الحث علىٰ طلب العلم والزهد في الدنيا والإقبال علىٰ الآخرة:

تَفُتُ فُؤادَكَ الأيَامُ فَتَّاً   وَتَنْحَتُ جِسْمَكَ السَاعاتُ نَحْتاً
وَتدعُوكَ المَنُونُ دُعَاء صِدْقٍ   ألأ يَا صَاحِ أنتَ أريدَ أنْتَا
أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْساً ذات غَدْرٍ   أَبَتَّ طَلاقَهَا الأكْيَاسُ بَتَّاً
تَنَامُ الدَّهرَ، وَيَحَك، في غَطِيْطٍ   بِهَا حَتَّى إذا مِتَّ أنتَبَهْتَا
فَكَمْ ذَا أنْت مَخْدُوْعٌ فَحَتَّى   مَتَى لا تَرْعَوى عَنْهَا وَحَتَّى؟!
أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُك لَوْ أَجبتَ   إلىٰ ما فِيه حَظُّكَ لو عَقِلْتَا
إِلىٰ عِلْمٍ تَكونُ بِهِ إمَاماً   مُطَاعاً، إنْ نَهَيْتَ وإنْ أمَرْتَا
وَيَجْلو مَا بِعَيْنِكَ مِنَ غِشَاءٍ   وَيَهْدِيْك الصِراطَ إذا ضَلَلْتَا
وَتَحْمِلُ منهُ في نَادِيكَ تَاجاً   وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إذا اغْتَرَبْتَا
يَنَالُكَ نَفعُهُ مَا دُمْتَ حيّاً   وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إنْ ذَهَبْتَا
هُوَ العَضْبُ المُهَنَّد لَيْسَ يَكْبُو   تَنَال بِهِ مَقَاتِل مَنْ ضَرَبْتَا

وَكـنـزٌ لا تـخـافُ عـلـيـهِ لِـصـاً ... خَفيفُ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيثُ كُنْتَا
يَـزيـدُ بِـكَـثْـرةِ الإنْـفَـاقِ مِـنْـهُ ... وَيَـنْـقُـصُ إنْ بِـهِ كَـفـاً شَـدَدْتَـا
فَـلـو قـدْ ذُقْـتَ مِـنْ حَـلْـواهُ طَـعْـمَـاً ... لآثـرْتَ الـتـعَـلُّـم واجـتـهـدْتَـا
وَلـم يَـشْـغَـلْـك عَـنـهُ هَـوىً مُـطـاعٌ ... وَلاَ دُنْـيَـا بـزُخْـرُفِـهَـا فُـتِـنْـتَـا
وَلا يُـلْـهِـيـكَ عَـنْـهُ أنـيـقُ رَوْضٍ ... وَلا خَـوْدٌ بِـزيـنـتَـهـا كُـلِـفْـتَـا
فَـقُـوْتُ الـرُّوحِ أرْواحُ الـمَـعَـالـي ... وَلَـيـس بـأنْ طَـعِـمْـتَ وأنْ شَـرِبْـتَـا
فَـوَظِـبْـهُ، وَخُـذْ بـالـجِـدِّ فـيـهِ ... فـإنْ أعـطـاكَـهُ الـبـارِي أخَـذْتَـا
وإنْ أُوتِـيْـتَ فِـيـهِ بِـطُـولِ بَـاعٍ ... وَقَـالَ الـنـاس: إنـكَ قَـدْ سَـبَـقْـتَـا
فَـلاَ تَـأمَـنْ سُـؤالَ اللهِ فِـيـهِ ... بِتَوْبِيْخٍ، عَلِمْتَ فَهلْ عَمِلْتَا؟!
فَـرأسُ الـعِـلْـمِ تَـقْـوَى اللهِ حَـقّـاً ... وَلَـيْـسَ بـأن تَـعَـالَـى أوْ رَئِـسْـتَـا
وَضَـافِـي ثَـوْبِـكَ الإحِـسـانُ لا أنْ ... تُـرَى ثَـوبَ الإسـاءةِ قَـد لَـبِـسْـتَـا
وَإنْ أَلْـقَـاكَ فَـهْـمُـك فـي مَـهَـاوٍ ... فَـلَـيْـتَـكَ ثـم لَـيْـتَـكَ مَـا فَـهِـمْـتَـا
إذا مـا لَـمْ يُـفِـدْكَ الـعِـلْـمُ خَـيْـراً ... فَـخَـيـرٌ مِـنْـهُ أنْ لَـوْ قَـدْ جَـهِـلْـتَـا
سَـتَـجْـنِـي مِـنْ ثِـمَـارِ الـلَّـهْـو جَـهْـلاً ... وَتَـصْـغُـرُ فِـي الـعُـيُـون إذا كَـبِـرْتَـا
وَتُـفْـقَـدُ إنْ جَـهِـلْـتَ، وأنـتَ بـاقٍ ... وَتُـوجَـدُ إنْ عَـلِـمْـتَ إذا فُـقِـدْتَـا
سَـتَـذْكُـرُ لِـلـنَّـصِـيْـحَـةِ بَـعْـدَ حِـيـنٍ ... وَتَـطْـلُـبـهَـا إذا عَـنـهَـا شُـغِـلْـتَـا
وَسَـوْفَ تَـعَـضُّ مِـنْ نَـدَمٍ عَـلـيـهَـا ... وَمَـا تُـغْـنِـي الـنَّـدَامَـة إنْ نَـدِمْـتَـا
إذَا أَبْـصَـرتَ صَـحْـبَـكَ فـي سَـمَـاءٍ ... وَقَـدْ رُفُـعـوا عَـلـيَـك، وَقَـدْ سَـفِـلْـتَـا
فَـراجِـعْـهَـا ودَعْ عَـنْـكَ الـهُـوَيْـنـا ... فَـمَـا بـالـبُـطءِ تُـدْرِكُ مـا طَـلَـبْـتَـا
وَلا تَـحْـفِـل بِـمَـالِـك، والْـهُ عـنـهُ ... فَـلـيـسَ الـمَـالُ إلا مَـا عَـلِـمْـتَـا
وَلـيـسَ لِـجَـاهِـلٍ فـي الـنَّـاس مَـغْـنَـيً ... وَلَـوْ مَـلْـكَ الأنـام لَـهُ تَـأتَّـى
سَـيَـنْـطِـقُ عـنْـكَ مَـالُـكَ فـي نَـدِيٍّ ... وَيَـكْـتُـبُ عـنـكَ يَـومَـاً إنْ كَـتَـبْـتَـا
وَمَـا يُـغْـنِـيْـك تَـشْـيـيـدُ الـمَـبَـانِـي ... إذا بـالـجَـهْـل دِيـنـك قَـدْ هَـدَمْـتَـا
جَـعـلـتَ الـمَـال فَـوقَ الـعِـلْـمِ جَـهْـلاً ... لَـعَـمْـرُكَ فـي الـقَـضِـيَّـةِ مَـا عَـدَلْـتَـا
وبَـيْـنَـهـمـا بِـنَـصِّ الـوَحْـي فَـرْقٌ ... سَـتَـعْـلَـمُـه إذا «طَـهَ» قَـرأْتَـا

لَـئِـنْ رَفَـعَ الـغَـنِـيُّ لِـوَاءَ مَـالٍ فَـأَنْـتَ لِـوَاءَ عِـلـمِـكَ قَـدْ رَفَـعْـتَـا
وَإِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلى الحَشَايَا فَأَنتَ عَلى الكَواكِبِ قدْ جَلَسْتَا
وَإِنْ رَكِـبَ الـجِـيَـادَ مُـسَـوَّمَـاتٍ فَـأَنـتَ مَـنَـاهِـجَ الـتـقْـوَى رَكِـبْـتَـا
وَمَـهْـمَـا افـتَـضَّ أَبـكَـارَ الـغَـوَانـي فَـكَـمْ بِـكْـرٍ مِـنَ الـحُـكْـمِ افْـتَـضَـضْـتَـا
وَلَـيْـسَ يَـضُـرُكَ الإقْـتِـارُ شَـيـئـاً إذا مَـا أنْـتَ رَبَّـكَ قَـدْ عَـرَفْـتَـا
فَـيَـامَـا عِـنْـدَهُ لَـكَ مِـنْ جَـزْيْـلٍ إذا بِـفِـنَـاءِ طَـاعَـتِـهِ أَنَـخْـتَـا
فَـقَـابِـلْ بِـالـقَـبُـولِ صَـحِـيْـحَ نُـصْـحِـي وإنْ أَعْـرَضْـتَ عـنـهُ فَـقَـدْ خَـسِـرْتَـا
وَإِنْ رَاعَـيْـتَـهُ قَـوْلاً وَفِـعْـلاً وَعَـامَـلْـتَ الإلـهَ بِـهِ رَبِـحْـتَـا
فَـلَـيْـسَـتْ هَـذِهِ الـدُنْـيـا بِـشـيءٍ تَـسُـوْؤكَ حِـقْـبَـة، وتَـسُـرُّ وَقْـتَـا
وَغَـايَـتُـهَـا إذا فَـكَـرْتَ فِـيـهَـا كَـفَـئِـكَ، أوْ كَـحُـلْـمِـكَ إنْ رَقَـدْتَـا
سُـجِـنْـتَ بِـهَـا وأنـتَ لَـهَـا مُـحِـبٌ، فَـكَـيفَ تُـحِبُّ مَـنْ فِـيهَـا سَـجِـنْـتَـا؟!
وَتُـطْـعِـمُـكَ الـطَّـعَـامَ وَعَـنْ قَـلِـيـلٍ سَـتُـطْـعَـمُ مِـنْـكَ مـا مِـنْـهَـا طَـعِـمْـتَـا
وَتَـعْـرَى إنْ لِـبِـسْـتَ بِـهَـا ثِـيَـابـاً وَتُـكْـسَـى إنْ مَـلَابِـسَـهَـا خَـلَـعْـتَـا
وَتَـشْـهَـدُ كُـلَ يـومٍ دَفْـنَ خِـلٍّ كَـأَنَّـكَ لا تُـرادُ بِـمَـا شَـهِـدْتَـا
وَلَـمْ تُـخْـلَـقْ لِـتَـعْـمُـرَهَـا، وَلَـكِـنْ لِـتَـعْـبُـرَهَـا، فَـجِـدَّ لِـمَـا خُـلِـقْـتَـا
وَإنْ هُـدِمَـتْ فَـزِدْهَـا أَنْـتَ هَـدْمـاً وَحَـصِّـنْ أمـرَ دِيـنِـكَ مَـا اسْـتَـطَـعْـتَـا
وَلا تَـحْـزَنْ لِـمَـا قَـد فَـاتَ مِـنْـهَـا إذَا مَـا أَنْـتَ فـي أخْـرَاكَ فُـزْتَـا
فَـلَـيْـسَ بِـنَـافِـعٍ مـا نِـلْـتَ مِـنـهَـا مِـنَ الـفَـانـي إذا الـبَـاقـي حُـرِمْـتَـا
وَلَا تَـضْـحَـكْ مَـعَ الـسُـفَـهَـاءِ جَـهْـلاً فَـإِنَّـكَ سَـوفَ تَـبْـكِـيْ إنْ ضَـحِـكْـتَـا
وَكَـيـفَ بِـكَ الـسُـرُورُ وأنـتَ رَهْـنٌ وَلا تَـدْرِي غَـداً أنْ لَـوْ غُـلِـبْـتَـا ؟!
وَسَـلْ مِـنْ رَبِّـكَ الـتـوفـيـقَ فِـيـهَـا وَأَخْـلِـصْ فـي الـدُعَـاءِ إِذَا سَـأَلْـتَـا
وَنَـادِ إذ سُـجِـنْـتَ بِـهِ اعْـتِـرافَـاً كَـمَـا نَـادَاهُ ذُو الـنُّـونِ بـنُ مَـتَّـى
ولازِمْ بَـابَـهُ قَـرْعـاً عَـسَـاهُ سَـيَـفْـتَـحُ بَـابَـهُ لَـكَ إنْ قَـرَعْـتَـا
وَأَكْـثِـرْ ذِكْـرَهُ فـي الأرضِ دَابـاً لِـتُـذْكَـرَ فـي الـسـمـاءِ إذا ذَكَـرْتَـا
وَلَا تَـقُـل الـصِّـبَـا فـيـه امْـتِـهَـالٌ وَفَـكِّـرْ، كَـمْ صَـغِـيـرٍ قَـدْ دَفَـنْـتَـا

وَقُلْ لِيْ: يَا نَصِيْحِيْ لأنْتَ أوْلىٰ بِنُصْحِكَ، إذْ بِعَقْلِكَ قَدْ عُرِفْتَا
فَتَعْذِلُنِي عن التَّفْرِيطِ يَوْماً وَبالتفريْط دَهْرَك قَد قَطَعْتَا
وَفي صِغَرِيْ تُخَوِّفُني المَنَايَا وَمَا تَجْرِيْ بِبَالِكَ حِيْنَ شِخْتَا
وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أهْدَى سَبيلا فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْتَا
وَهَا أنَا لَمْ أخُضْ بَحْرَ الخَطايا كَمَا قد خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا
وَلَمْ أشْرَبْ حُمَيَّاً أمِّ دَفْرٍ وَأنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا
وَلَم أحْلِلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ وَأنْتَ حَلَلتَ فِيهِ، وانْتَهَكْتَا
وَلَمْ أنْشَأْ بعَصرٍ فيه نَفْعٌ وَأنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ، فَمَا انْتَفَعْتَا
وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انتَبَهْتَا
وَقَدْ صَاحَبْتَ أعْلَاماً كَثِيراً فَلمْ أرَاكَ انْتَفَعْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا
وَيْقُبح بالفَتَي فِعْلُ التَّصَابِي وَأقْبُح مِنه شَيخٌ قَدْ تَفَتَّى
فَأنْتَ أحَقُّ بالتَفنِيدِ مِني وَلو سَكتَ المُسيءُ لَمَا نَطَقْتَا
فَنَفْسَكَ ذُمَّ، لا تَذْمُمْ سِوَاهَا بِعَيْبٍ، فَهي أجْدرُ إنْ ذَمَمْتَا
وَلو بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكِ خَوْفاً لِذَنْبِكَ لم أقُلْ لَكَ قَدْ أمِنْتَا
فَمَنْ لَكَ بالأمانِ وأنْتَ عَبدٌ أُمِرْتَ، فَمَا ائتَمَرْتَ، ولا أطَعْتَا
فَسِرْتَ القَهْقَري، وَخَبَطْتَ عَشْواً لَعَمْرُك لَوْ وَصِلْتَ لَمَا رَجَعْتَا
ثَقُلتَ مِنَ الذُنُوبِ، وَلَسْتَ تَخْشى لِجَهْلِكَ أنْ تَخِفَّ إذا وُزِنْتَا
وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ وَنَاقَشَكَ الحساب إذاً هَلَكْتَا
وَلَم يظْلمكَ فِي عَمَلٍ، وَلَكِنْ عَسِير أنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا
تَوَجَّعُ لِلْمُصِرِّ عَلى الخَطَايَا وَتَرْحَمُهُ، وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا
وَلو قَد جِئْتَ يومَ الفَصْل فَرداً وَأبْصرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
لأعْظَمْتَ النَدَامَة فِيهِ لَهْفاً عَلى مَا في حَيَاتِكَ قَدْ أضَعْتَا
تَفِرُّ مِنَ الهَجِيْرِ وَتَتَقِيْهِ فَهَلا مِن جَهَنَّم قَدْ فَرَرْتَا!!
وَلَسْتَ تُطيقُ أهْوَنَها عَذَاباً وَلَو كُنْتَ الحَدِيْدَ بِها لَذُبْتَا
وَلاَ تَكْذِبْ، فإنَّ الأمْرَ جِدٌّ وَلَيسَ كَمَا حَسِبْتَ، وَمَا ظَنَنْتَا

أَبَا بَكْرٍ، كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي ... وَمَا اسْتَعْظَمْتَهُ مِنْهَا سَتَرْتَا
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِن الْمَخَازِي ... وَضَاعِفْهَا، فَإِنَّك قَدْ صَدَقْتَا
وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي ... بِبَاطِنَتِي كأنك قَد مَدَحْتَا
ولا تَرْضَى المعائبَ فهي عَارٌ ... عَظِيمٌ، يُورِثُ الإنْسَانَ مَقْتَا
وَتَهْوَى بالوَجِيْهِ مِنَ الثُّرَيَا ... وَتُبدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تحتَا
كَذَا الطَّاعَاتُ تُبلِغُكَ الدَّرَارِي ... وَتَجْعَلُكَ القَرِيْبَ، وَإِنْ بَعُدْتَا
وَتَنْشُر عَنْكَ في الدُّنْيَا جَمِيْلاً ... فَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَا
وَتُمسِي فِي مَسَاكِنِهَا عَزِيْزاً ... وَتَجْنِي الحَمْدَ مِمَّا قَد غَرَسْتَا
وَأَنْتَ اليومَ لَمْ تُعْرفْ بِعَيْبٍ ... وَلَا دَنَّسْتَ ثَوبَك مُذْ نَشَأْتَا
وَلا سَابَقْتَ في مَيْدانِ زُورٍ ... ولا أَوْضَعْتَ فِيهِ، وَلاَ خَبَبْتَا
فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشَبْتَ فِيهِ ... فَمَنْ لَكَ بالخَلاصِ إذا نَشَبْتَا؟!
وَدُنِسَ مِنْكَ مَا طَهَّرْتَ حَتَّى ... كَأَنَّك قَبْلَ ذَلك مَا طَهُرْتَا
وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ ... وَكَيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَد أُسِرْتَا؟!
فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ، وَأَخْشَ مِنْهُمْ ... كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ والسَّبَنْتَا
فَخَالِطْهُم، وَزَايِلْهُم حِذاراً ... وَكُنْ كَالسَّامِرِي إذَا لُمِسْتَا
وَإِن جَهِلُوا عَلَيكَ فقُلْ: سلامٌ ... لَعَلَّكَ سَوفَ تَسْلَمُ إنْ سَلِمْتَا
وَمَنْ لَكَ بالسَّلامة فِي زَمَانٍ ... يُزِلُّ العُصْمَ إلاَّ إنْ عُصِمْتَا
وَلا تَلْبثْ بِحَيّ فِيهِ ضَيْمٌ ... يُمِيتُ القَلْبَ إلاَّ إنْ كُبِلْتَا
فَغَرِّبْ، فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ ... وَشَرِّقْ إنْ بِرِيْقِكَ قَد شَرِقْتَا
فَلَيسَ الزُهدُ في الدنيا خُمُولاً ... فَأَنْتَ بِهَا الأميرُ إذا زَهِدْتَا
فَلَو فَوقَ الأَمِيرِ يَكُونُ عَالٍ ... عُلُواً وارْتِفَاعاً كُنْتَ أَنْتَا
فَإِنْ فَارَقْتَهَا، وَخَرجْتَ مِنْهَا ... إلى دَارِ السَّلامِ، فَقَد سَلِمْتَا
وَإِنْ أكرمْتَها، وَنَظَرْتَ فِيهَا ... بِإجْلالٍ، فَنَفْسَك قَدْ أَهَنْتَا
جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائحَ فَامتَثِلْهَا ... حَيَاتَكَ، فَهْي أَفْضَلُ مَا امتَثَلْتَا
وَطَوَّلْتُ العِتَابَ، وَزِدْتُ فِيهِ ... لأنكَ في البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

فَلَا تَأخُذْ بِتَقْصِيرِي، وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إنْ رُشِدْتَا
وَقَد أرْدفْتُها سِتّاً حِسَاناً فَكانَا قَبْلَ ذا مِائةً وَسِتاً
وَصلى اللهُ ما أَوْرَقْ نِضَارٌ عَلى المختارِ في شَجَرٍ وَحَتَّا

اللهمَّ علمْنَا ما ينفعُنَا وأنفعنا بما علَّمتنا وبارك لنا في علومنا وأعمالنا وأعمارنا وأصلح نياتنا وذريتنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الأربعون: يا دنيا غري سواي

شعراً:

لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرّتْهُ دُنْيا دَنِّيةٌ وَمَا هِي أنْ غَرَّتْ قُرُوناً بِطَائِل
أَتَتْنَا عَلى زِيّ العَزيزِ بُثَينَةٍ وَزِيْنَتِها فِي مِثْل تِلْكَ الشَّمَائِلِ
فَقُلْتُ لَهَا غُرِي سِوَاي فَإِنَّني عَزوفٌ عَن الدنيا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
وَهَبْهَا أتَتْنا بالكُنوزِ وَدُرِّها وأمْوَالِ قَارونٍ وَمُلْكِ القَبائِلِ
أَليْسَ جَمِيعاً لِلفَناءِ مَصِيرُها وَيُطْلبُ مِنْ خُزّانِها بالطَّوائِلِ
فَغُرِّي سِوايَ إنَّنيْ غَيْرُ رَاغبٍ لِمَا فِيكِ مِنْ عِزٍ ومُلْكٍ وَنَائِل
وَقَدْ قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا قَد رُزِقْتُهُ فَشَأنَكِ يا دُنْيَا وأهْل الغَوَائِلِ
فإنِّي أَخَافُ اللهَ يَوْمَ لِقَائِهِ وَأَخْشَى عِقَاباً دَائِماً غَيْرَ زَائِلِ

اللهمَّ نَجّنا برحمتك من النار وعافنا من دار الخزي والبوار وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار وعاملنا بكرمك وجودك يا كريم يا غفار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الأربعون في الزهد

للإمام الحافظ السيوطي

الحديث الأول

عن أبي سعيد الخدري قال: جَلَسَ رَسُول الله ﷺ علىٰ المَنْبَر وَجَلَسْنَا حَوْلَه فَقَال: « **إنَّ مّما أَخَافُ عَلَيْكُم بَعْدي مَا يُفْتَح عَلَيْكُم مِنْ زَهْرةِ الدُنّيا وَزِينَتَهَا** ».

فَقَالَ رَجلٌ: أَوَ يَأتي الخَيرُ بالشّر يَا رَسُول الله؟

فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ فقيل له: مَا شَأْنُك؟ تُكَلِم رَسُولَ الله وَلاَ يُكَلّمكَ؟

قَالَ: وَرأينا أنَّه يَنْزلُ عَليه، فَأَفاقَ يَمْسَحُ عَنْهُ "الرَّحَضاء"[1] وَقَالَ:

«**أينّ هَذا السَائِلَ؟**» وَكَأَنّهُ حَمَدَهُ.

فقال: إنّهُ لا يَأتِي الخَيْرُ بالشِّر. وفِي رِواية قَالَ: «**أَين السَّائل آنفاً** »؟

أو خَيْرُ هو؟ ثلاثاً، الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنّ مما يُنْبتُ الرّبيعُ (يَقْتِلُ أو يُلِمْ إلاّ) أكَلَة الْخَضِر فإنّها أكَلَتْ حَتى امْتَدتْ خاصرتَاهَا اسْتَقْبَلتْ عَينَ الشَّمْسِ فَثلَطتْ وَبالَتْ ثُمَّ رَتَعت، وإِنَّ هَذَا المَالَ خَضرةٌ حلوة، وإنه نِعْمَ صَاحِبُ المُسِلم هُوَ لِمَن أعْطَىَ مِنْهُ المِسْكِين وَاليَتِيم وابْنَ السَبِيل، أو كَمَا قَالَ رَسُول الله ﷺ وإنَّه مَنْ يَأخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِهِ، كَانَ كَالَذِي يَأكُلُ وَلاَ يَشْبَع، وَيَكُون عَلَيهِ شَهِيداً يَوْمَ القِيَامةِ.

وفي رواية: « **أَخْوَف مَا أَخَافُ عَليكُم مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَة الدّنْيَا** ».

قَالَوا: وَمَا زَهْرةُ الدّنيَا يَا رَسُول الله؟

قَالَ: « **بَرَكَاتُ الأرضِ** » وَذَكَر الحديث وفي آخره:

« **فَمَنْ أَخَذهُ بِحَقّه وَوَضَعَه فِي حَقّه فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هو، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقّه كَانَ كَالذّي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَع** ».

أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية أخرى لمسلم بنحوه وأخرجه النسائي

---

(١) في الأصل: الوحظ، أو الرحظ والمثبت في صحيح مسلم، ومن شرح المؤلف في آخر الحديث.

مثلهما.[(١)]

زهرة الدنيا: حسنها وبهجتها.

الرحضا: بضم الراء وفتح الحاء المهملتين والضاد المعجمة والمد: العرق الكثير.

فعلت الشيء آنفاً: أي قريباً.

خبطاً. بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة: ما أخرجه من خبط بطنه إذا انفتح وهلك.

يلم: مضارع (لَمَّ) به إذا قاربه ودنا منه، يعني: أو يقرب من الهلاك.

الخضر: ضروب من النبات الكائن في الغيط. والنعم لا تستكثر منه، وإنما ترعاه، ولا ترعى غيره، وواحدة الخضر: خضرة.

ثلط: البعير يثلط إذا ألفى رجيعه سيلا رقيقاً وفي هذا الحديث مثلان:

أحدهما: (للمفرط)[(٢)] في جمع الدنيا.

والثاني: (للمقتصد)[(٣)] في أخذها والانتفاع بها.

فأما قوله: وإن مما ينبت الربيع ينبت البقول، فتستكثر الماشية منه لاستطابتها إياه، حتى تتفتح بطونها عند مجاوزتها (حد)[(٤)] الاحتمال، فتنتشق اعضاؤها من ذلك فتهلك، أو تقارب الهلاك، وكذلك الذي يجمع من غير حقه، ويضعه في غير حقه يعرض نفسه للهلاك في دنياه وآخرته.

وأما مثل المقتصد فقوله: إلا آكلة الخضر، وذلك أن الخضر ليس من جيد البقول الحسنة الناعمة الناتئة في الربيع؛ لكنه من الجنبة التي ترعاها (المواشي بعد

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢) كلاهما من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.
والنسائي في الكبرى (٢٣٦٢) وأحمد في المسند (٣/ ٧) وابن حبان في صحيحه (٣٢٢٧) من طريق عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري بنحوه مرفوعاً.
والحميدي في مسنده (٧٤٠) وجامع الجوامع (٦١٤٤). والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٣٥٤) والدر المنثور للتفسير بالمأثور للسيوطي (٦/ ٨) وحلية الأولياء (٧/ ٣١١).

(٢) في الأصل: (للمفرد) والذي أثبته هو الأصوب من مصادر التخريج.

(٣) في أصل المخطوط (المفتك) والصواب المثبت، لدلالة السياق، وما بعده.

(٤) مطموسة من الأصل، والمثبت من الشروح ومصادر التخريج.

هيج)[1] البقول، حيث لا تجد سواها، فلا تكثر من أكلتها. فضرب آكلة ذلك من الماشية مثلاً لمن يقتصد في جمع الدنيا وآخذها، ولا يحمله الحرص علىٰ أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر، بأن ثلطت وبالت فزال عنها الخبط.

بركات الأرض: ما يخرج من نباتها.[2]

---

(١) مطموسة من الأصل والمثبت من الشروح ومصادر التخريج.

(٢) قد شرح الحديث المصنف رحمه الله في كتابه الديباج، بتفصيل أدق، وسأنقله بتمامه لعظيم الفائدة المرجوة من ذلك الشرح.

قال رحمه الله: "زهرة الدنيا": زينتها وما يزهر منه، مأخوذ من زهرة الأشجار، وهو: ما يصفر من نوارها.

والنوار: هو الأبيض منها، هذا هو قول ابن الأعرابي، وحكى أبو حنيفة أن الزهر والنوار سواء.

وقد فسرها ﷺ بأنها بركات الأرض أي ما تزهر به الأرض من الخيرات والخصب.

أيأتي الخير بالشر: سؤال من استبعد حصول شر من شيء سماه رسول الله ﷺ بركات.

أو خير هو؟ بفتح الواو وهي العاطفة، دخلت عليها همزة الاستفهام للإنكار علىٰ من توهم أنه لا يحصل منه شراً أصلاً، لا بالذات ولا بالعرض. قاله القرطبي.

إن كل ما ينبت الربيع: هو الجدول الذي يسقى به.

والجدول: هو النهر الصغير الذي ينفجر من النهر الكبير.

يقتل حبطاً: بفتح الحاء المهملة، والباء الموحدة وهي التخمة والانتفاخ يقال حبطت الدابة إذا انتفخت من كثرة الأكل.

أويلم: يقارب القتل: إلا بكسر الهمزة وتشديد اللام علىٰ الاستثناء علىٰ المشهور ورواه بعضهم بالفتح والتخفيف علىٰ الاستفتاح.

آكلة: بهمزة ممدودة. الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد.

كلأ الصف: قال الأزهري. هو هنا. ضرب من الجنة وهي من الكلأ ما له أصل غامض في الأرض، واحدتها خضرة، ووقع في رواية العذرى إلا آكلة الخضرة: بفتح الخاء وكسر الضاد علىٰ الفراء وعند الطبري بضم الخاء وسكون الضاد.

ثلطت: بفتح الثاء المثلثة أي: ألفت الثلط، وهو: الرجيع الرقيق وأكثر ما يقال للأبل والبقر والفيلة.

ثم اجترت: أي مضغت الجرة بكسر الجيم. وهي ما يخرجه البعير من بطنه، ليمضغه ثم يبتلعه.

فمن يأخذ مالاً بحقه إلىٰ آخره: قال الأزهري: هذا الخبر إذا تدبر لم يكد يفهم، **وفيه مثلان،** فضرب أحدهما للمفرط في جميع الدنيا، ومنعها من حقها، وضرب الآخر **للمقتصد في** أخذها والانتفاع بها.

ومما يدل لزهد السلف في الدنيا وخوفهم منها:

ما ورد عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: أُتي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكان في برده وإن غطى رأسه برزت رجلاه وإن غطت رجلاه بدا رأسه.

وقتل حمزة وهو خير مني وروى أو رجل آخر. شك إبراهيم. فلم يجد ما

= فإنه قوله: وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً، فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق، وذلك أن الربيع ينبت أجرار البقول التي ينبتها الربيع، لكنها في الجنبة التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول.

فضرب النبي ﷺ آكلة الخضر من المواشي مثلا لمن يقتصد في أخذه الدنيا وجمعها، ولا يحمله الرضى علىٰ أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها، كما نجت آكلة الخضرة، ألا تراه ﷺ قال: «فإنها إذا أصابت من الخضر استقبلت عين الشمس ثلطت وبالت»، أراد أنها إذا شبعت منها بركت مستلقية الشمس لتستمرئ بذلك ما اختلط ويجتر وتثلط، وإذا ثلطته فقد زال عنها الحبط، وإنما الماشية لأنها لا تثلط ولا تبول . هذا كلام الأزهري .

وقال النووي: معنى الحديث: أنه ﷺ حذرهم من زهرة الدنيا، وخاف منها فقال.

ذلك الرجل إنما يجعل ذلك لنا منها من جهة مباحة لغنيمة وغيرها، وذلك خير وهل يأتي الخير بالشر، أي يبعد أن يكون الشيء خيراً ثم يترتب عليه الشر فقال النبي ﷺ «أما الخير الحقيقي فلا يأتي إلا بخير، أي لا يترتب عليه إلا خير ثم قال أو خير هو؟ ومعناه: أن هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير، وإنما هو فتنة، وتقديره الخير لا يأتي إلا بخير، ولكن ليس هذه الزهرة بخير لما تؤدي إليه من الفتنة والمنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال إلىٰ الآخرة.

ثم ضرب لذلك مثلاً فقال ﷺ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً بالتخمة وكثرة الأكل، =

= أو يضرب القتل، إلا إذا اقتصر علىٰ اليسير الذي تدعو إليه الحاجة تحصل به الكفاية المقتصدة، فإنه لا يضر وكذا المثال كنبات الربيع مستحسن تطلبه النفوس وتميل إليه فمنهم من يستكثر منه، ويستغرق صارفاً له في وجوهه فهذا يهلكه أو يقارب اهلاكه، ومنهم من يقتصد فيه ولا يأخذ إلا يسيرا وإن أخذ كثيراً فرقه في وجوهه كما تثلط الدابة. انتهى .

الرُحضاء: بضم الراء وفتح الحاء المهملة وضاد معجمة، وقد العرق، وأكثر ما يسمى به عرق الحمى.

أين هذا السائل: وفي رواية: أنى، بمعنى أين وفي رواية إن أي إن هذا هو السائل الممدوح الحاذق الفطن قاله النووي .

وإن مما ينبت الربيع: قال النووي رواية كل تحمل علىٰ هذه، ولا يكون كلاهما يوم القيامة.

قال القرطبي: يحتمل البقاء علىٰ ظاهره وهو أن يجاء بماله يوم القيامة ينطق بما فعل فيه كما جاء في مال مانع الزكاة، أو يشهد عليه الموكلون بكتب الكتب والإنفاق وإحصاء ذلك .

يكفن به إلا برده، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا.

ثم جعل ﷺ يبكي حتى ترك الطعام. أخرجه البخاري [١].

الحديث الثاني

عَن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: « **مَا يَسُرّنِي أَنَّ لِي أُحُداً ذَهَباً، يَأْتِي عَلَيَّ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إلاّ دِينَارٌ فَأدَخِره لِدَيْنِ** ».

أخرجه مسلم في صحيحه [٢].

الحديث الثالث

عَنْ أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : « **حُبُّ الدِينَار رَأسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَحُبُّكَ الشيء يَعْمِي وَيصُم** »[٣] أخرجه رزين.

---

(١) البخاري في صحيحه (١٢١٥/ ٣٨١٩) عن حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٩١) من حديث الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة به مرفوعاً.
وأخرجه البخاري (٦٨٠١) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ.
وعند مسلم أيضاً (٩٤).
وابن حبان من حديث معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر (٣٣٢٦).
وابن ماجة (١٧٨٧) من حديث عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل عن شهاب حدثني خالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال: خرجت مع عبد الله بن عمر
وابن لهيعة ضعيف الحديث.
وبلفظ: «ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً».
شرح السنة للبغوي (١/ ٩٩) والفتح (١٠/ ٢٦٨) وابن كثير في البداية والنهاية ٨٤.
وبلفظ: «ما يسرني أن لي أحداً».
البخاري في الأدب المفرد (٨٠٣) والسلسلة الصحيحة للألباني (٧٣٩)
١- وبلفظ: (ما يسرني أن لي أحداً ذهبا يأتي علىٰ ثلاث وعندي منها دينار.
أحمد في المسند (٢/ ٤٦٧) وإتحاف السادة المتقين(٨/ ٢١٦) والشفا للقاضي عياض (١/ ٢٠٣) وكنز العمال للمتقى الهندي.

(٣) إسناده لا يصح مرفوعا لم أعثر عليه من حديث أنس، وأما حديث الحسن مرسلا بشطره الأول فقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٠) من حديث ابن أبى الدنيا قال: حدثنا=

وأخرجه البيهقي في الشعب شطره الأول عن الحسن مرسلاً.

الحديث الرابع

عَنْ جَابر ﷺ قَالَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بالسُّوق. دَاخلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالية وَالنَّاسُ كَنفَتَيه، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّت فَتَنَاوَلُه فَأَخذَ بِأُذُنِه، ثُمَّ قَالَ ﷺ: « **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ** » ؟

فَقَالوا يا رسول الله ، مَا نُحبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَىءٍ ومَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ إنه لو كَان حَياً كَان عَيْباً أنه أصك.

قال: « **فَوَالله لَلدُّنيا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ تَعَالى مِنْ هَذَا عَلَيْكُم** » أخرجه مسلم وأبو داود.

= سريج بن يونس قال : ثنا عباد بن العوام عن هشام أو عوف عن الحسن قال ﷺ : « حب الدينار رأس كل خطيئة».

. وأما شطره الثاني فهو مروى من حديث أبى الدرداء أخرجه أبو داود (٥١٣٠) والطبراني في مسند الشاميين (١٤٦٨) من حديث بقية بن الوليد .

والطبرانى في الأوسط (٤٣٥) .

والقضاعي في مسند الشهاب (٢١٩) من طريق عن يحيى بن عبد الله البابليتى.

. والبيهقى في الشعب (٤١١) من حديث ابن المبارك ثلاثتهم عن أبى بكر بن أبى مريم عن خالد بن محمد الثقفى عن بلال بن أبى الدرداء ، عن أبى الدرداء عن النبي مرفوعا وأبو بكر ابن أبى مريم ضعيف جداً.

قال حرب بن إسماعيل: سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن أبى بكر بن أبى مريم فقال: "ضعيف، كان عيسى لا يرضاه" .

. قال أبو عبيد الآجري عن أبي داود سمعت أحمد يقول " ليس بشيء" .

. وقال أبو حاتم سألت يحيى بن معين عن أبي بكر بن أبي مريم فضعفه .

. وقال أبو زرعة الرازي: ضعيف ، منكر الحديث .

والحديث أخرجه البيهقي أيضاً في الشعب (١٢٢٤) من حديث يزيد بن هارون أنا حريز بن عثمان عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه قال: حبك يعمي ويصم.

وكذا رواه سعيد بن أبي أيوب عن حميد بن مسلم الدمشقي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه موقوفاً.

. قلت: وأخرجه البخاري في التاريخ (١٨٥٣) قال: بلال بن أبي الدرداء الأنصار أمير الشام قال لي محمد ابن عبيد الله: بسنده .

قال أبو الدرداء: " حبك الشيء يعمي وصم "

وهنا يشير البخاري أنه موقوف علىٰ أبي الدرداء .

كنفة الرجل: جانباه وحواليه.

الأصك: من تصكك ركبتاه عند المشي وعرف ذلك بعد الموت بانجراد شعر ركبته من محل الاصطكاك هكذا أورده الحميدي بالصاد، وتكلم عليه بما ذكر، والذي جاء في حديث مسلم وأبي داود: أسك بالسين، والأسك الصغير الأُذن[١].

ما أرشد إليه الحديث:

أولاً: أرشد الحديث إلىٰ قلة شأن الدنيا، ودنو منزلتها عند الله تعالىٰ، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت كذلك ما سقى منها كافر.

ثانياً: ضرب ﷺ المثل الرائع لحقيقة الدنيا، وحقارتها بأنها لا تساوي هذا الجدي الأصك المريض، والذي فيه عيب، بحيث لو كان حياً لزهد فيه الناس وما كان لهم فيه مأرباً ولا استشرفوا لتملكه وكذا حال الدنيا.

ثالثاً: ذلك الدرس الرائع منه ﷺ وهو أنه استفاد ﷺ من حادث عارض، أو شيء لا يلتفت إليه الناس، وقد يرونه كل يوم، إنما أراد النبي ﷺ تعليمهم وفي ذلك الدرس العظيم للاستفادة من آيات الله تعالىٰ في الكون صغرت أم كبرت، وأخذ العبرة منها.

رابعاً: المراد بقوله ﷺ «والناس كنفتيه» عن يمينه وعن يساره، والمراد سيرهم بجواره ﷺ.

الحديث الخامس

عَنْ المَسْتَورد بن شَدَّادٍ قَالَ: كُنْت مَعَ الرَّكْبِ الذينَ وَقَفُوا مع النبي ﷺ عَلَى السَّخْلَةَ المَيِّتَة، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِين ألقوها**».

قالوا: مِنْ هَوَانِها أَلْقَوهَا يَا رَسُول الله.

قَال: «**فَالدُّنيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِن هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا**» أخرجه الترمذي[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٧٥) والمقدمة للزهد، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٩) والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٢) أحمد (٤/ ٢٣٠) والدارمي (٢/ ٣٠٦).

(٢) اسناده ضعيف: وهذا اللفظ: هو لفظ الترمذي (٤١١١).
ولفظ عند أحمد (٤/ ٢٢٦) وكذا الطبراني في الكبير (٧٢٣) كلهم من حديث حماد عن مجالد ابن قيس بن أبي حازم عن المستورد مرفوعاً.
وللحديث ألفاظ أخرى نذكرها ثم نذكر علة ضعف الحديث.

=

الحديث السادس

عَنْ قَيْسٍ بْن أَبى حَازم قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتورد أخا بَني فِهْرٍ وَهو يَقُول: قَالَ رَسُول الله ﷺ: « **مَا الدُّنْيَا في الآخِرةَ إلا مِثْلُ مَا يَجْعَلَ أَحَدُكُم إِصْبعهُ هَذِه. وَأَشَارَ يَحْيَى بالسَّبابَة. فِي اليَمِّ ، فَلْيَنْظُر بِمَا يَرْجِعُ** ».

أخرجه مسلم والترمذي.[1] اليم: البحر.

= بلفظ: «أترون هذه هينة علىٰ أهلها؟ للدنيا أهون . . . . »

أحمد في المسند (٢/ ٣٣٨) (٤/ ٢٢٩) (٢٣/ ٢٣٦) ومجمع الزوائد للهيثمي (١/ ٢٣٥) (١٠/ ٢٨٧).

وشرح السنة للبغوي (١٤/ ٢٢٧).

وبلفظ آخر عند ابن ماجة: « أترون هذه هينة علىٰ صاحبها للدنيا أهون . . . . ».

ابن ماجة (٤١١٠) إتحاف السادة المتقين (٨/ ٨) للزبيدي.

وبلفظ: « أترون هذه الشاة هينة علىٰ أهلها ».

. عند الزبيدي اتحاف السادةالمتقين (٨/ ٣٩).

وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٧٢) وكنز العمال للمتقى الهندي (٦٢٠٢) والدر المنثور للتفسير بالمأثور للسيوطي (٣/ ٢٣٨) والمغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (٣/ ٩٧).

وبلفظ: « أترون هذه الشاة هينة علىٰ صاحبها ».

. عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦).

ما سبق معظم ألفاظ الحديث وتخريجه من كتب الحديث.

وعلة ضعف الحديث:

. هو مجالد بن سعيد، وهو ضعيف الحديث.

قال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه، وكان عبد الرحمن مهدي لا يروى عنه.

وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً يقول ليس بشيء.

وقال عباس الدوري: نقلاً عن يحيى بن معين لا يحتج بحديث.

وقال يحيى بن معين أيضاً: ضعيف.

. العلة الثانية للرواية: مسند الطبراني: (٥٣٦١) أخرجه من حديث وهب بن يحيى بن ذمام، ثنا روح بن عطاء حدثنا حفص بن سليمان عن عطاء بن أبي ميمونة حدثنا عن أبي بردة عن أبي موسى بنحوه مرفوعاً وقال: لا يروي هذا الحديث عن أبي موسى إلا بهذا الإسناد تفرد به وهب بن يحيى بن ذمام.

. وعلة هذا الإسناد: روح بن عطاء. تركه ابن معين وضعفه، وقال أحمد منكر الحديث وقال النسائي: ضعيف، وقال الدارقطني ليس بشيء.

وعلى هذا سند الحديث ضعيف.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٥٨) بلفظ: « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه . . . ». =

الحديث السابع

عَنْ سَهْل بن سَعْد: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : «**لَوْ كَانت الدُّنيا تَعْدلُ عِنْد الله جَنَاح بَعُوضةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**».

أخرجه الترمذي، وهو صحيح[1].

= وهذا اللفظ : عند أحمد (٤/ ٢٢٩) وذكره الحافظ ق الفتح (١١/ ٢٣٢) وللحديث ألفاظ أخرى:

. منها : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم».

عند الترمذي (٢٣٢٣) والبغوي شرح السنة (١/ ٥٦١) والقرطبي (٤/ ٣٤٠) وابن كثير (٤/ ٩٤) (٣٧٥) (٦/ ١٥٥) والطبقات لابن سعد (٦/ ٤٠) والحميدى في مسنده (٨٥٥)

. ولفظ آخر: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم.

عند المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٤) وزاد المسير (٣/ ٣٢٧).

وبلفظ أخر: ما الدنيا في الآخرة : إلا كما يضع إصبعه في اليم » .

عند الشجرى الأمالي (٢/ ١٦٠) .

. ولفظ آخر : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلىٰ اليم» .

الحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٩) الدر المنثور (٣/ ٣٢٧) إتحاف السادة المتقين (٨/ ١١٣) كنز العمال (٦١٣٦) والمغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢١٢).

. ولفظ آخر: « ما الدنيا الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم » .

الترمذي (٢٣٢١) وكنز العمال (٦١٣٨) .

(١) إسناده حسن:

. أولاً : ألفاظ الحديث وتخريجها :

ـ بلفظ المصنف: لا تعدل : عند الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٨) وصحح الألباني هذا الطريق (٦٨٦/ ٩٤٣) كما سيأتي بيانه.

. بلفظ: «لو كانت الدنيا تعدل جناح . . . » عند ابن عدي (٥/ ١٩٥٦) .

. بلفظ: لو كانت الدنيا تساوى عند الله . . . » زاد المسير للتفسير للسيوطي (٧/ ٣١٤).

. وبلفظ: « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح . . . . » ابن ماجة (١٠/ ٤) والدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٧) والمطالب العالية (٣١٧٢) والخطيب في تاريخه (٤/ ٩٢) والبغوي (٦/ ١٣٥) والقرطبي في تفسيره (٦/ ٤١٥/ ١٦ : ٨٨).

ثانياً طرق الحديث:

. طريق الطبراني وابن ماجه، وكذا الحاكم (٧٨٤٧) والبيهقي من حديث زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد به مرفوعاً .

. وطريق الترمذي (٢٣٢١) وابن عدي (٥/ ٣١٩) من حديث عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم .

وكلا الطريقين لا يصحا . =

الحديث الثامن

عَنْ قَتَادة بن النُّعْمَان قَالَ: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً حَمَاهُ**

= . فعبد الحميد بن سليمان أخو فليح .
قال فيه أحمد: ما أدري إلا أنه كان أرى به بأساً .
. وقال ابن المديني: هو وأخوه ضعيفان .
. وقال أبو داود : ثقة وفي موضع آخر قال: « ليس بثقة».
وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين ليس بشيء.
طريق آخر للحديث: وهو طريق ابن عمر
عند القضاعي (١٤٣٩) والخطيب (٤/ ٢٩) من حديث علي بن عيسى بن المثنى ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن أبي عون ثنا مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.
وعلة الحديث أن أحمد بن عون أبو جعفر لم يسمع من مصعب. قاله الخطيب ثم قال: هذا غريب جداً .
طريق ثالث: هو طريق أبي هريرة ، عند القضاعي (مسند الشهاب) (١٤٤٠) والخطيب (١/ ٤١٧) من حديث علي بن حجر، ثنا محمد بن عمار اليماني عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة بنحوه مرفوعاً .
وعلة هذا الطريق:
صالح مولى التوأمة ضعيف .
. قال بذلك ابن عيينة: قال هو مختلط .
يحيى بن سعيد قال فيه: لم يكن بثقة.
وقال مالك: ليس بثقة.
وقال النسائي: ضعيف .
وأبو حاتم: ليس بقوي .
وما وثقه إلا يحيى بن معين، فعن أحمد بن سعيد بن أبي مريم قال سمعت يحيى بن معين يقول: صالح مولى التوأمة ثقة حجة، قلت له إن مالكاً ترك السماع منه فقال إن مالكاً إنما أدركه بعد أن كبر وخرف، وسفيان الثوري إنما أدركه بعد أن خرف فسمع منه سفيان أحاديث منكرات ولكن ابن أبي ذؤيب سمع منه قبل أن يخرف .
قلت: والحديث حسن. وإليك الأدلة:
الأول: طريق الخطيب والقضاعي أثبت يحيى بن معين السماع لابن أبي ذؤيب قبل أن يخرف صالح .
الثاني: له شواهد عدة .
منها: طريق ابن عمر عند الخطيب .
قال الخطيب: غريب جداً من حديث مالك إلا علم رواه غير أبي جعفر عن أبي عون عن أبي مصعب وعنه عن علي بن عيسى الماليني وكان ثقة .
=

الدُّنيا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمى سَقيمَهُ الْمَاءَ» أخرجه الترمذي، وهو حسن صحيح[(١)].

الحديث التاسع

عَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : « **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً أَغْلَق عَلَيهِ أُمُور الدُّنيا، وَفَتَحَ لَهُ أُمُور الآخِرَة** » **أخرجه الديلمي** [(٢)].

الحديث العاشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنيا** » أخرجه الترمذي وهو حسن صحيح[(٣)].

= قال الألباني: " وأبو مصعب اسمه أحمد بن أبي بكر الزهري المدني وهو ثقة الصحيحة ١/ ٢٣) (٩٤٣) .

. وذكر له الألباني شاهد آخر من حديث ابن عباس مرفوعاً .

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٤) من طريق الحسن بن عمارة عن الحكم عن مجاهد عنه وقال غريب من حديث الحكم لم نكتبه إلا من حديث الحسن عنه.

وطريق آخر عند ابن المبارك في الزهد (٥٠٩) .

وطريق رابع أيضاً عند ابن المبارك (٦٢٠) الزهد من حديث السائب الأسدي .

قلت: وعلىٰ ذلك فالحديث حسن، وكذا قال شعيب الأرناؤوط في تخريج رياض الصالحين (٤٧٧) .

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٠٣٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٩) والطبراني في الكبير (٢٩٨٤) ومشكاة المصابيح (٥٢٥٠) وكنز العمال للمتقى الهندي (٦٠٦٨/ ١٦٥٩٧) وابن حبان (٢٤٧٤) والترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ١٣٢) .

من حديث إسماعيل بن جعفر عن عمارة بن غزية عن عاصم بن عمر عن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان مرفوعاً فذكره .

وروى مرسلاً عن طريق محمود بن لبيد عن النبي أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو عن عاصم عن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ بنحوه .

. وذكره الترمذي: أن محمود بن لبيد قد أدرك النبي ﷺ ورآه وهو غلام صغير.

. وعند الطبراني متابعة هامة: (٤٢٩٦) الكبير رواه إسماعيل بن عياش عن محمد بن أبي إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج مرفوعاً إلىٰ النبي ﷺ.

وعلى ذلك فالحديث / صحيح / رجاله ثقات . وصححه الألباني في المشكاة (٥٢٥٠) .

(٢) **ضعيف**: عند الديلمي مسند الفردوس (١/ ١٤٧) والحديث في كنز العمال للمتقي الهندي (٣٠٧٧١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٦) .

(٣) **إسناده لا بأس به**: =

الضيعة ـ هاهنا ـ المعيشة والحرفة التي يعود الإنسان بحاصلها علىٰ نفسه.

الحديث الحادي عشر

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا زويت الدُّنيا عَنْ أَحدٍ إلا كَانَتْ خِيرَة لَهُ»**[١]. أخرجه أبو سعيد السمان في مشيخته والديلمي في مسند الفردوس.

الحديث الثاني عشر

عن أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسول الله ﷺ: **« مَا سَكَن حُب الدُّنْيَا قَلْبَ عَبْدٍ إلاَ ابْتَلاَهُ الله بِخِصَالٍ ثَلاَث، بِأَمل لاَ يُبلغُ مُنْتَهَاهُ وَفَقْرٌ لاَ يُدْرِكُ غنَاهُ، وشُغْلٍ لاَ يَنْفَكُ عَنْهُ »**[٢].

= رواه أحمد (١/ ٣٧٧) ، (٤٢٦/ ٤٤٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٢) والترمذي (٢٣٢٨) وابن حبان في صحيحه (٤٧١) والحميدي في مسنده (٨/ ١٢٢) والمصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٣٤١) واتحاف السادة المتقين (١٤٧) ومشكاة المصابيح (٥١٧٨) وكنز العمال (٦١٥٢) كلهم عن شمر بن عطية عن المغيرة بن سعد من الأخرم عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ.

قلت: المغيرة بن سعد ذكره ابن حبان في الثقات، والعجلي في الثقات.

وسعد الأخرم لم يوثقه سوى ابن حبان وتردد فيه فأدخله في الصحابة ثم في ثقات التابعين.

وله شاهد من رواية ليث عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.

وهو عند الطبراني في الكبير وعلىٰ ذلك فالحديث صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢).

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وذكره صاحب الفيض (٥/ ٤٤٩) وأبو سعد في معجم شيوخه، ذكره الرافعي في التدوين (٣/ ٤٠٧).

وكلهم من حديث أحمد بن عمار عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.

وذكره صاحب كنز العمال المتقى الهندي (٦٦٤١) بلفظ " كان خيراً له ".

وعلة الضعف في الحديث: أحمد بن عمار ضعيف أورده الذهبي ذيل الضعفاء وقال لا يعرف، وله عن مالك خير موضوع.

وابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (١/ ٨٢) وقال الدارقطني متروك. والخطيب قال: مجهول.

وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٤٤٦).

(٢) **ضعيف**: والحديث أخرجه الخطيب في تاريخه (٣/ ٣٣٦) والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٢٨٥).

قال حدثنا أبو القاسم علي بن الحسن بن محمد المتتاب الدقاق وأبو محمد بن الحسن بن علي قالا نبأنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد بن يزيد بن أبي عزة العطار حدثني محمد =

الحديث الثالث عشر

عَنْ ابن عَباس قَالَ: دَخَل عُمر علىٰ رَسُول الله ﷺ ، وَهُو عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّر فِي جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا رَسُول الله لَوْ اتَّخَذْتَ فِراشاً، أَوْثَرَ مِنْ هَذا قَالَ: « **مَا لِي وللدُّنيا وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَل الدُّنيا إلا كَرَاكِب سَارَ فِي يوم صَائِفٍ فَاسْتَظَل تَحْتَ شَجَرةٍ سَاعَة مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَهَا** »[1].

حديث صحيح أخرجه جمع منهم: ابن حبان في صحيحه.

= ابن وصيف السامري قالا حدثنا بكر ابن سعيد قال: حدثنا حفص بن واحد حدثنا أبو سهل عن عمران العمي عن أبي سعيد الاسكندري قال: قال رسول الله ﷺ « ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط إلا التاط منها . . . . » الحديث

قلت: وهناك أكثر من علة في الحديث:

الأولى: غرابة الإسناد حفص بن واقد له أحاديث منكرة قاله ابن عدي .

الثاني: الجهالة: فأبو سعيد الاسكندري مجهول .

الثالث: سعدان وبكران ليس لهما ترجمة. ولم اعثر علىٰ ترجمة لهما وهذه جهالة أخرى .

وعلى ذلك فالحديث ضعيف، ولا تغتر بتوثيق ابن حبان لعمران بن عمى فالسند فيه مجاهيل، وأما عمران ضعفه القطان فقال: كتب عنه أحاديث ثم رميت بها .

(١) **صحيح**: وللحديث ألفاظ عديدة:

الأول: ما لي وللدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ذكره الحافظ في الفتح (٢٩٢/١١) .

الثاني: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة " الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٨) .

الثالث: بلفظ " إلا كراكب استظل بظل شجرة " الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ١٩٨) والأمالي للشجري (٢/ ٢٠٨).

الرابع: " مالي وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب . . .

أحمد في المسند (١/ ٣٩١) وحلية الأولياء (٢/ ١٠٢) .

الخامس: بلفظ " إلا كراكب سار في يوم صائف . . "

البداية والنهاية (٥/ ٢٨٤) وصححه الألباني (٤٣٩) .

السادس: " ما لي وللدنيا ومال الدنيا ومالي .ز "

الدارمي في سننه (٢/ ٥٤) إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٠٩) كنز العمال (٦٣٦١) وابن حبان في صحيح (٢٥٢٦) والمغني عن حمل الأسفار للعراقي (٣/ ٢١٠) ، والحديث صححه الألباني (٤٣٨/٤٣٨) .

الحديث الرابع عشر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **الدُّنْيَا حَرامٌ عَلَىٰ أَهْلِ الآخرةِ، والآخرةُ حَرامٌ عَلىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا، والدُّنْيَا والآخرة حَرَامَانِ علىٰ أهْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** »(١).

أخرجه الديلمي، والمراد بالتحريم أن أهل الآخرة يعدون الدنيا كالمحرمة عليهم، وأهل الله تعالىٰ يعدون الدارين كذلك، وأما تحريم الآخرة علىٰ أهل الدنيا: فالمراد به الحرمان، إما بالكلية لغير المؤمنين، وإما حرمان كمال فيها لمن لم يرده الله له.

الحديث الخامس عشر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَة مَنْ اكْتَسَب فِيهَا مَالاً مِنْ حِلِهِ وأنْفَقَهُ فِي حَقِهِ أَثَابَهُ اللَّهُ عَليه وَأَوْرَده جَنَّتَهُ، وَمَنْ اكْتَسبَ**

---

(١) **موضوع**: الديلمي في مسند الفردوس، والمتقي الهندي كنز العمال (٦٠٧١) وكشف الخفا للعجلوني (١/ ٤٩٢) والجامع للسيوطي (٣٠٩) وهو موضوع، كما قال الألباني.
وللألباني كلام نفيس بين علة الضعف فقال: « وهو من الأحاديث الناشوه بمثلها السيوطي " الجامع الصغير " وعزاه للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس، وقد تعقبه المناوي بقوله " وفيه جبلة بن سليمان " أورده الذهبي في الضعفاء وقال ابن معين ليس بثقة " قلت: حري بمن روى هذا الخبر أن يكون غير ثقة، بل هو كذاب أشر، فإنه خبر باطل لا يشك في ذلك مؤمن عاقل، إذ كيف يحرم رسول الله ﷺ علىٰ المؤمنين أهل الآخرة ما أباحه الله تعالىٰ لهم من التمتع بالدنيا وطيباتها كما في قوله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩].
وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].
ثم كيف يجوز أن يقال أن رسول الله ﷺ حرم الدنيا والآخرة معاً علىٰ أهل الله تعالىٰ وما أهل الله إلا أهل القرآن القائمين به والعاملين بأحكامه . . .
ثم قال بعد كلام من هذا القبيل: والذي أراه أن واضع هذا الحديث رجل صوفي جاهل أراد أن يبث في المسلمين بعض عقائد المتصوفة الباطلة التي منها تحريم ما أحل الله بدعوى تهذيب النفس، كأن ما جاء به الشارع الحكيم غير كاف في ذلك حتى جاء هؤلاء يستدركون علىٰ خالقهم سبحانه وتعالىٰ ومن شاء أن يطلع علىٰ ما أشرنا إليه من التحريم فليراجع تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزي يرا العجب العجاب " انتهى السلسلة الضعيفة (٣٢) (١/ ٥١/ ٥٢).

فِيهَا مَالاً مِنْ غَير حِلِهِ وَأَنْفَقَهُ فِي غَير حَقِهِ أَحله اللَّهُ دَارُ الهَوان وَرُبَّ مُتَخوِّضٍ فِي مَالِ اللَّهِ وَرَسوله لَه النَّار يَوْمَ القِيَامَةِ».

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(١).

الحديث السادس عشر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « **الدُّنْيَا حُلْوَة خَضِرةٌ، فَمَنْ أَخَذها بِحَقِهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ في مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَهُ النَّار يَومَ القِيامة**».

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير(٢).

الحديث السابع عشر

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالتْ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : « **الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ،**

---

(١) **ضعيف**: وله ألفاظ عدة:
الأول: الدنيا خضرة حلوة فمن اكتسب
الحميدي في مسنده (٧٤٠) والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٠٤) وعبد الرزاق في المصنف (٦٩٦٢) واتحاف السادة المتقين للزبيدي (٦/ ١٢) والترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٥٥٢) وكنز العمال (٦٠٧٦) ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٤١٩) .
الثاني: الدنيا خضرة حلوة فمن أخذها
الزبيدي اتحاف السادة المتقين .
وطرق الحديث كلها ضعيفة، فطريق البيهقي (٥٥٢٧) فيه يحيى بن المتوكل، ضعفه ابن المديني والنسائي، وقال ابن معين ليس بشيء. وقال أبو زرعة: "لين الحديث" .
وطريق الترمذي (٢٨٢٩) وهو عند أحمد (٢٧٠٩٩) وابن حبان (٤٥١٢) والمصنف لابن أبي شيبة (٣٤٣٨٢) والطبراني (٥٨٠) كلهم عند سعيد بن أبي سعيد المقرئ عن عبيد بن سنوط، عن خولة بنت قيس بنحو رواية يحيى بن سعيد عند الترمذي .
وعلة هذه الطرق " عبيد الله بن سنوط، وهو ضعيف، وما وثقه غير العجلي وابن حبان وهما معروف عنهما التساهل ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠١١) والسلسلة الضعيفة (٢٥٣٤) .

(٢) **صحيح**: ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٦) واتحاف السادة المتقين للزبيدي (٨٢٨) والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥) وكنز العمال (٦٠٧٥) وشرح السنة للبغوي (٨/ ١٢) والترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ١٦٢) والحلية لأبي نعيم (٢/ ٦٤) وكشف الخفا للعجلوني (١/ ٤٩٢) وأحمد (٤/ ٤٩٧) والآحاد والمثاني لأبي عاصم (٩/ ١٢٢)، الطبراني (١٤/ ٧٠)، (١٧/ ٢٧٢) (١٧/ ٤٨٦)، مسند الحميدي (١/ ٢٦٧)، وابن حبان (٩/ ٣٧) .
وقد صححه الألباني وأخرج له طرقاً عدة وشواهد ومتابعة ، (الصحيحة) (١٥٩٢) .

وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَع مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ».

أخرجه الإمام أحمد وهو حديث صحيح[١].

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبى هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: « **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِن وَجَنَّة الْكَافِرِ**». أخرجه مسلم في صحيحه، وأخرجه معه آخرون[٢].

الحديث التاسع عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِن وَسَنَتُه فَإِذَا فَارَقَ الدُّنيا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ**».

أخرجه الإمام أحمد ، والحاكم، وهو حديث صحيح[٣].

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد في المسند (٢٤٤٦٤) من حديث حسين بن محمد ثنا دويد، عن أبي اسحاق عن زرعة عن عائشة به مرفوعاً .
ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٨) رجاله رجال الصحيح إلا دويد وهو ثقة .
والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨٦) وقال: إسناده جيد ومشكاة المصابيح (٥٢١١) وكنز العمال للمتقى الهندي (٦٠٨٦) والدر المنثور للسيوطي (٦/ ٣٤١) واتحاف السادة المتقين (٨٣٨/ ٦٢٣) والمغنى عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (٣/ ١٩٩) (٤/ ١٩٠) وابن كثير في تفسيره (١/ ٣٦٤) وتذكرة الموضوعات (١٧٢) وكشف الخفا للعجلوني (١/ ٤٩٣)
وعلة ضعف الحديث : دويد، فهو مجهول.
وذكره ابن ماكولا في الإكمال وقال لم ينسب .
ورواية الخطيب في التلخيص (٢/ ٤٧٠) عن داود بن سليم بدل دويد، وداود بن سليم قال في الخطيب: في عداد المجهولين وإني أرى أن يكون دويد هو فقيه داود بن سليم والله أعلم .
والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠١٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٥٦) والمقدمة في الزهد والترمذي (٢٣٢٤) .
وابن ماجه (٤١٣) وأحمد في المسند (٢/ ١٩٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٤) (٤/ ٣١٥) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٨) (٢٨٩) والطبراني في الكبير (٦١/ ٢٨٩) وشرح السنة للبغوي (١٤/ ٢٩٦/ ٢٩٧) . والمطالب العالية (٣٧٧١) والترغيب والترهيب (٣/ ١٣٧) ومشكاة المصابيح (٥١٥٨) .

(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد في المسند (٦٨٥٥) ، وابن المبارك في الزهد (٥٩٨) وعبد بن حميد في مسنده (٣٤٦) والحاكم في المستدرك (٧٨٨٢) ومجمع الزوائد للهيثمي. وسند الحديث رجاله ثقات لولا عبد الله بن جناد المغافري ذكره ابن حبان في ثقاته ، ولم أر كلاما لغيره .
وقد ضعف الحديث العلامة الألباني (٣٠١٥) ضعيف الجامع .

والسنة: الشدة والمشقة.

الحديث العشرون

عَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « **الدُّنْيَا مَتَاع ، كُلهَا مَتَاع، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرأةُ الصَّالِحَةُ**»[١].

أخرجه مسلم في صحيحه ، والمتاع ما يتمتع به ثم يذهب.

الحديث الواحد والعشرون

عَنْ ابن مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : « **الدُّنْيَا مَلْعُونة، مَلْعُون مَا فِيهَا، إلا ذِكْرُ اللَّهِ وَما والاَه، أو عَالِمًا أو مُتَعَلِّماً**»[٢].

---

(١) بهذا اللفظ: أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١).
ولفظ مسلم هو المشهور في صحيحه: " الدنيا كلها متاع وخير متاع المرأة الصالحة . . . " .
أخرجه مسلم الرضاع ب١٧ رقم ٤٦٤ وكنز العمال للمتقي الهندي (٤٤٤٥١) وابن كثير في تفسيره (٣٧٧) والمغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (٤/ ١٠١) .
وبلفظ ثالث: " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " .
شرح السنة للبغوي (٩/ ١١) ومشكاة المصابيح (٣٠٨٣) وتلخيص الحبير (٣/ ١٠٦) واتحاف السادة المتقين للزبيدي (٩/ ٨٧) والترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٤١) وحلية الأولياء (٣/ ٣١٠) .

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجة (٤١١٢) والترمذي (٢٣٢٢) والبيهقي في الشعب، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧) واتحاف السادة المتقين (٨/ ٨٠/ ٨١) ، والترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٩٨) ، وكنز العمال (٦٠٨٣) ٦٠٨٤/ ٦٠٨٧/ ٦٠٨٨).
والمغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (١/ ١١) والضعفاء للعقيلي (٢/ ٣٢٦)، والعلل المتناهية (٢/ ٣١٢).
وكلهم من طرق عن عبد الرحمن بن ثابت من ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة مرفوعاً والعلة هنا كالتالي:
١- اختلف علىٰ عبد الرحمن بن ثابت فرواه عنه كذلك عتبة بن حماد الدمشقي علىٰ ابن ثابت.
٢- مخالفة أخرى في مسند الدارمي (٣٢٢)، وهي: المغيرة بن مطرف فرواه عن ابن ثوبان عن عبده عن أبي لبابة عن أبي وائل عن مسعود مرفوعاً به
والحاصل أن علة الضعف: هو عبد الرحمن بن ثابت:
قال ابن معين: ضعيف، والنسائي: ليس بالقوي، وأحمد: له أحاديث مناكير، وقال ابن عدي: (يكتب حديثه علىٰ ضعفه) والحديث ضعفه الألباني (ضعيف الجامع بجميع ألفاظه ٣٠١٧ . ٣٠١٩) .

أخرجه الطبرانى في معجمه الأوسط.

وأخرجه ابن ماجة ـ أيضا ـ عن أبى هريرة.

الحديث الثاني والعشرون

وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: « **الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلا أَمراً بِمَعْرُوف أَو نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ، أَو ذِكْر اللَّهِ** »[١].

أخرجه البزار وهو حديث صحيح.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : «**الدُّنْيَا مَلْعُونَة مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلا مَا ابتُغِىَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَّلْ**» [٢].

أخرجه الطبرانى في معجمه الكبير، وهو حديث صحيح.

الحديث الرابع والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها، وكرم وجه أبيها أن رسول الله ﷺ قال: « **الدُّنْيَا لاَ تَنْبَغِي لِمُحَمْد ، وَلاَ لآلِ مُحَمْد**»[٣].

أخرجه أبو عبد الرحمن السلمى في الزهد.

---

(١) **ضعيف**: وهذا اللفظ: مجمع الزوائد (١/ ١٢٢) (٧/ ١٦٥) وشرح السنة للبغوي (١٤/ ٢٣٠) واتحاف السادة المتقين (١/ ١١٠) وتذكرة الموضوعات (١٧٤) وكشف الخفا للعجلوني (١/ ٤٩٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠١٧).

(٢) **ضعيف**: وهذه الرواية ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٢).
وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠١٩).

(٣) **ضعيف**: والحديث ذكره صاحب كنز العمال (٦٠٨٩) وابن كثير في التفسير (٤/ ١٧٣).
قال: حدثنا الحجاج الحضرمي حدثنا السري بن حبان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال: « يا عائشة الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ».
وعلة الضعف: مجالد بن سعيد وهو ضعيف.
قال ابن معين: لا يحتج به.
وقال أحمد: يرفع كثير مما لا يرفع الناس ليس بشيء.
وقال النسائي: ليس بالقوي.
=

الحديث الخامس والعشرون

عنها رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: « **الدُّنْيَا لاَ تَصْفُو لِمُؤمنٍ كَيْفَ وَهَى سِجْنُهُ وَبُلاَؤُه**»[١]. أخرجه ابن لال.

الحديث السادس والعشرون

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: « **لَيسَ الزَّهادَةُ في الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلالَ وَلاَ إِضَاعَة الْمَال ، وَلَكَن الزَّهَادَةُ في الدُّنْيَا أنْ لا تَكُونَ بِمَا في يَديْكَ أَوْثَقَ مِنْك بِمَا فِي يَد اللَّهِ، وَأنْ تَكُون في ثَوَابِ الْمُصِيبةِ إِذَا أنْتَ أُصِبْتَ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَو أنَّها أُبْقيتْ لَكَ** »[٢].

أخرجه الترمذي وابن ماجه[٣].

الحديث السابع والعشرون

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الزُّهْدُ في الدُّنْيَا يُرِيحُ القَلْبَ وَالبَدَن، والرَّغْبَةُ**

= وقال الدارقطني: ضعيف .
وقال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه وكان ابن مهدي لا يروى عنه .
والحديث ضعفه الألباني (٣٠٢١) ضعيف الجامع .

(١) **ضعيف**: وقد ورد في موضعين:
الأول: كنز العمال للمتقي الهندي (٦٠٩٠).
الثاني: كشف الخفا للعجلوني (١/ ٤٩٤) (٤٩٥) .
قال: " الدنيا لا تصفو لمؤمن ، كيف وهي سجنه وبلاؤه، ابن لال عن عائشة، قال ابن الفرس نقلاً عن شيخه. حديث حسن لغيره
والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة (٣٦١٦) .

(٢) اثبات التاء: الزهادة في الدنيا ليست. ولعله سقط أو تصحيف .

(٣) **ضعيف**: الحديث عند الترمذي (٢٣٤٠) واتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٧٧) والترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٢٧٧) ومشكاة المصابيح (١٣٠١) وكنز العمال (١٠٥٩) ، والطبراني في الأوسط (٧٩٥٤) وابن عدي في الكامل (٥/ ١١٧)
. من حديث عمرو بن واقد حدثنا يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر مرفوعاً .
وعلق الترمذي قائلاً: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وعلة ضعفه أبو إدريس الخولاني فهو عائذ بن عبد الله وعمرو بن واقد: منكر الحديث.
وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه، وقال الدارقطني متروك، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣١٩٤) وقال ضعيف جداً .

فِيهَا تُتْعِب القَلْبَ والبَدَنَ»[١].

أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان.

الحديث الثامن والعشرون

عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال : «**الزُّهْدُ في الدُّنيَا يُرِيحُ القَلْبَ والبَدَنَ ، والرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الهَّم والحَزَنَ**» [٢].

أخرجه الإمام أحمد في الزهد والبيهقى في شعب الإيمان هكذا مرسلا.

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الزُّهْدُ في الدُّنْيَا يُرِيحُ القَلْبَ والبَدَن، والرَّغْبَة فِيهَا تُكْثِر الهَّم وَالحَزَنَ والبَطَالة تُقَسي القَلْبَ**»[٣].

---

(١) **ضعيف**: ذكره صاحب الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٧) وكنز العمال للمتقى الهندى (٦٠٦٠/ ٦٠٦١) ، ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٦) ومسند الشهاب (٢٧٨) واتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٣٤) وكشف الخفاء للعجلوني (١/ ٤٥١) ، والطبراني في الأوسط (٦١٢٠) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٤٣) ، من حديث يحيى بن بسطام الأصغر: نا أشعث بن براز الهجيمي عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . . . . "

وعلق ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٠٣) هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

وعلة الإسناد في رجلين:

الأول: علي بن زيد، قال فيه أحمد: ليس بشيء.

الثاني: أشعث بن براز قال يحيى بن معين: ليس بشيء، والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة (١٢٩١) وضعيف الجامع (٣١٩٥) .

(٢) **مرسل**: وهو عند البيهقي (١٠٥٣٦) شعب الإيمان من حديث الهيثم بن خالد البصري ثنا الهيثم بن جميل ثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس به مرفوعاً .

وهذا الإسناد رجاله ثقات، فهو مرسل صحيح .

(٣) **ضعيف**: هذا الإسناد: عند القضاعي في مسند الشهاب (١٩٨) من حديث أبي عتبة أحمد بن الفرج ، ثنا بقية بن الوليد عن بكر بن خنيس، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً .

وعلة هذا الإسناد:

بكر بن خنيس فهو ضعيف .

قال ابن معين: ليس بشيء .

وقال مرة : ضعيف.

وقال النسائي: ضعيف .

الحديث الثلاثون

عن أنس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **اتْرُكوا الدُّنْيَا لأهْلِهَا، فَإِنَّه مَنْ أَخَذَ مِنْهَا فَوْقَ مَا يكفيه أَخَذ [حَتْفُه] حَقَهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُر**»[١].

أخرجه الديلمى في مسند الفردوس.

الحتف : الهلاك.

الحديث الحادي والثلاثون

عن معاذ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **اتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاء، فَإِنَّ إِبْلِيسَ طَلَّاعٌ، صَايدَ، ماهرٌ، مَا هُو بِشَيءٍ مِنْ فُخُوخهِ بِأَوْثَقَ لِصَيْدِه فِي الأَتْقِيَاء مِنَ النِّسَاءِ** »[٢].

الحديث الثاني والثلاثون

عن عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : « **اتَّقُوا الدُّنْيَا،**

= وقال الدارقطني : متروك .
وقد ضعف الألباني في الضعيفة هذا الطريق (١٢٩١) .

(١) **ضعيف**: والحديث ذكر في جامع المسانيد (٢/ ١٦٠) وكشف الخفا للعجلوني (٧١) باللفظ الثابت في الباب.
. وبلفظ : دعوا الدنيا . . .
اتحاف السادة المتقين (٨/ ١٤٦) .
وكنز العمال (٦١١٧/ ٣١٧) والمغني عن حمل الأسفار (٢٢٧٣) تذكرة الموضوعات للعتبي (١٧٤) .
وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٠٦) وفي الضعيفة (١٦٩١).
. وضعف رواية: " دعوا الدنيا . . . "
في ضعيف الجامع (٢٩٨٠) والضعيفة (٣٥٩٩) .

(٢) موضوع: فهو عند الديلمي (١/ ٤٥١) من حديث سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن معاذ مرفوعاً .
علة هذا السند: سعيد بن سنان: رمي بالوضع كما في الضعفاء والمتروكين رماه الدارقطني (١/ ٣٢١).
وذكر هذا اللفظ: صاحب الميزان (١٠١٧١) وضعفه وقال في تقريب التهذيب (٢٣٧١١).
وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٠٦٥) وضعيف الجامع (١١٦) وقال: موضوع.
قلت: والجملة الأولى: اتقوا الدنيا واتقوا النساء " . جملة صحيحة: وردت في الصحاح كما عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٨) وأحمد في المسند (٣/ ١٩) وغيرهم .

فَوالذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لأَسْحَرُ (مِنْ) هَارُوت ومَارُوتَ»[١].

أخرجه الحكيم الترمذي.

الحديث الثالث والثلاثون

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيراً فَقَّههُ فِي الدِّينِ، وَزَهَّده فِي الدُّنْيَا، وَبَصَّرَهُ بِعُيُوبِهِ»**[٢].

أخرجه البيهقي في الشعب.

الحديث الرابع والثلاثون

عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ زَهِدَ في الدُّنْيَا عَلَّمَهُ الله بلا تَعلُّم، وَهَدَاهُ بِلاَ هِدَايَةٍ، وَجَعَلَهُ بصيراً، وَكشفَ عَنهُ العَمَىٰ»**[٣].

---

(١) **ضعيف**: ورد هذا اللفظ عند المتقى الهندي (٦٠٦٣) (٦١٩٦) كنز العمال، وصاحب الميزان (١٠١٧١)، ولسان الميزان (٧/ ٤١٦).
والدر المنثور للسيوطي (١/ ١٠٠) وعند الترمذي في نوادر الأصولي (١/ ٢٦) معلقاً بلا إسناد.
وضعفه الألباني (١١٥) ضعيف الجامع .

(٢) **ضعيف**: مع إرسال في السند.
وهو بهذا اللفظ لم يرد إلا عند البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٣٥) وكنز العمال (٢٨٦٨٩).
وذلك ما ذكره المصنف.
وكذا ورد عند ابن أبي شيبة في مصنفه. لكن من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً، من طريق عبد الله ابن وهب أنا سليمان بن بلال عن موسى بن عبيد، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله .... فذكره .
والعلة هنا: في موسى بن عبيدة فهو ضعيف جداً.
قال أحمد: لا تحل عندي الرواية عن موسى بن عبيدة.
وقال البخاري: قال أحمد: منكر الحديث .
وقال يحيى بن معين: لا يحتج بحديث .
وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وانظر الميزان (٥٥٧٦) .
والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٤) والترغيب والترهيب (١/ ٥١) .

(٣) **ضعيف**: لانقطاع في سنده .
وهو عند الزبيدي/ في اتحاف السادة المتقين (١/ ٤٠٣) (٨/ ٨٧) وكنز العمال للمتقي الهندي (٦١٤٩) .
وعند أبي نعيم في الحلية (١/ ٧٢) وتذكرة الموضوعات (٣/ ١٤٤).
من حديث علي بن حفص العبسي ثنا نصير بن حمزة، عن أبيه عن جعفر بن محمد بن علي بن=

أخرجه أبو نعيم في الحلية.

العمى . هنا . : عمى البصيرة.

الحديث الخامس والثلاثون

عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « **الدُّنْيَا مُرْتَحلةٌ ذَاهبةٌ، وَالآخرةُ مُرْتَحَلةٌ قَادِمةٌ، وَلِكُلِ وَاحِدَة مِنْهُمَا بَنُون، فَإِنْ اسْتَطعتُم أن تكُونوا مِنْ بَنِي الآخِرَة لاَ مِنْ بَنِي الدُّنْيَا فَافعَلوا فَإِنَّكُم اليَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ لاَ حِسَابَ فِيهَا وَغَداً فِي دَارِ حِسَابٍ لاَ عَمَلً فِيهَا** »[(١)].

أخرجه ابن لال.

الحديث السادس والثلاثون

عن سَهل بن سعد رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: « **ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَد فِيَما فِي أيْدِي النَّاس يُحبَّكَ النَّاس** »[(٢)].

= الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله . . . . " .
ومكان الانقطاع: محمد بن علي بن الحسين لم يسمع من جديه الحسن والحسين، ولا جده الأعلى رضي الله عنه جميعاً كما في المراسيل (٦٧٦) .
وقد ضعف الحديث الألباني في ضعيف الجامع (٥٦١٢) والضعيفة (٤٦٠٠) .

(١) **ضعيف**: هذا جزء من حديث أوله: " إن أخوف ما أتخوف علىٰ أمتي الهوى وطول الأمل، فأما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة . . . " .
ذكره صاحب المشكاة (٥٢١٤)، وصاحب العلل (١٣٦١) وجامع الجوامع للسيوطي (٦١٤٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦١٦) (١٠١٧) وكنز العمال (٦٣١١) . .
وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .
قلت: وعلة الضعف علي بن أبي علي بن محمد بن المنكدر . . . .
وعلي هذا قال فيه النسائي: متروك، وقال يحيى بن معين فيه: ليس بشيء .

(٢) **صحيح**: صححه الألباني في الصحيحة (٩٤٤) .
والحديث عن ابن ماجة (٤١٠٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٥٢١).
والطبراني في الكبير (٦/ ٢٣٧) ، ومشكاة المصابيح (٢٠١٨٧) شعب الإيمان (١٠١٣٢) مسند الشهاب (٣/٢) وروضة المحدثين (٤٣٥٤) . .
والميزان (٤٤٧) والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٣٨).
والترغيب والترهيب (٤/ ١٥٦) والحلية (٧/ ١٣٦)ز
وكشف الخفا للعجلوني (١/ ١٢٧)، والتمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٠١) .

أخرجه جمع منهم الحاكم في مستدركه وهو حديث صحيح.

الحديث السابع والثلاثون

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُزهدٌ»**(١).

أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

الحديث الثامن والثلاثون

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«اسْتَحيُوا مِنْ اللَّهِ حَق الحَيَاءِ ، مَنْ اسْتَحَى مِنْ اللهِ حَق الحَياءِ فَلْيَحفَظَ الرَّأْسَ ومَا وَعَى، وَلِيحْفَظَ البَطْن وَمَا حَوىٰ، وليذكر المَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرة تَركَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَن فَعَل ذَلِكَ فَقد اسْتَحى مِنْ اللَّهِ حَق الحَيَاء»**(٢).

---

(١) **ضعيف**: لم أجده إلا في جامع الجوامع للسيوطي (٣٨١٨) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٠٤٣) والضعيفة (٢٥٢٠) ، وعزاه إلىٰ مسند الفردوس للديلمي وكذا ورد في كنز العمال (٦٠٩٣) .

(٢) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) وأحمد (١/ ٣٨٧) والحاكم (٤/ ٣٢٣) والطبراني في الكبير (٣/ ٢٤٦) (١٠/ ١٨٨) والصغير (١/ ١٧٧) ومشكاة المصابيح (١٦٠٨) والترغيب والترهيب (٢/ ٥٥) (٣/ ٤٠٠) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤) وكشف الخفا للعجلوني (١/ ١٣٨) والمغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي (٢/ ٢١٥) والحلية (١/ ٣٥٨) وللحديث طرق :

الأول: حديث أبان بن إسحاق عن صياح بن محمد بن أبي حازم عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه .

قلت: علة ضعفه: أبو حازم قال فيه ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات .

الثاني: هناك طريق آخر عند الطبراني من حديث مجاعة ابن الزبير عن قتادة عن عقبة عن هبد الغافر عن أبي عبيدة عن ابن مسعود مرفوعاً.

وعلة هذا الطريق: عقبة ، قال أبو نعيم: غريب من حديث عقبة.

وعلة أخرى: مجاعة ابن الزبير ضعيف .

قال الدارقطني: مجاعة ضعيف (الميزان ٣/ ٣٥) .

الثالث: عند الطبراني (٣٩١٢) وأبو نعيم من طريق محمد بن مصفى ثنا بقية بن عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم عن عمير بنحوه مرفوعاً.

قلت: علة هذا السند رجلان:

الأول: الحكم بن عمير، قال أبو حاتم كما جاء في الجرح والتعديل (٣/ ١٢٥) روى عن النبي سماعاً لا يذكر ولا لقاء أحاديث منكرة من رواية أخيه موسى بن أبي حبيب.

=

أخرجه الترمذي والإمام أحمد والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح.

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لُعِنَ عَبْدُ الدِّينَارِ»**[١].

أخرجه الترمذي ، وهو حديث حسن.

ومعنى العبودية: أن حبه تابع لدنيا، فإن حصلت رضي وإن سخط الله، وإن لم تحصل غضب، وإن رضي الله ، نسأله السلامة من كل داء آمين.

الحديث الأربعون

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَا كَثُرَ وأَلْهَىٰ »**[٢].

= وموس هذا ضعيف وهو ذاهب الحديث يقول الذهبي : موسى مع ضعفه متأخر عن لقي صاحبي كبير .

الثاني: عيسى بن إبراهيم ضعيف كما قال صاحب الجرح والتعديل .

والحديث ضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٨٠٥) وقال ضعيف جداً .

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٥) بلفظ " لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم" .
لم يروه إلا الترمذي ، من طريق عبد الوارث بن سعيد بن يونس عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله . . . "
وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه .
قلت: هنا إرسال واضح. مع ضعفه فالحسن لم يسمع مع أبي هريرة.
قال بذلك: بهز بن أسد، وشعبة وأحمد بن حنبل وعلىٰ بن المديني وأبو زرعة .
وكلهم قالوا : لم يسمع من أبي هريرة ولم يره والحديث عند المتقى الهندي في كنز العمال (٦١٢٨) المسند الجامع (١٤٩٨٨) وتحفة الأشراف (١٢٢٤٨) وعزاه للترمذي .
والحديث ضعفه الألباني (٤٦٩٥) ضعيف الجامع .

(٢) **حسن**: أخرجه صاحب كنز العمال (١٦١٢٤) والدر المنثور للتفسير بالمأثور للسيوطي (٢/ ٢٢٥) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٥/ ٢٥٦) والمطالب العالية (٣١٧٤) وكشف الخفا (٢/ ٢٦٨) وابن عدي (١/ ٢٧٦) .
وسند الحديث ورد بطرق فيها ضعف وإنما حسن بشواهد فالحديث طريق ابن عدي عن إسماعيل بن سليمان الأزرق عن أنس مرفوعاً : إسماعيل هذا ضعيف / قال يحيى : ليس بشيء، والنسائي : متروك الحديث .
ولكن العلامة الألباني أخرج شواهد للحديث:
الأول: شاهد من حديث ثوبان عند القضاعي في مسند الفردوس، من طريق يزيد بن ربيعة =

أخرجه أبو يعلى في مسنده واليشكري في الأمثال والضياء في المختارة. وهو حديث صحيح.

هذا آخر ما أوردناه، وتمام ما قصدناه، والحمد لله أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ، وأزواجه وأشياعه وذريته، وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب

= قال: سمعت أبا الأشعث يقول: سمعت ثوبان يقول : فذكره.
وشاهد ثان من حديث أبي الدرداء مرفوعاً في آخر حديث له. وهو في المشكاة (٥٢١٨) وصحح الألباني هذا الطريق.
والشاهد الثالث: من حديث أبي سعيد في مسند أبي يعلى وسنده رجاله ثقات، من حديث محمد بن عباد: نا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، أراه عن أبيه. شك أبو عبد الله قال: سمعت النبي وهو علىٰ الأعواد وهو يقول: فذكره .
يقول الألباني: وهذا إسناد رجاله ثقات. رجال الصحيح غير صدقة بن الربيع أورده بن أبي حاتم (٢/ ١/ ٤٣٣) بهذه الرواية عنه ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .
وبهذه الشواهد خلص رحمه الله إلىٰ تحسين سنده .

فهرس الأحاديث ترتيب معجمي

فهرست الرواة ترتيب معجمي

فهرس الموضوعات